موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

# الوقت

مجموعة محاضرات للدكتور محمد راتب النابلسي

www.nabulsi.com

# المحتويات

# الفصل الأول: مقدمة

# 1.1 مفهوم الزمن

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

**مقدمة:**

## 1 . ماذا يعني أن يمضي عام وأن يأتي عام؟




أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، نحن في اليوم الأول من العام الجديد، لقد مضى عام وأقبل عام، وماذا يعني أن يمضي عام وأن يأتي عام؟ إنه الزمن في حركته، وما حقيقة الزمن؟ إنه البعد الحركي الرابع للأشياء، فالجسم المادي له بُعدان سطحيان: طول وعرض، وبُعد حجمي: هو عمق أو ارتفاع.. فإذا تحرك هذا الجسم صار الزمن بعداً رابعاً له، ويضيف علماء الفيزياء أن الجسم إذا تحرك بسرعة الضوء توقف الزمن، وأصبحت كتلته لا نهائية، وإذا تجاوز سرعة الضوء تراجع الزمن، وإذا قصَّر عنها تراخى الزمن، وشرح هذا يطول، ويحتاج إلى محاضرات على مدرجات الجامعات، قال تعالى:

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

( سورة يس )

فحركتها سبب حصول الزمن، لولاها ما اتسقت أيامه، ولا انتظمت شهوره وأعوامه، ولا اختلف نوره وظلامه.

## 2 . أين نجد مفهوم الزمن في التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان؟

والسؤال الآن: أين نجد مفهوم الزمن في التصور الإسلامي للكون، والحياة والإنسان؟ وأين موقعة في الكتاب والسنة؟ وما علاقة الزمن بالمخلوق الأول المكرم الإنسان؟ وهل يمكن أن تتسع تلك العلاقة وتقوى حتى تبلغ درجة التطابق؟ أي هل يمكن أن نقول: الإنسان في حقيقته "زمن" ؟




حينما يتفكر الإنسان في خلق السماوات والأرض، ويحكم من خلال مبادئ عقله أن لهذا الكون خالقاً عظيماً، ومربياً رحيماً ومسيّراً حكيماً.

الأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير؟ وأن هذا الخالق عظيم في خلقه، كامل في أفعاله، ومن لوازم كماله ألا يدع عباده بلا تعريف، ولا تبيين، ولا منهج من أمر، ونهي، وإعذار، وإنذار، ووعد، ووعيد.

لهذا بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

ففي الكتب المنزلة تعريف للإنسان بخالقه ومربيه، تعريف بحقيقة الحياة الدنيا، ومهمة الإنسان فيها، وقد ورد في البيان الإلهي أن البشر مخلوقون لجنة عرضها السماوات والأرض تجري من تحتها الأنهار، أُكلها دائم وظلها، لهم فيها ما يشاؤون خالدين فيها أبداً، ذلك الفوز العظيم.

## 3 . الحياة الدنيا مرحلة إعدادية للحياة الأخروية:

وشاءت حكمة الله أن يجعل لهذه الحياة العليا الأبدية حياة دنيا إعدادية، وخلق الإنسان فيها ليزكي نفسه، ولتكون هذه التزكية ثمناً لتلكم الجنة، لهذا منح الله الإنسان مقومات هذه التزكية ؛ كوناً مسخراً تسخير تعريف وتكريم، وعقلاً هو أداة المعرفة ومناط التكليف، وفطرةً تكشف للإنسان خطأه وانحرافه، وشهوةً يرقى الإنسان بها صابراً وشاكراً وحرية اختيار تثمن العمل وتقي الزلل، وقوةً فيما يبدو تحقق الاختيار، ومنهجاً

يصحح المسار، كل هذا على مسرح مكاني هو الأرض، وفي ظرف زماني هو العمر، فالعمر رأسمال الإنسان في حياته الدنيا، إذا أنفقه الإنسان في تزكية نفسه كان ثمناً لجنة ربه، قال تعالى:

**﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ(16) كَانُوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾**

( سورة الذاريات: 15 )

وقال تعالى:

**﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي(19) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي(20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾**

( سورة الحاقة: 19 )

## الوقت:

### 1 . الوقت رأس مال الإنسان:

من خلال هذه المقدمة في كليات العقيدة يتضح أن الزمن الذي هو عمر الإنسان هو رأس ماله الوحيد، وهو وعاء عمله الصالح الذي جعله الله ثمناً للجنة، قال تعالى:

**﴿ وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾**

( سورة العصر )




العصر هو الزمن، بل مطلق الزمن وهو من خلق الله تعالى، إذ لا يصح أن نسأل: متى كان الله؟ لأنه خالق الزمان، ولا أين الله؟ لأنه خالق المكان، وقد أقسم الله به:

**﴿ وَالْعَصْرِ ﴾**

ومن الثابت لدى المفسرين أن الله إذا أقسم

بشيء من خلقه فذلك ليلفت أنظارهم إليه، ولينبههم إلى جليل منفعته وعظيم أثره، وما أقسم الله للإنسان بالعصر إلا لأن الإنسان في حقيقته زمن، إنه بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، أو لأن أثمن ما يملكه الإنسان هو الزمن.

**ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها**

***

ويأتي جواب القسم:

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

( سورة العصر )

من هو الإنسان الخاسر؟ إنه أي إنسان لأن ( أل ) تفيد استغراق جنس الإنسان وكيف يخسر الإنسان؟ ولماذا؟

## 2 . الخسارة الحقيقية أن يخسر الإنسان رأس ماله:

ألم نقل: إن الإنسان زمن، أو إن أثمن ما يملكه هو الزمن، أو إن رأس ماله هو الزمن، وهل الخسارة الحقيقية في التجارة إلا أن يخسر الإنسان رأس مال؟ والزمن يعني الحركة نحو هدف ثابت، وهو الموت، أليست هذه الحركة التي هي مضي الزمن تستهلك عمر الإنسان، ورأس ماله؟

خسارة الإنسان تعني أن الزمن يستهلكه ويقربه من أجله فإذا بلغ أجله، ووصل العد التنازلي إلى الصفر، انتهى الإنسان واستهلكه الزمن، وأصبح خبراً بعد أن كان مخبراً، قال الشاعر:

**حكم المنية في البرية جـار ما هذه الدنيا بدار قـرار**

**بينا يُرى الإنسان فيها مُخبراً حتى يُرى خبراً من الأخبار**

***

ولقد شاءت إرادة الله وحكمته أن يكون الموت نهاية كل حي:

**فكل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت**

**والليل مهما طـال   فلا بد من طلوع الفجر**

**والعمر مهما طـال   فلا بد من نزول القبر**

*** 

**كل ابن أُنثى وإن طالت سلامته   يوماً على آلة حدباءَ محمولُ**

**فإذا حملت إلى القبور جنـازة   فاعلم بأنك بعدها محمـولُ**

*** 




إذاً: فرأس مال الإنسان عُمُره، ومضي الزمن وحده.. مضي الثواني والدقائق والساعات، مضي الأيام والشهور والسنوات، يستهلك رأسماله شيئاً فشيئاً، فإذا استهلكت حركة الزمن كل عمره، فَقَدَ رأسماله، وتحقَّقت خسارته، قال تعالى:

**﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾**

( سورة الزمر )

وقال تعالى:

**﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا(105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾**

( سورة الكهف )

خسارة الإنسان أن ينفق عمره الذي هو رأسماله الوحيد إنفاقاً استهلاكياً في غير ما خلق له.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في خطبته:

**(( أيها الناس، لا خير في العيش إلا لعالم ناطق، أو مستمع واعٍ، أيها الناس، إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم لسريع، وقد رأيتم الليل والنهار يُبليان كل جديد، ويُقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فقال له المقداد: يا رسول الله، وما الهدنة؟ قال: (( دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست عليكم الأمور، كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفَّع، وشاهد مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل ))**

[ ذكره الهندي في كنز العمال عن علي ]

أما إذا أنفق الإنسان الوقت فيما خُلق له من معرفة لله، والتزام بمنهجه، ودعوة إليه، وصبر على كل ذلك فقد تلافى الخسارة، بل حقق ربحاً مجزياً، قال تعالى:

**﴿ وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾**

( سورة العصر )

## 3 . لابد من الإيمان في الوقت المناسب:

فالإيمان معرفة الله من خلال آياته الكونية، والتكوينية، والقرآنية، وتصديق بما أنزل على رسوله، من وحي متلو وغير متلو، ثم الاتصال به اتصالاً محكماً، يكون أساساً لإشراق الحقائق في النفس واصطباغها بالكمالات الإنسانية، وانغماسها في سعادة روحية، عندئذ يصبح الإيمان أساس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وسند العزائم في الشدائد، وبلسم الصبر عند المصائب، وعماد الرضى بالحظوظ، ونور الأمل في الصدور.

## 4 . العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان:

والعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان




لأن الإيمان حقيقة إيجابية متحركة، فما إن تستقر في النفس حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في صورة عمل صالح، فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية، فهو مزيف أو ميت، لأن الإيمان ليس انكماشاً وسلبيةً وانزواءً، وليس مجردِ نوايا طيبة لا تتمثل في حركة أو عمل.

## 5 . التواصي بالحق ضرورة:

والتواصي بالحق ضرورة، لأن النهوض بالحق عسير، والمعوقات عن الحق كثيرة، والتواصي بالحق: حق الفرد على الجماعة، أو حق الجماعة على الفرد، وهو حركة الحق في اتجاه النمو، ومحاصرة الباطل، وما من أحد في المجتمع المسلم أصغر من أن يوصي بالحق، وما من أحد أكبر من أن يصغي إلى الحق وهو يُسدى إليه، وإذا كان التواصي بالحق ضرورة للنهوض به وتوسيع رقعته، فإن التواصي بالصبر ضرورة للحفاظ عليه ومنع انكماشه وتراجعه.

## 6 . في القرآن الكريم إشارات لطيفة ودقيقة إلى قيمة الوقت في حياة الإنسان:

في القرآن الكريم إشارات لطيفة ودقيقة إلى قيمة الوقت في حياة الإنسان، وحضٌّ على الاستفادة منه، ونهيٌ عن الغفلة والتسويف وما كلمات ( سارعوا ) و( سابقوا ) إلا تأكيد لهذه المعاني، قال تعالى:

**﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾**

( سورة البقرة )




تُشير هذه الآية إلى أن وجهة الإنسان الصحيحة، أو المنحرفة، ومواقفه المشرفة، أو غير المشرفة، وأعماله الصالحة أو الطالحة هي من كسبه وحده:

**﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾**

( سورة البقرة )

وسوف يُسأل عنها ويُجازى عليها، قال تعالى:

**﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**

( سورة الحجر )

وإن هذه الحرية في الكسب، هي التي تثمِّن عمله، إذ لولاها لما كان لأعماله من قيمة، ولما سعد بها وهذه الحرية في الكسب التي هي سر سعادته، فرصة ثمينة لا تتكرر، ولا تُعوض، مرتبطة بعمر الإنسان، وتنتهي بالموت، لذلك أكدها ربُّنا بكلمتين الأولى:

**﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾**

والثانية:

**﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾**

تنتهي حرية الكسب، ويختم العمل ليجازى الإنسان.

## خصائص الوقت:

هذا الوقت الذي هو رأسمال الإنسان، له خصائص منها:

## 1 . سرعة انقضائه:

فهو يمر مرَّ السحاب، ويجري جري الرياح، سواء أكان زمن مسرةٍ أو فرح، أم كان زمن اكتئاب وترح، وإن كانت أيام السرور تمرُّ أسرع، وأيام الهموم تسير أبطأ، لا في الحقيقة، ولكن في شعور صاحبها، ومهما طال عمر الإنسان، فهو قصير، مادام الموت نهاية كل حي.

وعند الموت تنكمش الأعوام والعقود، حتى لكأنها لحظات كالبرق الخاطف، قال تعالى:

**﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾**

( سورة يونس )

## 2 . ما مضى منه لا يعُود ولا يُعوَّض:

ومن خصائص الوقت أن ما مضى منه لا يعود ولا يُعوض، قال الحسن البصري: " ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ".




ولما كان الوقت سريع الانقضاء وكان ما مضى منه لا يرجع ولا يعوض كان الوقت أنفس وأثمن ما يملك الإنسان، وترجع نفاسة الوقت إلى أنه وعاء لكل عمل، فهو رأسمال الإنساني الحقيقي، إنه الحياة من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة، قال الحسن البصري: " يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك ".

## موقفان خطيران: ساعة الاحتضار، اليوم الآخر:

ومن جهل قيمة الوقت فسيأتي عليه حينٌ يعرف قيمته ونفاسته، ولكن بعد فوات الأوان، وقد ذكر القرآن موقفين يندم فيهما الإنسان على ضياع وقته، حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار، حين يودع الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن وأُخر إلى أجل قريب، ليُصلح ما أفسد، وليتدارك ما فات.. قال تعالى:

**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(9) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ(10) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾**

( سورة المنافقون )

ويأتي الرد على هذه الأمنية الفارغة قاطعاً ومانعاً، بقوله تعالى:

**﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾**

( سورة المنافقون )

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفى كل نفس ما عملت، وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنةَ، وأهل النار النارَ، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون إلى دار التكليف، ليعملوا عملاً صالحاً، ولكن هَيهات هيهات، فقد انتهى زمن العمل، وجاء زمن الجزاء، يقول تعالى:

**﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ(36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾**

( سورة فاطر )

## القرآن يحذر من الغفلة والتسويف:

والقرآن يحذر من الغفلة أشد التحذير، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ ﴾

( سورة الأعراف )




وآفة أخرى هي التسويف، قال الحسن البصري رحمه الله: " **إياك والتسويف، فإنك بيومك، ولست بغدك، فإن يكن غدٌ لك فكن في غد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غد لن تندم على ما فرطت في اليوم** ".

وقيل لعالم: أوصنا، قال: " **احذروا ( سوف ) فهي جند من جنود إبليس** ".

**تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر**

**فكم من سليم مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر**

**وكم من فتى يُمسي ويُصبح آمناً وقد نُسجت أكفانه و هو لا يدري**

***

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

**(( لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ))**

[ رواه الحاكم وصححه ]

## طول العمر:

### 1 . طول العمر مع العمل الصالح نعمة من الله:

أكثر الناس يدعون لمن يحبونهم، أو لمن يُسدي لهم معروفاً، يدعون له بطول العمر، وهل يطول العمر؟ وإذا كان العمر يطول فما الذي يطيله؟

إن الإنسان مفطور على حب وجوده، وعلى سلامة وجوده، وعلى كمال وجوده، وعلى استمرار وجوده، قال تعالى:

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾

( سورة البقرة )

والدين نفسه يعدّ طول العمر نعمة إذا اقترن بالعمل الصالح، فقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم:

(( أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ ))

[ رواه الترمذي عن عبد الله بن بسر، وقال: حديث حسن ]

## 2 . العمر محدود، والموت ينغص على الإنسان حياته:




لكن الموت ينغص على الإنسان حياته فكثيراً ما يختطف الشاب، وهو في ريعان شبابه، والعروس ليلة زفافها، والوحيد لمدلل من بين يدي أهله، والغني المترف من أحضان نعمته، والقوي المرهوب من بين يدي خدمه وحشمه، لهذا سُمي الموت هادم اللذات، مُفرّق الأحباب، مُشتت الجماعات، وفي الحديث الشريف عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم:

قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

(( يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ لاَقِيهِ ))

[ قال العجلوني في كشف الخفاء: رواه أبو الشيخ وأبو نعيم والحاكم وصحح إسناده، وحسنه العراقي]

ولم يصل الطب الذي وصل إلى زرع قلب مكان قلب، ولا العلم الذي وصل بالإنسان إلى سطح القمر أن يُقاوم الهرم، ويُعيد إلى الشيخ الشباب بعد أن رُدَّ إلى أرذل العمر، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ))

[ أخرجه البخاري ]

إذاً: فما دام عمر الإنسان محدوداً بهذه الصورة فأنى له أن يُطيله؟ وكيف يستطيع؟

## 3 . عمر الإنسان الحقيقي هو حجم عمله الصالح الخالص:

الحقيقة أنه ليس عمر الإنسان الحقيقي هو تلك السنوات التي يعيشها الإنسان من يوم ولادته إلى يوم وفاته، إن عمره الزمني أتفه أعماره، إنما عمره الحقيقي هو حجم العمل الصالح الخالص لله عز وجل.

قال صاحب الحكم: " **رُبَّ عُمُرٍ اتَّسعت آماده، وقلَّت أمداده، ورُبَّ عُمُرٍ قليلةٌ آماده، كثيرة أمداده، ومن بورك له في عمره، أدرك في يسير من الزمن من المنن ما لا يدخل تحت دائرة العبارة، ولا تلحقه وَمضةُ الإشارة** ".

لهذا ورد في بعض الأدعية:

**(( لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علماً، ولا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله قُرباً ))**

[ العراقي في تخريج أحاديث الإحياءِ ، و]




فالإنسان يستطيع أن يُطيل عمره بمقدار ما يُوفقُ إليه من عباده الله تعالى، والإحسان إلى خلقه، وكلما توافر لعمله الإخلاص والإتقان كان الأجر والفضل أعظم عند الله.

وكلما اتسعت رقعة العمل فشملت أعداداً كبيرة من البشر حتى دخلت فيه الأمم والشعوب، وكلما امتد أمد العمل، وطال حتى توارثت ثماره أجيال وأجيال، وكلما تغلغل العمل في كيان الإنسان كله المادي والنفسي والاجتماعي والروحي، حتى تحقق به وجود الإنسان وتألقت من خلال إنسانيته، وكان كما أريد له أن يكون إذاً كلما اتسعت رقعة العمل وعمَّ خيره وطال أمده، واشتد تأثيره كان أعظم عند الله.

النبي صلى الله عليه وسلم أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن دركات الجاهلية إلى أعلى مراتب الإنسانية، وغير وجه التاريخ البشري كله، إلى اليوم وإلى ما شاء الله، في ثلاث وعشرين سنة أقام فيها دينا

جديداً، وربى عليه جيلاً فريداً، وأنشأ أمة مثالية، وأسس دولة عالمية في هذا الزمن اليسير، على الرغم من كل الصعوبات والمعوقات التي اعترضت سبيله من أول يوم.

## العمل الصالح تزداد أهميته بالمعوقات وفساد المجتمعات:

ويزداد ثقل العمل في ميزان الحق، وتتضاعف قيمته ومثوبته عند الله كلما كثرت المعوقات في سبيله، وعظمت الصوارف عنه قلّ المُعين عليه.

ويزداد ثقل العمل في ميزان الحق وتتضاعف قيمته ومثوبته عند الله حينما تفسد المجتمعات، وتضطرب الأحوال، فيجور الأمراء، ويتجبر الأقوياء، ويترف الأغنياء، ويداهن العلماء، وتشيع الفاحشة، ويظهر المنكر، ويختفي المعروف، عَن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ ))**

[ أخرجه مسلم، والترمذي ]

## 4 . للإنسان أن يطيل عمره بعد موته:

وهنا محلُّ الإشارة إلى أن الإنسان إذا رُزق التوفيق في إنفاق وقته يستطيع أن يُطيل عمره إلى ما شاء الله بعد موته، فيحيا وهو ميت، ويؤدي رسالةً وهو تحت التراب، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ))**

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر تضمن تفصيلات لهذه الثلاث، فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ))**

[رواه ابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه ]

وأخرج مسلم في صحيحه:

**(( مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ))**

[رواه مسلم، والنسائي عن جرير ]




ويلٌ لمن انقضت آجالهم وآثامهم باقية من بعدهم:

وويل لمن انقضت آجالهم وضلالاتهم وآثامهم باقية من بعدهم، وهنيئاً لمن كانوا تحت الثرى، والناس مهتدون بهديهم سعداء بأعمالهم.

يقول الإمام علي كرم الله وجهه: **<< إنه ليس شيء شر من الشر إلا العقاب، وإنه ليس شيء خير من الخير إلا الثواب، وكل شيء في الدنيا سماعه خير من عيانه، وكل شيء في الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكفكم من العيان السماع، ومن الغيب الخبر، واعلموا أن ما نقص من الدنيا، وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة، وزاد في الدنيا، فكم من منقوص رابح، وكم من مزيد خاسر، واعلموا أن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه، وما أحل لكم أكثر مما حُرم عليكم، ذروا ما قل لما كثر، وما ضاق لما اتسع وقد تُكُفِّل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلا يكن المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم، فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل >>.**

[ نهج البلاغة ]

# 1.2 إدارة الوقت

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

## سورة العصر ترسمُ منهجاً كاملاً للحياة البشرية كما يريدُها خالق البشرية:

أيها الأخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثُّكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

أيها الأخوة الأحباب، في القرآن الكريم سورةٌ قصيرةٌ، كان الرَّجلانِ مِن أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا الْتَقَيَا لم يتفرَّقا حتى يتلوَ أحدُهما على الآخر هذه السورة، وكان الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله تعالى يقول: " **لو تدبَّر الناسُ هذه السورة لَكَفَتْهُم** ".




هذه السورةُ ترسمُ منهجاً كاملاً للحياة البشرية، كما يريدُها خالق البشرية، فعلى امتدادِ الزمانِ في جميعِ العصور، وعلى امتدادِ المكانِ في جميع الدهور، ليسَ أمامَ الإنسانِ إلا منهجٌ واحدٌ رابحٌ، وطريق واحد سالك إلى جنةِ الخُلدِ، وكلُّ ما وراء ذلك ضياعٌ وخسارةٌ وشقاء.

أيها الأخوة الكرام، لعلكم تسألون: ما هذه السورة؟ إنها سورة العصر، قال تعالى:

**﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) ﴾**

( سورة العصر )

لقد أَقْسمَ اللهُ جلّ جلالُه بمطلق الزمن، العصر، لهذا الإنسانِ الذي هو في حقيقته زمنٌ، فهو بِضْعَةُ أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بِضْعٌ منه، وما مِن يوم ينشقُّ فجرُه إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلقٌ جديدٌ، وعلى عملِك شهيدٌ، فتزوَّدْ منِّي، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

لقد أقسمَ اللهُ بالزمن للإنسان أنّه في خُسرٍ، بمعنى أنَّ مُضِيَّ الزمنِ وحدَه يستهلكُ عُمُرَ الإنسان الذي هو رأسُماله ووعاءُ عملِه الصالحِ الذي هو ثمنُ الجنة التي وَعَدَه اللهُ بها.

## شرح تفصيلي لسورة العصر:

أيها الأخوة الأحباب، هلِ الخسارةُ في العُرْفِ التِّجاريِّ إلا أنْ تُضَيِّعَ رأسَ مالِكَ مِن دون تحقيقِ الربحِ المطلوب، لكنّ الإنسانَ إذا استثْمرَ الوقتَ فيما خُلِقَ له، يستطيع أنْ يتلافَى هذه الخسارةَ وذلك بالإيمانِ والعملِ الصالحِ، والتواصي بالحقِ، والتواصي بالصّبرِ. قال تعالى:

**﴿ وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3) ﴾**

( سورة العصر )

### 1. الإيمان:




أولاً: الإيمان، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، إنّ الإيمانَ هو اتصالُ هذا الكائنِ الإنسانيّ الصغيرِ الضعيف الفاني المحدود، بالأصل المطلقِ الأزليّ الباقي، الذي صدرَ عنه هذا الوجودُ، وعندئذٍ ينطلقُ هذا الإنسانُ من حدود ذاته الصغيرة إلى رحابةِ الكون الكبير، مِن حدودِ قوته الهزيلة إلى عظمة الطاقات الكونية المخبوءة، من حدود عمره القصير إلى امتدادِ الآبادِ التي لا يعلمُها إلا اللهُ، هذا الاتصالُ فضلاً على أنه يمنحُ الإنسانَ القوةَ، والامتدادَ، والانطلاقَ، فإنه يمنحُه السعادةَ الحقيقيةَ التي يَلْهَثُ وراءها الإنسانُ، وهي سعادةٌ رفيعةٌ، وفرحٌ نفيسٌ، وأُنْسٌ بالحياةِ، كَأُنْسِ الحبيبِ بحبيبِه، وهو كَسْبٌ لا يعدِلُه

كسبٌ، وفقدانُه خسرانٌ لا يعدِله خسرانٌ، وعبادةُ إلِه واحدٍ ترفعُ الإنسانَ عن العبوديةِ لسواه، فلا يذلّ لأحد ولا يحني رأسَه لغير الواحد القهار، فليس هناك إلا قوةٌ واحدةٌ، ومعبودٌ واحدٌ، وعندئذٍ تنتفي مِن حياةِ الإنسانِ المصلحةُ والهوى، ليحلّ محلَّها الشريعةُ والعدلُ.

الاعتقادُ بكرامةِ الإنسانِ، وهو مِن لوازمِ الإيمانِ، الاعتقاد بكرامة الإنسان عند الله يرفع من قيمته في نظر نفسه، ويثيرُ في نفْسهِ الحياءَ مِنَ التّدنّي عنِ المرتبةِ التي رَفَعَهُ اللهُ إليها.

## 2. العمل الصالح:

ثانياً: العملُ الصالحُ،

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

لأنّ الإيمانَ أيها الأخوة، حقيقةٌ إيجابيةٌ متحركةٌ، كان العملُ الصالحُ هو الثمرةَ الطبيعيةَ للإيمان، فمَا إنْ تستقرَّ حقيقةُ الإيمانِ في ضميرِ المؤمنِ حتّى تسعَى بذاتِها إلى تحقيق ذاتِها في صورةِ عملٍ صالحٍ، فلا يمكنُ أنْ يظلَّ الإيمانُ في نفسِ المؤمنِ خامداً لا يتحرّك، كامناً لا يَتَبَدَّى، فإنْ لم يتحرّكِ الإيمانُ هذه الحركةَ الطبيعيةَ فهو مزيَّفٌ، أو ميتٌ، شأنُه شأنُ الزهرةِ، ينبعثُ أريجُها منها انبعاثاً طبيعياً، فإنْ لم ينبعثْ منها أريجٌ فهو غيرُ موجود.

العملُ الصالحُ أيها الأخوة، ليس فلتةً عارضةً، ولا نزوةً طارئةً، ولا حادثةً منقطعةً، إنما ينبعثُ عن دوافعَ، ويتّجهُ إلى أهدافٍ، ويتعاونُ عليه المؤمنون.

## صفاتُ العملِ الصالحِ:

الإيمانُ أيها الأخوة، ليس انكماشاً، ولا سلبيةً، ولا انزواءً، ولا تَقَوْقُعاً، بل هو حركةٌ خَيِّرَةٌ نظيفةٌ، وعَمَلٌ إيجابيٌّ هادفٌ، وعمارةٌ متوازنةٌ للأرض، وبناءٌ شامخٌ للأجيال، يتّجهُ إلى الله، ويليقُ بمنهج الله، ورَحِمَ اللهُ عمرَ بنِ عبد العزيز إذ يقول: " **إن اللّيل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما، ويأخذان منك، فخذ منهما** ".




يا أخوتنا الأحباب، كلما اتَسعتْ رقعةُ العملِ فشملتْ أعداداً كبيرةً من بَني البشرِ حتى دخلتْ فيه الأممُ والشعوبُ، وكلّما امتدّ أمدُ العملِ وطالَ حتى توارثتْ ثمارَه أجيالٌ وأجيالٌ، وكلما تغلغلَ العملُ في كيانِ الإنسانِ كلِّه ؛ الماديّ، والنفسيّ، والاجتماعيَّ، والروحيّ، حتى تحقَّق به وجودُ الإنسان، وتألّقتْ من خلالِه إنسانيتُه، وكان كما أريد له أن يكونِ، إذاً كلما اتسعتْ رقعةُ العمل، وعَمَّ خيره، وطالَ أمدُه، واشتدَّ تأثيرُه، كانَ أعظمَ عندَ اللهِ.

هذه صفاتُ العملِ الصالحِ، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم أَخْرَجَ الناسَ مِن الظلمات إلى النور، ومِن دَرَكَاتِ الجاهليةِ إلى أعلى مراتبِ الإنسانية، وغيَّر وجهَ التاريخِ البشريّ كله، إلى اليوم، وإلى ما شاء الله، في ثلاث وعشرين سنة، أقامَ فيها ديناً جديداً، وربَّى عليه جيلاً فريداً، وأنشأ أمّةً مثاليةً، وأسّسَ دولةً عالميةً، في هذا الزمن اليسير، على الرغم مِن كلّ الصعوباتِ والعوائقِ التي اعترضتْ سبيلَه مِن أوّل يومٍ. ويزدادُ ثقلُ العملِ في ميزانِ الحقّ، وتتضاعفُ قيمتُه ومثوبتُه عند الله كلما كثرتْ العوائقُ في سبيله، وعظُمتِ الصوارفُ عنه، وقَلَّ المُعينُ عليه.

ويزدادُ ثقلُ العملِ في ميزان الحقّ، وتتضاعفُ قيمتُه ومثوبتُه عند اللهِ حينما تَفْسُدُ المجتمعاتُ، وتضطرب الأحوالُ، فيجور الأمراءُ، ويتجبّرُ الأقوياءُ . كما ترون . ويترفُ الأغنياءُ، ويداهِن العلماءُ، وتشيع الفاحشةُ، ويظهرُ المنكرُ، ويختفي المعروفُ، وفي الحديث عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ ))**

[أخرجه مسلم عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ]

## سنن وأقوال عن أهمية التوفيق في إنفاق الوقت:

أيها الأخوة الكرام، حضوراً ومستمعين، هنا محلُّ الإشارةِ إلى أنّ الإنسانَ إذا رُزِقَ التوفيقَ في إنفاقِ وقتهِ يستطيعُ أنْ يُطيلَ عمرَه إلى ما شاء الله بعد موته، فيحيا وهو ميت، ويؤدّي رسالتَه وهو تحت التراب، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**(( إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ))**

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

فكيف إنْ لم يكن له عملٌ أصلاً ووافتْه المنيّةُ؟!!




في حديثٍ آخرَ تضمّنَ تفصيلاتٍ لهذه الثلاث، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَداً صَالِحاً تَرَكَهُ، وَمُصْحَفاً وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ، أَوْ بَيْتاً لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْراً أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ))**

[رواه ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة ]

وأَخرجَ مسلمٌ في صحيحه أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:

**(( مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ))**

[رواه مسلم والنسائي وغيرهما عن جرير بن عبد الله]

فوَيْلٌ، ثم ويلٌ، ثم ويلٌ، لِمَنِ انقضتْ آجالُهم، وضلالاتُهم وآثامُهم باقيةٌ مِن بعدهم، وهنيئاً، ثم هنيئاً، ثم هنيئاً لِمَن كانوا تحت الثرى، والناسُ مهتدُون بهديهم سعداء بأعمالهم.

قال صاحب الحكم العطائية: " **رُبَّ عُمُرٍ اتَّسعت آمادُه، وقلَّتْ أمدادُه، ورُبَّ عُمُرٍ قليلةٌ آمادُه، كثيرةٌ أمدادُه، ومَنْ بوركَ له في عُمرِهِ أدركَ في يسيرٍ مِنَ الزمنِ مِنَ المِنَنِ ما لا يدخلُ تحتَ دائرةِ العبارةِ، ولا تلحقُه وَمْضَةُ الإشارةِ** ".

## 3. التواصي بالحق:

ثالثاً: التواصي بالحق،

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

أيها الأخوة الأعزاء، أيتها الأخوات العزيزات،

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾




لأنَّ النهوضَ بالحقِّ عسيرٌ، والعوائقَ كثيرةٌ، والصوارفَ عديدةٌ، فهناك هوى النفوسِ، ومنطقُ المصلحةِ، وظروفُ البيئة، وضغوطُ العمل، والتقاليدُ، والعاداتُ، والحرصُ، والطمعُ، عندئذٍ يأتي " التواصي بالحق "، ليكونَ مذكِّراً، ومشجِّعاً، ومحصِّناً للمؤمنِ الذي يجدُ أخاه معه يوصيه، ويشجِّعه، ويقف معه، ويحرصُ على سلامته، وسعادته، ولا يخذُله، ولا يسلبُه، وفضلاً عن ذلك، فإن" التواصي بالحق " ينقِّي الاتِّجاهاتِ الفرديةِ، ويَقِيها، فالحقُّ لا يستقرّ، ولا يستمرّ إلا في مجتمعٍ مؤمنٍ، متراصٍ، متعاونٍ، متكافلٍ، متضامنٍ.

أيها الأخوة الكرام في كل مكان، فالمرءُ بالإيمانِ والعملِ الصالحِ يكمِّل نفسَه، وبالتواصي بالحقِّ يكمِّل غيرَه، وبما أنّ كيانَ الأمةِ مبنيٌّ على الدِّينِ الحقِّ الذي جاءنا بِالنَّقلِ الصحيح، وأكّده العقلُ الصريحُ، وأقرَّه الواقعُ الموضوعيّ، وتطابقَ مع الفطرة السليمة، فلا بد أنّ يستمرَّ هذا الحقُّ ويستقرَّ، حتى تشعرَ الأمةُ بكيانها ورسالتها، " فالتواصي بالحق " قضيةٌ مصيريةٌ، فما لم تتنامَ دوائرُ الحقّ في الأرض، تنامتْ دوائرُ الباطلِ وحاصرتْه، "فالتواصي بالحق " يعني الحفاظَ على وجودِه، والأداءِ لرسالته.

## 4. التواصي بِالصَّبْر:

رابعاً: التواصي بالصبر، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، لقد شاءتْ حكمةُ الله جل جلاله أنْ تكون الدنيا دارَ ابتلاءٍ بالشَّرِّ والخيرِ، ودارَ صراعٍ بين الحقِّ والباطلِ، لذلك كان التواصي بالصبر ضرورةً للفوزِ بالابتلاءِ، والغلبةِ في الصراعِ.

إذاً: لا بد مِنَ التواصي بالصبر على مغالبةِ الهوى، وعنادِ الباطل، وتحّملِ الأذى، وتكبّدِ المشقةِ، لذلك يعدُّ الصبرُ وسيلةً فعالةً لتذليلِ العقباتِ، ومضاعفةِ القدراتِ، وبلوغِ الغاياتِ، قال تعالى:

**﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ (104) ﴾**

(سورة النساء)

## إدارة الوقت:

أيها الأخوةِ الكرام، حضوراً ومستمعين، العبرةُ ليست في إنفاقِ الوقتِ، بل في استثماره، فالوقتُ إذا أنفقناهُ ضاعَ، أما إذا استثمرناهُ فسينمو، ويُؤتِي ثمارَه في مستقبلِ حياتنا، وللأجيال القادمة.

إذاً كيف يُنفقُ المسلمُ الزمنَ إنفاقاً استثماريّاً؟ لئلاّ تُحقَّق به الخسارةُ، إنَّ هذا ما يسمَّى في المصطلح الحديث إدارة الوقت، وهو موضوعُ الخطبةِ اليومَ.

يا أخوتنا الأحباب، الوقتُ في حياةِ المسلمِ عبادةٌ ممتدَّةٌ، أمّا الوقتُ في الثقافةِ الغربيةِ، والنظرياتِ الماديةِ، فإنه لا يخرج عن نطاقِ المثل الشائع: " **الوقت هو المال** "، وإذا وَازَنَّا هذه العبارةَ بقولِ الحسنِ البصري رحمه الله تعالى: " أدركتُ أقواماً كان أحدهم أشحَّ على عمره منه على دراهمه ودنانيره ". نَستنتجُ أنّ الوقتَ عندَ المسلمِ أغلى مِنَ المالِ، ذلك أنّ المسلمَ يُدرك أنّ المالَ يمكنُ تعويضُه، بينما الوقتُ لا يمكن تعويضُه.




أيها الأخوة الكرام، الإنسانُ حينما يَحرقُ مبلغاً كبيراً مِنَ المال يُحكَم عليه بالسَّفَهِ، ويُحْجَر على تصرفاتِه، ولأنه مركَّبٌ في أعماقِ الإنسانِ أنّ الوقتَ أثمنُ مِنَ المالِ، بدليلِ أنه يبيعُ بيتَه الذي يسكنُه ولا يملكُ شيأً سِوَاهُ ليُجريَ بثمنِه عمليةً جراحيةً، متوهِّماً أنّها تزيدُ في حياتِه سنواتٍ عدةً، فالوقتُ عندَ كلّ إنسانٍ أثمنُ مِنَ المال، وبناءً على هذه المُسَلَّمَةِ فإنّ الذي يُتلفُ وقتَه أشدُّ سَفَهاً مِنَ الذي يُتْلِفُ مالَه.

إدارةُ الوقتِ هِي فعلُ ما ينبغي، على الوجهِ الذي ينبغي، في الوقتِ الذي ينبغي، الوقتُ مِن ذَهَبٍ، بل أغلى من الذهب، بل هو لا يُقدَّر بثمن، إنه أنت، ويُعَدُّ الوقتُ أحدَ أربعةِ مواردَ أساسية في مجال الأعمالِ ؛ المواد، والمعلومات، والأفراد، ثم الوقتُ الذي يُعدّ أكثرَها أهميةً، لأنه كلما تَحَكّمَ الفردُ في وقتِه بمهارةٍ وإيجابيةٍ استطاعَ أن يستثمرَه في تحقيقِ أقصى عائدٍ ممكنٍ مِنَ المواردِ الأخرى ؛ حيث إنّ الفردَ عندما يديرُ وقتَه بشكلٍ فعّالٍ هو في الحقيقة يديرُ نفسَه، وعبادتَه، وعملَه، ودنياهُ إدارةً فعّالةً.

أيها الأخوة، كي نكونَ واقعيّين، إنْ لم يكنْ بالإمكانِ استثمارُ كلِّ الوقتِ، فعلى الأقلّ يمكنُ أنْ نستثمرَ أكبرَ قدْرٍ مِنه.

وعلى الرغمِ مِن هذه الأهميةِ الكبيرةِ للوقتِ، فإنّ أكثرَ العناصرِ والمواردِ هدراً، وإنّ أقلَّها استثماراً، سواء من الجماعات، أو من الأفراد، هو الوقتُ، ويعود هذا لأسبابٍ عدّةٍ، أهمّها عدمُ الإدراكِ الكافي للخسارةِ الكبيرةِ المترتبةِ على سُوءِ إدارتِه.

## الوقت هو رأسُ المالِ الحقيقيّ للإنسانِ فرداً ومجتمعاً:

أيها الأخوة، الوقتُ مَوْرِدٌ نادرٌ، لا يمكن تجميعُه، ولأنّه سريعُ الانقضاءِ، وما مضى منه لا يرجع، ولا يعوَّض بشيء، كان الوقتُ أنفسَ وأثمنَ ما يملكُ الإنسانُ، وترجعُ نفاستُه إلى أنه وعاءٌ لكلِّ علمٍ، ولكلِّ عملٍ، ولكلِّ عبادةٍ، فهو في الواقعِ رأسُ المالِ الحقيقيّ للإنسانِ، فرداً ومجتمعاً.




مِنْ هذا المنطلقِ يعدُّ الوقتُ أساسَ الحياةِ، وعليه تقومُ الحضارةُ، فصحيحٌ أنّ الوقتَ لا يمكن شراؤه، ولا بيعُه، ولا تأجيرُه، ولا استعارتُه، ولا مضاعفتُه، ولا توفيرُه، ولا تصنيعُه، ولكن يمكن استثمارُه وتوظيفُه، أولئك الذين لديهم الوقتُ لإنجازِ أعمالِهم، ولديهم أيضاً الوقتُ لمعرفةِ ربِّهم، وعبادتِه، والتقرّبِ إليه، عرفوا قيمتَه، هم يستثمرون كلَّ دقيقةٍ مِن وقتهم، ولذا فإدارةُ الوقتِ لا تنطلقُ إلى تغييرِه، أو تعديلِه، أو تطويرِه، بل إلى طريقةِ استثمارِه بشكلٍ فعّالٍ، ومحاولةِ تقليلِ الوقتِ الضائعِ هَدْراً مِن دون فائدةٍ.

أيها الأخوة الأعزاء، أيتها الأخوات العزيزات، يؤكِّد بعضُ العلماءِ منذ زَمَنٍ قديم أنَّ الوقتَ يمرُّ بسرعةٍ محدّدةٍ وثابتةٍ، فكلُّ ثانيةٍ أو دقيقةٍ، وكلُّ ساعةٍ تشبهُ الأخرى، وأنّ الوقتَ يسيرُ إلى الأمامِ بشكلٍ متتابع، وأنه يتحركُ وَفقَ نظامٍ معيَّن مُحكَم، لا يمكن إيقافُه، أو تغييرُه، أو زيادتُه، أو إعادةُ تنظيمه، وبهذا يمضي الوقتُ بانتظامٍ نحو الأمام، دون أيّ تأخيرٍ أو تقديم، ولا يمكن بأيّ حالٍ مِنَ الأحوالِ إيقافُه أو تراكمُه أو إلغاؤُه أو تبديلُه أو إحلالُه، إنّه موردٌ محدَّدٌ يملكُه الجميعُ بالتساوي، فعلى الرّغم مِنْ أنّ الناسَ لم يُولَدوا بقدراتٍ أو فُرَصٍ متساويةٍ، فإنهم جميعا يملكون الأربعَ والعشرين ساعةً نفْسَها كلَّ يومٍ، والاثنينِ والخمسينَ أسبوعاً كلَّ عام، وهكذا فإن جميعَ الناس متساوون في ناحيةِ المُدَّة الزمنية، سواء أكانوا من كبار الموظفين أم مِن صغارهم، مِن أغنياء القوم أم مِن فقرائهم، لذلك فالمشكلةُ ليستْ في مقدار الوقتِ المتوفّر لكلٍّ مِن هؤلاء،

ولكنْ في كيفيةِ إدارةِ الوقت المتوفّر لديهم واستخدامِه، وهل يستخدمونه بشكلٍ جيّدٍ ومفيدٍ في إنجاز الأعمالِ المطلوبةِ منهم، أو يهدرونه، ويضيّعونَه في أمور قليلة الفائدة؟

## إدارة الوقتِ هي تحديدُ هدفٍ ثم تحقيقُه:

إنّ إدارةَ الوقتِ هي تحديدُ هدفٍ، ثم تحقيقُه، قال تعالى:

**﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾**

( سورة الملك )




لا شكّ أنّ مَنْ يمشي إلى هدفٍ وغايةٍ واضحةٍ أهدى مِمَّن يَخبِطُ خَبْطَ عشواء، هذه حقيقة. أيها الأخوة الكرام، الوقتُ نعمةٌ عظيمةٌ، تؤكّد السُّنّةُ المطهّرةُ ما جاء في القرآن الكريم مِن أنّ الوقتَ مِنْ نِعَمِ الله على عباده، وأنهم مأمورون بحفظه، مسؤولون عنه، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ ))**

[رواه البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ]

معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ))**

أيْ الذي يُوَفَّقُ لذلك قليلٌ، فقد يكون الإنسانُ صحيحاً، ولا يكون متفرّغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً، ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا . الصحةُ والفراغُ . فغَلَبَ على الإنسان الكسلُ عن الطاعة فهو المغبونُ، والغبنُ أنْ تشتريَ بأضعافِ الثمنِ، وأنْ تبيعَ بأقَلّ مِن ثمنِ المِثْلِ.

أيها الأخوة الكرام، الوقتُ مسؤوليةٌ كبرى، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

**((لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ))**

[رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي]

أيها الأخوة الكرام، الوقتُ وعاءُ العبادةِ، فالصلاةُ والزكاةُ والصيامُ والحجُّ ونحوُها عباداتٌ محددَّةٌ بأوقاتٍ معيَّنةٍ، لا يصحّ تأخيرُها عنها، وبعضُها لا يُقْبَل إذا أُدِّيَ في غير وقته، فهي مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بالوقتِ، الذي هو عبارةٍ عن الظرفِ أو الوعاء الذي تُؤَدَّى فيه. ومما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحثِّ على أداءِ العباداتِ في وقتِها قولُه حين سئل:

**(( أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ))**

[متفق عليه عن ابن مسعود]

## الوقت في حياة النبي عليه الصلاة والسلام:

كان عليه الصلاة والسلام مِن أَشَدِّ الناسِ حِرْصاً على وقته، وكان لا يَمضي له وقتٌ مِن غير عَمَلٍ لله تعالى، أو فيما لا بدّ له لصلاحِ نفسه، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف حالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( كان إذا أَوَى إلى مَنْزله جَزَّأَ دُخولَه ثلاثة أجزاء: جُزءا لله، وجُزءا لأهلْه، وجُزءا لنَفْسه، ثم جَزَّأَ جُزْءَهُ بَيْنَهُ وبين الناس، فَيردَ ذلك على العامَّة بالخاصَّة ))**

[ابن سعد في الطبقات الكبرى، والبيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه]

أيها الأخوة الكرام، وفي السنة النبوية الشريفة إشارات إلى أهمية الوقت:

عن أبن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( اِغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ))**

[أخرجه الحاكم في المستدرك، وابن أبي شيبة، والمنذري في الترغيب والترهيب عن ابن عباس ]

بل في حديث رائع عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ ))**

[أخرجه أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ]

لابن القيم رحمه الله تعالى قول في قيمة الوقت في حياة المسلم، يقول: "فالعارفُ ابنُ وقتِه، فإنْ أضاعَه ضاعت عليه مصالحُه كلها، فجميعُ المصالحِ إنما تنشأ مِنَ الوقت، فمتَى أضاعَ الوقتَ لم يستدرِكْه، فوقتُ الإنسانِ هو عمرُه في الحقيقة، وهو مادةُ حياتِه الأبديةِ في النعيم المقيم، ومادةُ المعيشة الضنكِ في

العذابِ الأليمِ، وهو يمرّ أسرعَ مِن مَرِّ السحابِ، فما كان مِن وقتِه لله وبالله فهو حياتُه وعمرُه، وغيرُ ذلك ليس محسوباً مِن حياته، وإنْ عاشَ فيه عيشَ البهائم، فإذا قَطَعَ وقتَه في الغفلةِ والشهوةِ والأماني الباطلةِ، وكان خيرُ ما قطعه بالنوم والبطالة، فموتُ هذا خيرٌ له مِن حياته، وإذا كان العبدُ وهو في الصلاة ليس له من صلاته إلا ما عَقَلَ منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله وله".

## من جَهِل قيمةَ الوقتِ فسيأتي عليه موقفان خطيران يتذكّر فيهما قيمةَ الوقت:

أيها الأخوة الكرام، من جَهِل قيمةَ الوقتِ فسيأتي عليه موقفان خطيران، يتذكّر فيهما قيمةَ الوقت.

### 1. ساعةُ الاحتضارِ:

الموقف الأول:




ساعةُ الاحتضارِ، حينَ يودِّع الدنيا ويستقبلُ الآخرة، ويتمنّى لو مُنِحَ مهلةً من الزمن، وأُخِّر إلى أجلٍ قريبٍ ليُصلِحَ ما أفسدَ، وليتداركَ ما فاتَ قال تعالى:

**﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(9) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ(10) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(11) ﴾**

( سورة المنافقون)

ويأتي الرد الإلهيّ:

**﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(11) ﴾**

## 2. في الآخرة:

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوفَّى كلُّ نفسٍ ما عملتْ وتُجزَى بما كسبت، ويدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، هناك يتمنّى أهلُ النارِ لو يعودون إلى دارِ التكليفِ، ليعملوا عملاً صالحاً، ولكنْ هيهاتَ هَيهاتَ، فقد انتهى زمنُ العمل، وجاء زمنُ الجزاءِ، قال تعالى:

**﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ(36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ (37) ﴾**

( سورة فاطر )

## القرآنُ يحذِّر مِنَ الغفلة والتسويف أشدَّ التحذير:

أيها الأخوة الكرام، أيها الأخوة الأحباب، القرآنُ يحذِّر مِنَ الغفلة أشدَّ التحذير، قال تعالى:

**﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾**

( سورة الأنعام )

آفةٌ أخرى أيها الأخوة، تصيبُ الناسَ، إنها التسويفُ، غداً، وبَعْدَ غدٍ، وسوف أتوبُ، وبعْد انتهاء العام الدراسي، وبعد تأسيسِ المحلِّ، وبعْد الزواجِ، آفة أخرى هي التسويف، قال الحسن البصري رحمه الله: "إيّاكَ والتسويفَ، فإنّك بيومِك، ولستَ بغدك، فإنْ يكن غدٌ لك، فكنْ في غدٍ كما كنتَ في اليوم، وإنْ لم يكن لك غدٌ، فلنْ تندمَ على ما فرَّطتَ في اليومِ". وقيل لعالم جليل: أوصنا، فقال: احذروا ( سوف ) فإنها جند من جنود إبليس، ولله دَرُّ مَنْ قال:

**تَزَوَّدْ مِنَ التّقوى فإنّكَ لا تدرِي  إذَا جَنَّ لَيْلٌ هل تعيشُ إلى الفَجْرِ**

**فَكَمْ مِن سَليمٍ مَات مِن غيرِ عِلّةٍ  وَكَمْ مِن سقيمٍ عَاشَ حِيناً مِنَ الدَّهْرِ**

**وَكَمْ مِن فتًى يُمسي ويُصبحُ آمناً وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يَدْرِي**

* * *

عبدُ اللهِ بن رواحةَ، صحابيٌّ جليل، القائدُ الثالثُ في معركةِ مؤتةَ ؛ ففيما تروي بعض السيرُ، حين قُتل زيدٌ، القائدُ الأولُ، ثم قُتل جعفرُ، القائدُ الثاني، وجاء دورُه في القيادة، وكان شاعراً، تردَّد قليلاً في حَمْلِ الراية، وقال هذين البيتين:

**يا نفسُ إلاّ تُقْتَلي تَمُوتِي هذا حِمَامُ الموتِ قدْ صَلِيتِ**

**وما تمنَّيتِ فقد لقِيــتِ إنْ تفْعلِي فِعْلَهُمَا هُدِيــتِ**

* * *

ثم أخَذَ الرايةَ، وقاتلَ بها حتى قُتِلَ، وكان النبيُّ عليه الصلاة والسلام مع أصحابه فقال:

**(( أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً، لَقَدْ رُفِعُوا لِي فِي الْجَنَّةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَرَأَيْتُ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ ازْوِرَاراً عَنْ سَرِيرِ صَاحِبَيْهِ، فَقُلْتُ: بِمَ هَذَا؟ فَقِيلَ لِي: مَضَيَا وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَعْضَ التَّرَدُّدِ وَمَضَى))**

[مجمع الزوائد وقال: أخرجه الطبراني عن رجل من الصحابة، وانظر حلية الأولياء والسيرة النبوية وتفسير القرطبي]

قرأتُ البيتين، وعددتُ الزمنَ، فكان الزمنُ عشرَ ثوانٍ فقط.

أرأيتم أيها الأخوة إلى هذا الترددِ الذي لا يزيد عن عَشْرِ ثوانٍ، كيف أنّه هَبَطَ بمنزلةِ صاحبِه في الجنة، مع أنّه بَذَلَ حياتَه في سبيل الله، إنَّ هذه القصة إنْ صحَّتْ تؤكِّد قيمةَ الوقتِ في حياة المسلم.

## الشّمسُ هي الزمانُ:




أيها الأخوة الكرام، إلى الموضوع العلمي كما تعوَّدتم، يقول الله تعالى:

**﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) ﴾**

( سورة يس)

الشّمسُ الزمانُ، وهي سببُ حصولِه، ومُنْشَعَبُ فروعِه، وأصولِه، وكتابُه بأجزائِه وفصولِه،

لولاها ما اتَّسقتْ أيامُه، ولا انتظمتْ شهورُه وأعوامُه، ولا اختلف نورُه وظلامُه، قال تعالى:

**﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) ﴾**

( سورة يس)

في مَوْقِعٍ معلوماتيٍّ في حقلِ الإعجازِ العلميّ في الكتاب والسنة وَرَدَتْ هذه الحقائقُ المذهلة،

**﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي ﴾**

إنّ الشمسَ نجمٌ عاديٌّ، يقع في الثلثِ الخارجيّ لشعاعِ قرصِ المجرّة اللَّبنية، وهي تجري بسرعة تقدر بمئتين وثلاثين كلم في الثانية حولَ مركزِ المجرةِ اللبنيةِ، الذي يبْعُدُ عنه ثلاثين ألف سنة ضوئية، ساحبةً معها الكواكبُ السيَّارةُ، التي تتبعُها حيثُ تُكمِلُ دورةً كاملةً حول مجرّتها، فمنذُ ولادتِها التي ترجع إلى خمسةِ مليارات سنة تقريباً أكملتْ الشمسُ وما تبعَها من نجومٍ ثماني عشرةَ دورةً حولَ المجرةِ اللبنية، التي تجري نحوَ تجمّعٍ أكبرَ هو كُدْسُ المجرات، وكُدْسُ المجراتِ يجري نحو تجمّع أكبرَ هو كُدْسُ المجراتِ العملاقُ، والكُدسُ المجموعةُ الكبيرةُ، فكل جِرم في الكون يجري ويدورُ حولَ جِرمٍ آخرَ، وهذا معنى قوله تعالى:

**﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾**

( سورة الطارق )

أي كلُّ نجمٍ يدورُ حولَ نجمٍ آخرَ، ويرجعُ إلى مكانِ انطلاقهِ النسبيّ، وهذه الحقيقةُ تنتظمُ الكونَ كلَّه، قال عز وجل:

**﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾**

تكرر الآية الكريمة التالية ستَّ مرات في كتاب الله:

إنّ مستقرَّ الشمسِ هو أجلُها المسمّى، والمقدّرُ لها مِنَ العزيز العليم، أي الوقت الذي فيه ينفذُ وقودُها فتنطفئُ، وهذا المعنى لمستقرّ الشمس نستنتجُه من الآية الكريمة التالية:

**﴿ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى (2)﴾**

( سورة الرعد)

وقد تكررت هذه الآية الكريمة ستَّ مرات في كتاب الله، وهذه المواضع هي:

**﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى (2)﴾**

( سورة الرعد الآية: 2)

وقال:

﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى (13)﴾

( سورة فاطر )

وقال:

﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى (29)﴾

( سورة لقمان )

وقال:

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) ﴾

( سورة يس )

وقال:

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(40) ﴾

( سورة يس )

وقال:

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى (5)﴾

( سورة الزمر )

وهناك موضع آخر، وهو قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(33) ﴾

( سورة الأنبياء )

## تكرار الآية السابقة كي نتوقف عند الإعجاز العلميّ الكامنِ فيها:

تكرار الآية السابقة ربما كي نتوقف عند الإعجاز العلميّ الكامنِ فيها، فحتى القرنِ التاسعِ عشر كانت المعلوماتُ الفلكيةُ تقول بأزليّةِ النجومِ، أما تقديرُ العزيزِ العليمِ فهو بأنّ للشمسِ أجلاً مسمًّى كَكُلِّ المخلوقاتِ، ولم يكشفْ عِلمُ الفَلَكِ إلاّ في القرن العشرين أنّ النجوم تولَدُ، وتنمو، وتكبُر، وتهرم، وتموت، وقد أشار القرآن الكريم إلى موتِ الشمسِ بالتحديد فقال:

## ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(1)﴾

( سورة التكوير )




تكوير الشمس يعنى موتَها . قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "**والصواب مِن القول عندنا في ذلك أن التكوير جمْعُ الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العِمامة، وجمعُ الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى (كورت) جُمِعَ بعضُها إلى بعض، ثم لُفَّتْ، فرُمِيَ بها، وإذا فُعِل بها ذلك ذَهَب ضوءُها** ".

يقدّر علماء الفلك أنَّ عمُرَ الشمس الحالي هو أربع مليارات سنة ونيِّف، ويبقى فيها من الطاقة ما يمكّنها من أن تضيء لمدة ستة مليارات سنة أخرى، فينبغي ألا نقلق، وبعد ذلك تكون قد استنفدتْ وقودَها، فتدخل في فئة النجوم الأقزام، ثم تموت، وبموتها تنعدم إمكانية الحياة في كوكب الأرض، وينتهي الزمن بالنسبة للأرض، بمعنىً من معانيه.

أيها الأخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخَّطانا إلى غيرنا، وسيتخّطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

# الفصل الثاني: خصائص الوقت

2.1 كيف مضت هذه الأعوام؟

2.2 الوقت وعاء كل عمل

2.3 قيمة الوقت في حياة المسلم

# 2.1 كيف مضت هذه الأعوام؟

## تمهيد:

أيها الإخوة المؤمنون ؛ كل مفقودٍ يمكن أن تسترجعه، إلا شيءٌ واحد إذا ضاع منك، أو إذا فاتك لا يمكن أن تسترجعه ألا وهو الوقت.

ربما كان الوقت أيها الإخوة المؤمنون أثمن شيء نملكه.

الإنسان في التعريف الدقيق: بضعة أيام، كلما انقضى منه يوم انقضى بضع منه.




الإنسان يعيش ستين عاماً، أربعين عاماً، سبعين عاماً، في النهاية مجموعة أعوام، والأعوام مجموعة أشهر والشهر مجموعة أيام، واليوم مجموعة ساعات، فكلما انقضت ثانية، كلما انقضت دقيقة، كلما انقضى يوم، كلما انقضى أسبوع، كلما انقضى شهر كلما انقضى عام، كلما انقضى فصل، معنى ذلك أن شيئاً من ذات الإنسان قد انقضى، وأنه في طريق النهاية كلما انقض يوم اقترب من المحطة الأخيرة، فلذلك أخطر شيء، أثمن شيء، أغلى شيء في حياة الإنسان هو الوقت، من استهلك وقته استهلاكاً تافهاً، استهلاكاً لا مردود له، استهلاكاً لا يتعلق بالآخرة، استهلاكاً لا يتعلق بمعرفة الله عز وجل، لا يتعلق بالعلم، لا يتعلق بالفقه، لا يتعلق بالعبادات، لا يتعلق بجوهر مهمته على هذه الأرض، إن هذا الاستهلاك الرخيص للوقت قد تعجبون، قد يكون هذا الاستهلاك الرخيص للوقت سبب هلاكه في الدنيا والآخرة فالوقت أيها الإخوة الأكارم أثمن شيء يملكه الإنسان، وإذا ضاع لا يمكن أن تسترجعه، ولا يمكن أن تعوضه، لذلك قال بعضهم.

**ما مضى فات والمؤمل غيب   ولك الساعة التي أنت فيها**

لا تملك إلا هذه الساعة، أما أن تقول في العام القادم سأداوم على مجالس العلم، العام القادم لا تملكه، قد لا تصل إليه، والذي فاتك فاتك لا تجدي الحسرة عليه، والذي سيأتي لا جدوى من الحديث عنه بأنك لا تملكه.

## خصائص الوقت:

أيها الإخوة المؤمنون ؛ من الأشياء اللطيفة والغريبة في الوقت نفسه أن الأيام التي مضت تحس أنها مضت سريعاً.

اسأل نفسك: كم مضى من عمري؟

قد تجيب بحسب بطاقة الميلاد، قد مضى أربعون عاماً، قد مضى ثلاثون، قد مضى عشرون، قد مضى ستون.

اسأل نفسك سؤالاً آخر: كيف مضت هذه الأعوام؟




الإجابة الواضحة السريعة الصحيحة أنها مضت سريعاً مضت كلمحٍ للبصر، مضت كيوم أو بضع يوم، مضت كساعة من نهار، وقد يتوهم الإنسان أنه في الثلاثين، وأن معترك المنايا بين الثلاثين والستين، وأنه إلى أن يبلغ سن الستين هناك أمد طويلٌ طويل هذا هو الخطأ، وهذا هو الخطر، هذا هو الخطأ بأن الذي بقي من العمر قد يمضي سريعاً كالذي مضى من العمر، هذا هو الخطأ، وهذا هو الخطر من أن الإنسان إذا اتكل على المستقبل، وقال سأفعل غداً وغداً وبعد غدٍ وفي أول العام، وفي نهاية الدوام، وبعد النجاح، وقبل الافتتاح، و، و، فإنه قد أهلك نفسه، فقد قيل هلك المسوفون، هذا الذي يؤخر التوبة، يؤخر معرفة الله، يؤخر تطبيق أمر الله، فلذلك الإنسان كما قالت رابعة العدوية رحمها الله الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى منه يوم انقضى بضع منه.

مما يؤكد هذه الحقيقة قول الله عز وجل:

**﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً ﴾**

[ سورة طه الآيات: 103-104 ]

يوماً، هذا العمر المديد سبعون عاماً، ثمانون عاماً، سبعون خريفاً، سبعون ربيعاً، سبعون صيفاً، سبعون شتاءً، مضت بعشرة أيام في تقدير بعضهم وفي تقدير بعضهم الآخر يوم واحد " إن لبثتم إلا يوما " وفي آية أخرى تؤكد هذا المعنى يقول الله عز وجل:

**﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا ﴾**

[ سورة النازعات الآية: 46 ]

يرون الحساب والعذاب، يرون جهنم، يرون الساعة.

**﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾**

[ سورة النازعات الآية: 46 ]

بضعة يوم، بضع يوم، العشية بعض يوم، والضحى بضع يوم.

## الناس وشأنهم في الدنيا.

أيها الإخوة المؤمنون ؛ شأن الناس في الدنيا غريب، كأنهم لا عقل لهم، كأنهم الذين يشيعون من أموات لا علاقة لهم بهم، كأن هؤلاء ماتوا مساكين، وهم لن يموتوا، كأن هذا الذي في النعش يسير أمامهم وقد ترك كل شيء واستقبل حياةً أبديةً سيحاسب فيها عن كل عمل صغير كان أو كبير، كأن هذا الذي في النعش من جنس آخر، من طبيعة أخرى، مات خطأً، أما هو لن يموت، هذا الكلام لن يصرح به، ولكن لسان حاله، ولسان أعماله، ولسان أماله يؤكد هذه الحقيقة، كأن الموت على غيرنا قد كتب، أما علينا نحن فنعيش، إلى ما شاء الله، فشأن الناس مع الموت غريب، أعمالهم محاسبون عليها عَملاً عملاً، وقتهم ينقضي، المحطة الأخيرة يقتربون منها ساعة الفراق أصبحت وشيكة، حتى أن الله عز



وجل لحكمة بالغة جعل قبل الموت ضعفاً، جعل انحناء الظهر، وجعل شيب الشعر، وجعل ضعف البصر، وجعل ضعف الإدراك، وجعل ضعف الذاكرة، وجعل بعض الخلل بالأجهزة، والأعضاء، يقول لك الطبيب نسبة هذه المادة في الدم قد ارتفعت، وهناك قصور في الكبد، وهناك ضعف في الكليتين، وهناك ضيق في الشريان التاجي للقلب، لماذا كانت هذه العلل، وهذا الخلل قبل الموت، نعمة بالغة، وفضل كبير من العلي القدير، من أجل أن تشعر أنه قد اقترب اللقاء، قد اقترب الرحيل، ماذا أعددت لهذه الرحلة الطويلة، ماذا أعددت للآخرة لئلا تقول:

**﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾**

لئلا تقول هذه الكلمة.

**﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾**

[ سورة الفجر الآيات: 24 . 26 ]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول الله عز وجل:

**﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾**

[ سورة المجادلة الآية: 6 ]

تأكد، اعلم علم اليقين، أنه ما من حركة، وما من سكنة، ولا من نفس، ولا من كلمة، ولا من نظرة، ولا من استماع، ولا من حركة يد، ولا من حركة رجل، إلا محسوبة، ومضبوطة، ومسجلة، ومقيمة، وسوف تحاسب عنها يوم القيامة.

**﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾**

## علاقة الإنسان بالوقت

### الحقيقة الأولى: علاقته بالوقت علاقة ساذجة.

فعلاقة الإنسان بالوقت علاقة ساذجة، علاقة ليس فيها إدراك حقيقي لما ينطوي عليه الوقت من من خطورة، وهذا الذي يقول غداً وبعد غدٍ ويسوف التوبة، يعتقد أنه يموت بين الستين والسبعين، وفاته أن الإنسان لا يدري إذا عاش اليوم هل يعيش غداً قال عليه الصلاة والسلام:

**(( من عد غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت ))**

[ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس تصحيح السيوطي: ضعيف ]

يعني إذا قال أنا غداً سأفعل كذا وكذا، على أن غداً من أجله سيعيشه حتماً، فقد أساء صحبة الموت، الله سبحانه وتعالى بين لنا كيف أن بعض الأقوام جاءتهم.

﴿ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾

[ سورة يس الآية: 49 ]

في أثناء خصوماتهم، الصفقة لم تنتهِ، وافته المنية ولم يقبض ثمنها، أقام دعوى على أخيه فلان، وافته المنية قبل أن يصدر الحكم، نال شهادة عليا، وافته المنية قبل أن يعود إلى بلده، سكن هذا البيت وافته المنية قبل أن يحسنه، اشترى هذا البيت وافته المنية قبل يسكنه، هذا الموقف موقف الطمأنينة البلهاء، الطمأنينة الساذجة للحياة، موقف لا يليق بالإنسان العاقل، عليه أن يعد العدة لساعة الرحيل.

## الحقيقة الثانية: الإنسان بين خمسة أيام.

أن بعض العلماء قال أنت بين خمسة أيام:

1- بين يوم مفقود.

2- وبين يوم مشهود.

3- وبين يوم موعود.

4- وبين يوم مورود.

5- وبين يوم ممدود.

فاليوم المفقود:




لا تفكر فيه، ولا تتحسر عليه، ولا تبحث فيه، لأن البحث فيه مضيعة للوقت، مضى وفات، ولا سبيل إلى استرجاعه.

وأما اليوم المشهود:

فهو أخطر أيامك، لذلك قال بعضهم والقول للإمام الحسن البصري:

ما من يوم ينشق فجره إلا منادي ينادي من

قبل الحق جل وعلا، يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، بعمل صالح، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

هذا اليوم المشهود، هذا اليوم يجب أن يكون في مقدمة أعمالك الكبرى، لذلك الإنسان المؤمن إذا فتح عينيه صباحاً يأتيه هذا الخاطر، لقد سمح الله لي أن أعيش يوماً جديداً، فكم من إنسانٍ آوى إلى فراشه ولم يستيقظ، كم من إنسان سافر ولم يعد، كم من إنسان بنى ولم يسكن، تعلم ولم يعمل، فلذلك إذا الإنسان استيقظ من صباحه يجب أن يقول هذه المقولة، لقد سمح الله لي أن أعيش يوماً جديداً، هذا هو اليوم المشهود.

وأما اليوم المورود:

فلابد من الموت، إن عاجلاً أو آجلاً، مهما اتقيت.

**لا تأمن الموت في طرف و لا نفس وإن تمنعت بالحجاب و الحرس**

**فما تزال سهام الموت نافـذة في جنب مدرع منها و مترس**

**أراك لست بوقاف ولا حـذر كالحاطب الخابط الأعواد في الغرس**

**ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس**

لحكمة بالغة، حكمة بالغة جداً، جعل الله الموت مسبوقاً بمرض، قد يكون المرض عضالاً، وقد يمتد سنوات طويلة، وقد يمتد أشهراً عديدة ولحكمة بالغة أيضاً جعل بعض أنواع الموت كالمح البصر، كيف مات؟ سكتة دماغية، انفجار في شرايين المخ، سكتة قلبية، قال لي بعض الأطباء، لا يمكن أن يسعف مريض السكتة القلبية إلا في حالة واحدة، قلت ما هي هذه الحالة، قال: إذا كان الطبيب إلى جانبه، لأن مدتها أقل من دقيقة، تنتهي، فإذا كان الطبيب إلى جانبه وهذا من المستحيلات فربما أسعفه، فلذلك أحياناً يأتي الموت بعد مرض طويلٍ طويل، وأحياناً يأتي الموت بغتةً، هذه دروس لنا، يعني إذا عشت اليوم فغداً هناك احتمال ألا تعيشه، ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أن تستعد للموت، ذاهب أنت إلى من؟ إلى رب العالمين، إلى أرحم الراحمين.

﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[ سورة آل عمران الآية: 158 ]

﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

[ سورة الزخرف الآية: 32 ]

﴿ إِنِّي آَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾

[ سورة يس الآيات: 25 . 27 ]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ واليوم المورود هي ساعة الموت.

واليوم الموعود:

ساعة الحساب يوم القيامة.

واليوم الممدود:

هو الأبد، إنا في جنة يدوم نعيمها، أو في نار لا ينفذ عذابها.

## الحقيقة الثالثة: يتوهم الإنسان أن الأشياء كلها تتحرك أمامه.

شيء آخر: الإنسان إذا ركب القطار أيها الإخوة يتوهم أن الأشياء كلها تتحرك أمامه، هذا وهم كبير، هو المتحرك، هو المتحرك نحو المحطة النهائية، فالإنسان بحسب نظرته البدائية فلان توفي، وفلان سافر وفلان قدم، وفلان أقام، وفلان ارتحل، وفلان اغتنى، وفلان افتقر، وفلان مرض، وفلان شفي لكن الحقيقة الكبرى أنك أنت الذي تسير، أنك أنت الذي تسير إلى المصير، فإذا أدركت هذه الحقيقة تفاعلت معها وضبط أمورك، وتحريت الحلال من الحرام، وبحثت عن طريق الجنة.




أيها الإخوة المؤمنون؛ يقول الله عز وجل مؤكداً هذه الحقيقة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾

[ سورة يونس الآية: 7 ]

يعني غفل عن ساعة الموت، لم يبالي بها، يقول لك بعض العوام يعني مع الناس إن هلكوا هلكت، وقال الجاهليون هكذا.

**وما أنا إلا من غزية إن غوت    غويت وإن ترشد غزية أرشد**

أنا مع الخط العريض مع الأكثرية، مع الناس في لهوهم، في مرحهم، في فسقهم، في فجورهم، في صحوهم، في غفلتهم، أنا مع الناس، هذه مقولة السذج مقولة الغافلين، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آَيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

[ سورة يونس الآيات: 7-8 ]

هذا الذي رضي بالدنيا، وجعلها كل همه، ومبلغ علمه، يسعد بها ويحزن من أجلها، مع أن المؤمن العاقل من عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبة، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي.

## الحقيقة الرابعة: مرور الوقت بظواهر يشعر بها الإنسان.

شيء مهم جداً في الوقت: أن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض بطريقة تشعر بها بمرور الوقت، خلق الأرض تدور حول الشمس، خلق الشمس والأرض، الشمس منبع ضوئي، وخلق الأرض كرة، وجعلها تدور حول نفسها، من دورتها حول نفسها تشكل الليل والنهار، صار في ليل ونهار، صار يوم السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، مضى أول أسبوع والثاني والثالث والرابع، مضى أول شهر، مضى ثاني شهر، مضى العام الفلاني، طبيعة خلق الأرض كروية، ووجودها في حيز الشمس المضيئة، ودورتها حول نفسها تشعرنا جميعاً بالليل والنهار، وما الليل والنهار إلا طريقة من طرق إشعارنا بمضي الزمن.




شيء آخر: دورة الأرض حول الشمس من أجل أن تشعرنا أن هذه الأرض التي أنتم عليها لها رحلة طويلة حول الشمس تستغرق عاماً بأكمله، فمن صيف إلى شتاء، إلى خريف، إلى ربيع، وفي كل شهر من شهور السنة برج في السماء ترونه.

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

[ سورة البروج الآية: 1 ]

اثنا عشر برجاً من بروج السماء نمر عليها كل شهر، نمر على واحد منها كل شهر في رحلتنا حول الشمس.

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾

[ سورة يس الآيات: 38 . 39 ]

الليل والنهار يشعرنا باليوم، والقمر يشعرنا بالشهر، أول الشهر. 4 . 5 . ربع، بدر تمام، محاق، مراتب القمر تشعرنا بمضي الشهر والفصول في السنة تشعرنا بالفصول، والعام كذلك، وجعل الله عز وجل جعل من العبادات ما هو يومي، وجعل من العبادات ما هو في العام مرة من أجل أن نشعر بمرور الوقت، فلذلك قال تعالى:

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾

[ سورة الروم الآيات: 17 . 18 ]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ آية ثانية تؤكد مرور الوقت.

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾

[ سورة الفرقان الآيات: 61 . 62 ]

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾

ليل ونهار، الليل للسكون والنهار للمعاش.

﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

[ سورة التوبة الآية: 126 ]

## الخلاصة:

ختام المطاف يا أخوة الإيمان رأس مالك الضخم في هذه الحياة عمرك، لذلك كان بعض الصالحين يمشي في الطريق فرأى مقهى والناس جالسون فيه إلى ساعة متأخرة من الليل، وهم يلعبون النرد، فقال هذا الرجل الصالح: يا سبحان الله لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم، لأن أثمن شيء تملكه هو الوقت، بالوقت تعرف الله، بالوقت تعبده بالوقت تفعل الخيرات، بالوقت تصلح ذات البين، بالوقت تأمر بالمعروف، بالوقت تنهى عن المنكر، بالوقت تحضر مجالس العلم، بالوقت تؤدي العبادات، كل هذا يحتاج إلى وقت، لذلك العمل مهما كان يدر على صاحبه الخير الوفير إذا استنفذ كل وقتك فأنت أكبر خاسر، إذا كان عملك اليومي يأخذ كل وقتك منذ أن تستيقظ وحتى أن تنام.




أين هي معرفة الله؟

ما الوقت الذي ادخرته لمعرفة الله؟

بالتفقه بأحكام الدين، بالعمل الصالح بالأمر بالمعروف، بالنهي عن المنكر، العمر أيها الإخوة رأس مالك الضخم، لذلك يوم القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام:

**(( لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم ))**

[ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عن ابن مسعود وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ ]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ عبد الله بن المبارك عالم جليل، وولي لله كبير، وعارف من العارفين بالله، قدم إلى مكة حاجاً، وخرج الناس كلهم يهرعون لاستقباله لينالوا من بركته، ولم يبق بمكة إلا الأطفال والشيوخ، وبعض النساء وكانت امرأة بمكة رأت أن الناس قد تركوها، وخرجوا لاستقباله، وأن الطرق فارغة، والبيوت فارغة، فسألت ما الأمر، ما لي لا أرى أحد بمكة من الناس، قالوا لها: لقد ذهبوا يستقبلون العالم الجليل عبد

الله بن المبارك، ويلتمسون البركة منه، فتعجبت هذه المرأة من روابط قلوب الناس بعلمائها، وعلمت أن العلماء يحكمون الأرواح، وأن الملوك يحكمون الأشباح، لقد قرأ ابن المبارك على أبي حنيفة رضي الله عنه فأراد أبو حنيفة أن يسأله عن بدء أموره، يعني كيف اهتدى إلى الله عز وجل، فاستحي أولاً، ثم قال ثانياً كنت جالساً، هذه القصة أردت منها تشجيع المقصرين، ابن المبارك العالم الجليل، العارف بالله الكبير، هكذا كانت بدايته، قال كنت جالساً مع أخواني في حديقة غناء، فأكلنا وشربنا إلى الليل، وكنت مولعاً بضرب الطنبور، العود يعني، فنمت سحراً فرأيت في منامي طائراً فوق رأسي على شجرة، يقول هذا الطائر في المنام.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾

[ سورة الحديد الآية: 16 ]

قلت بلى بلَى، فانتبهت من نومي، وقد امتلئ قلبي رعباً، وقمت لعودي فكسرته، وحرقت ما كان عندي من آلات اللهو، وكان هذا أول زهدي في الدنيا، وملذاتها، ولم يزل عبد الله بن المبارك ينتقل في ربوع العلم والأدب والورع حتى حاز الفضائل، وأصبح إمام عصره، يقتدى به في العلم والفضيلة، وأصبح علماً من أعلام المثل العليا، الذين يقتدى بهم بكل مكان وزمان، يعني أنت أيها الإخوة إذا عانيت التقصير اتلوا على مسامعك هذه الآية، كتاب لطيف رقيق.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾

[ سورة الحديد الآية: 16 ]

**إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمته مسؤول**

*** 

**عليك أياديه الكرام وأنت لا تراها كأن العين عميا أو حـولا**

**لا أنت مذكوم حوى المسك جيبه ولكن المحروم ما شمه أصلاً**

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

**والحمد لله رب العالمين**

# 2.2 الوقت وعاء كل عمل

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

## قيمة الوقت في حياة الإنسان:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ أمضينا خطباً عدة في موضوع العبادة، وخطباً مثلها في موضوع الصبر، وعالجت في الأسابيع الماضية موضوع العلم، وهأنذا أنتقل منه إلى أخطر موضوع في حياة الإنسان، إنه الوقت.

السيدة رابعة العدوية قالت: الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، القرآن الكريم، حبل الله المتين، المنهج القويم، الصراط المستقيم، أبرز قيمة الوقت في حياة الإنسان، فقال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

[ سورة إبراهيم: 33]

الليل والنهار يمثلان الوقت.

﴿وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

[ سورة إبراهيم:34]




الوقت وعاء كل عمل، وعاء كل عبادة، وعاء كل توبة، وعاء كل إنجاز، بالوقت تتعرف إلى الله عز وجل، وبالوقت تحذر الدار الآخرة، بالوقت تتقرب إلى الله، فهذا الذي يمضي وقته من دون حساب يمضي وقته جزافاً، هذا الذي يستهلك وقته استهلاكاً رخيصاً لا يعرف قيمة ذاته، لا يعرف مهمته بالحياة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ

﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

[ سورة إبراهيم: 33-34]

في آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾

[ سورة الفرقان: 62]

أي يخلف الليل النهار، ويخلف النهار الليل.

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾

[ سورة الفرقان: 62]

أي الله سبحانه وتعالى منحنا وقتاً كافياً كي نعبده، منحنا وقتاً كافياً كي نذكره، منحنا وقتاً كافياً كي نعود إليه، كي نتوب إليه ليلاً ونهارًا، أسبوعًا وأسبوعًا، فصلاً وفصلاً، صيفًا وشتاءً، عامًا وعامًا.

## قسم الله تعالى بالوقت ليلفت نظرنا إلى عظيم خطره:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الله سبحانه وتعالى حينما يقسم ببعض خلقه، والوقت من خلقه، إنما يقسم ليلفت نظرنا إلى عظيم خطر هذا الشيء، قال تعالى:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾

[ سورة الليل: 1 ـ 2]

﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾

[ سورة الفجر: 1 ـ 3]

﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾

[ سورة الضحى: 1 ـ 3 ]

ولكن السورة التي تعطي الوقت حقه من الخطورة، ومن الأهمية إنها سورة العصر، قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ﴾

[ سورة العصر : 1]

مطلق الزمن، مضي الزمن، تقلب الليالي والأيام، تكرار الشهور والأعوام.

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[ سورة العصر : 1-2]




تحرك عقارب الساعة يعني أن الإنسان في خسر، كلما زادت ساعة خسر الإنسان من عمره ساعة، كلما مرت الأيام والليالي اقترب الإنسان من ساعة الحساب، كلما مضت الشهور والأعوام دنا يوم العقاب، كلما تتالت السنون أصبح الحساب قريباً من الإنسان.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ وَالْعَصْرِ، مطلق الزمن، الزمن كما يصفه بعض علماء المادة إنه البعد الرابع للأشياء، للشيء طول وعرض وعمق، وله بعد رابع هو الزمن، والحركة تعني الزمن، مادامت الأرض تدور حول نفسها كان الليل والنهار، ومادامت الأرض تدور حول الشمس كانت الفصول والأعوام، ومادامت الشمس تجري لمستقر لها، عندما تنتهي هذه الرحلة تنتهي الحياة الدنيا، ينتهي كل شيء، ويبقى كل شيء، تنتهي اللذائذ، وتبقى المآثم، تنتهي الأحزان، ويبقى الإكرام، إذا مضت الحياة الدنيا بقي ثمن العمل.

## الإنسان في خسر إلا من عرف مهمته في الحياة:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛




﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[ سورة العصر : 1-2]

أي إنسان، جنس الإنسان تقدم الزمن ليس في مصلحتك، مرور الأيام ليس في مصلحتك.

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾

[ سورة العصر : 3]

إلا الذين عرفوا مهمتهم بالحياة، إلا الذين عرفوا لماذا كانوا في هذه الدنيا، إلا الذين عرفوا من

أين جاؤوا، وإلى أين المصير، إلا الذين عرفوا ربهم، إلا الذين عرفوا حقيقة الحياة الدنيا، إلا الذين عرفوا أثمن ما في الحياة الدنيا، هؤلاء:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[ سورة العصر: 3]

صبروا حتى آمنوا، صبروا حتى عملوا الصالحات، صبروا في الدعوة إلى الله، هؤلاء

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

عرفوا ربهم، وتقربوا إليه، اتصلوا بخالقهم، وأحسنوا إلى المخلوقات، هؤلاء الذين عرفوا سرّ الحياة، هؤلاء الذين عرفوا سرّ وجودهم مستثنون من هذه القاعدة:

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[ سورة العصر: 1-3]

## الوقت بين الاستهلاك والاستثمار:




يا أخا الإيمان، ألا تصدق رب الأكوان؟ ألا تصدق الخالق العظيم؟ الحكيم الخبير يقول لك: مهما فعلت، مهما اغتنيت، مهما تنعمت، مهما سافرت، مهما زاد من شأنك، مهما زاد من أولادك، مهما تمتعت إنك في خسر، ألا تصدق الله عز وجل؟ لأن هذا العطاء لابد من أن ينتهي عند الموت، لكنك إذا عرفت الله، وتقربت إليه، وعملت الصالحات، ونقلت اهتمامك كله من الدنيا إلى الآخرة، أصبح الوقت في صالحك، كنت تستهلك الوقت فإذا أنت تستثمره، وشتان بين الاستهلاك والاستثمار، مبلغ من المال قد تنفقه على طعامك وشرابك ونزهاتك ينتهي المال، وتنقطع اللذة، أما إذا استثمرته وعاد عليك بالأرباح الطائلة، فأنت بين أن تستهلك الوقت، وبين أن تستثمره، هذه الساعة التي بيدك عقربها يسير نحو النهاية، هذه الأيام ثمينة جداً.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ سيدنا معاذ بن جبل روى عن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثاً قال فيه عليه الصلاة والسلام:

**((لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال، عن عمره فيم أفناه؟))**

[الدارمي عن معاذ بن جبل]

كيف أمضاه؟ كيف استهلكه؟ استهلكه في جمع الدرهم والدينار؟ استهلكه في تحقيق مآربه الدنيوية؟ استهلكه في تنمية ثرواته التي لن ينفقها جميعها؟! كيف استهلكه؟!

**((عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟))**

[الدارمي عن معاذ بن جبل]

قد يسأل سائل: أليس الشباب جزءاً من العمر؟ نعم، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام خصّ الشباب بسؤال خاص، لأن الشباب هي الفترة الخطيرة في حياة الإنسان، فترة الاندفاع، فترة اعتقاد العقائد، فترة التطلع إلى المثل العليا، فترة التمسك بالمبادئ، فترة الاندفاع في أقصى سرعة، ألم يقل الله عز وجل:

**﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾**

[ سورة الروم: 54 ]

لماذا الشباب بالذات؟ لأنها قوة بين ضعفين، قوة بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، الطفل غير مكلف، وضعيف، ولا يقوى على شيء، وإذا تقدمت بالإنسان العمر، أصبح ضعيفاً، ووقف على هامش الحياة، لكن سن الشباب من هنا قال الله تعالى في الحديث القدسي:

**((أحب الطائعين، وحبي للشاب الطائع أشد، وأبغض العصاة، وبغضي للشيخ العاصي أشد ))**

[ورد في الأثر]

شتان بين الشاب الطائع، وبين الشاب العاصي، من هنا يقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: " إن الله ليباهى الملائكة بالشاب التائب، يقول: انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي ".

**((عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟))**

[الدارمي عن معاذ بن جبل]

العمر والشباب أول سؤال يسأل عنه الإنسان يوم القيامة، إنه الوقت كيف أمضيته؟ هذه الليالي في الشتاء كيف أمضيتها؟ في القيل والقال؟ في كلام فراغ؟ في الغيبة والنميمة؟ في متابعة أعمال فنية سخيفة؟

في الحديث عن الناس؟ في الحديث عن الدنيا؟ في الإيقاع بين الناس؟ في الخصومات؟ هذا الليل الطويل ربيع المؤمن، كيف أمضيته؟ هل طلبت العلم؟ هل تعرفت إلى الله عز وجل؟ هذا الصيف الطويل كيف أمضيته؟ هذا النهار الطويل في الصيف كيف ضيعته؟ في الاستجمام فقط؟ في الاسترخاء فقط؟ في مطالعة القصص السخيفة فقط؟ كيف أمضيته؟

**((عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ ))**

[الدارمي عن معاذ بن جبل]

## تزامن العبادات في الإسلام مع الوقت:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ألا ترون معي أن العبادات في الإسلام تزامنت تزامناً عجيباً مع الوقت؟ ما صلاة الفجر؟ إنها قبل طلوع الشمس، ماذا يقول المؤذن في أذان الفجر؟ يقول: الصلاة خير من النوم، النوم استهلاك للوقت، والصلاة استثمار له، ماذا ينبغي أن تقول لهذا المؤذن الذي يقول لك: الصلاة خير من النوم؟ تقول له: صدقت وبررت، إذا أصبحت الشمس في كبد السماء، وزالت عن كبد السماء، وأنت في زحمة العمل لئلا تستهلك استهلاكاً رخيصاً، لئلا يأخذك العمل إلى مذاهب شتى كان وقت الظهر، دع عملك، دع معملك، دع دكانك، دع طاولتك وتوجه إلى الله عز وجل، إذا مضى من الفجر ساعات عدة، جاء وقت الظهيرة، أصبح ظلّ الشيء مثله، دخل وقت العصر، غاب قرص الشمس جاء وقت المغرب، غاب الشفق الأحمر دخل وقت العشاء.

**((أرأيت لو كان بفناء أحدكم نهر يجري يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما كان يبقى من درنه؟ قالوا: لا شيء، قال: فإن الصلاة تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن ))**

[أخرجه ابن ماجه عن عثمان]




الصلوات الخمس متعلقة باليوم، وأما صلاة الجمعة التي لها أحكام خاصة، فيها خطبة، فيها تذكير بكتاب الله، فيها تذكير بسنة رسول الله، فيها أمر بالمعروف، فيها نهي عن المنكر، فيها أمر بالتقوى، فيها تذكير بالآخرة، فيها تعريف بالدنيا،

إنها في كل أسبوع، فإذا دخل الشهر ورأيت الهلال في كبد السماء، فهناك عبادة الدعاء، تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي خلقك أيها الهلال، وقدرك منازل، وجعلك آية للعالمين، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لمَا تحب وترضى، هلال خير ورشد، ربي وربك الله. الأوقات في اليوم الواحد لها عبادات، وهناك عبادة أسبوعية، ألا وهي صلاة الجمعة، وهناك دعاء شهري كلما استقبلت شهراً من شهور العام، ويأتي رمضان عبادة السنة، فيها حساب السنة، رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له، إن لم يغفر له فمتى؟ ويأتي الحج عبادة العمر فالعمر مرة واحدة.

الصلوات الخمس في اليوم، وصلاة الجمعة في الأسبوع، ودعاء استقبال الشهر عند كل شهر، وفي كل عام شهر الصيام، وفي العمر كله فريضة الحج، لذلك كان السلف الصالح يقول: الصلوات الخمس ميزان اليوم، كيف كان هذا اليوم، وصلاة الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر، ألا ترى أن هذه العبادات تتماشى مع الأوقات؟ ألا ترى أن هذه العبادات تريد أن تشعرك بالوقت؟ استيقظ من الفراش فقد دخل وقت الفجر، دع عملك وتوجه إلى المسجد، فقد دخل وقت الظهر، دخل وقت العصر، دخل وقت الغياب، دخل وقت العشاء، جاء الأسبوع، مضى الأسبوع، جاء الشهر، مضى الشهر، جاء العام، مضى العام، جاء العمر، ومضى العمر.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ والزكاة أيضاً لها علاقة بالوقت، عند كل حول يجب أن تزكي، وعند كل محصول يجب أن تزكي، وعلاقتها بالوقت واضحة.

## خصائص الوقت:

### 1 . سرعة انقضائه:

يا أيها الأخوة الأكارم، الشيء الذي يلفت النظر أن للوقت خصائص، من أبرز خصائص الوقت سرعة انقضائه.

**﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾**

[ سورة المؤمنون: 112، 113]

الذي عاش عمراً مديداً مَديداً يراه قد انقضى وكأنه ساعة، لذلك قال بعضهم: العمر ساعة اجعلها طاعة، العمر كله ساعة اجعلها طاعة، والنفس طماعة عودها القناعة.

قال بعض الشعراء:

**مرت سنين بالوصال وبالهنـــا فكأنها من كفرهـــا أيام**

**ثم انثنت أيام هجر بعدهـــــا فكأنها من طولها أعوام**

**ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم ما كانوا**

***




تصفحت كتاباً عن قصص العرب، وهو في أربعة أجزاء ممتعاً غاية المتعة، بعد أن انتهيت من تصفحه وجدت أن هؤلاء أصحاب هذه القصص جميعاً ذكيهم وغبيهم، قويهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم، قد أصبحوا تحت أطباق الثرى، ولم يبق إلا عملهم، نحن كذلك بعد مئة عام لن تجد واحداً منا على قيد الحياة، هكذا، لذلك أخطر ما في حياة الإنسان الوقت، دقيقة الألم ساعة، وساعة اللذة دقيقة.

**﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾**

[ سورة غافر: 46]

اللذائذ قد انقضت، والنعيم قد انقضى، وبقي الحساب والعذاب وهكذا الإنسان.

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إذا كان آخر العمر موتاً فسواء فيه القصير والطويل، تروي بعض الكتب أن سيدنا نوحاً عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، يلقبه بعض العلماء شيخ الأنبياء، لما جاءه ملك الموت ليقبضه قال: يا أطول الأنبياء عمراً كيف رأيت الدنيا؟ قال: رأيتها داراً لها بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر، هكذا.

## 2 . ما مضى منه لا يعوض:

الشيء الثاني من خصائص الوقت أن ما مضى منه لا يعوض، الخصيصة الأولى: سرعة انقضائه، والخصيصة الثانية: أن ما مضى منه لا يعوض، ما مضى فات، لن تعود عقارب الزمن إلى الوراء أبداً، لذلك قال الإمام حسن البصري:




" ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإذا مضيت فلا أعود إلى يوم القيامة، ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها " هذه الساعة التي أنت فيها أخطر ساعات حياتك، بهذه الساعة تتوب، في هذه الساعة تتصدق، في هذه الساعة تعمل الصالحات.

## 3 . الوقت أنفس ما يملكه الإنسان:

شيء آخر: إن الوقت يا أيها الأخوة المؤمنون أنفس ما يملكه الإنسان، إذا ملكت الآلاف المؤلفة، وجاء ملك الموت فما قيمة هذه الأموال؟ أثمن ما تملكه هو الوقت، هذا الذي يدفع المال في الطريق، يلقيه على قارعة الطريق، ماذا يفعلون به؟ يلقون الحجر عليه، ويسلبونه حق التصرف في أمواله، ويأخذونه إلى مستشفى الأمراض العقلية، إذا كان الوقت أغلى من المال، هذا الذي يبدد وقته في المقاهي، هذا الذي يمضي السهرات الطويلة في الكلام الفارغ، ألا يستحق هذا الإنسان أن يحجر عليه؟ ألا يستحق أن يساق إلى مصحات الأمراض العقلية؟ لأن الوقت أثمن ما يملكه الإنسان، إنه وعاء لكل عمل، رأس المال الحقيقي للإنسان، الوقت هو الحياة، بل أثمن شيء في الحياة.

## موقفان يعرف الإنسان فيهما قيمة الوقت:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هناك موقفان يعرف الإنسان فيهما قيمة الوقت، الموقف الذي يقول الله عنه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[ سورة المنافقون: 9 ـ 10]

بماذا أجاب الله عز وجل هذا الطالب؟

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[ سورة المنافقون: 11]




الموقف الثاني يا أيها الأخوة، موقف يقفه الإنسان في الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾

[ سورة فاطر: 36 ـ 37 ]

عمرناكم العمر الكافي، مضت الأيام، والشهور، والأسابيع، والسنون، مضى صيف وشتاء، وربيع وخريف، مضى العقد الأول، والعقد الثاني، والعقد الثالث، والعقد الرابع، والعقد الخامس، ودخلت في الستين، وفي السبعين.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾

[ سورة فاطر: 37]

العلماء قالوا: النذير هو القرآن الكريم، والنذير هو النبي الكريم، والنذير هو سن الأربعين، من دخل في الأربعين فقد دخل في أسواق الآخرة، والنذير هو سن الستين في قول آخر، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

**((أعذر الله إلى امرئ أمهله حتى بلغ ستين عاماً))**

[ رواه البخاري]

والنذير هو المصائب، والنذير هو موت الأقارب.

**﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾**

[ سورة فاطر : 37]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ سؤال محرج، سؤال مزعج، سؤال مفيد، أن تسأل نفسك يا ترى هل بقي بقدر ما مضى؟ إذا كان هذا الذي مضى قد مضى سريعاً وكأنه ساعة، فما قولك في هذا الذي بقي؟

أيها الأخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

* * *

## 3.2 قيمة الوقت في حياة المسلم

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

أيها الأخوة المؤمنون ؛ نحن في مناسبة انتهاء العام الميلادي، ميلاد سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، واستقبال عام جديد، فالموضوع الذي يقفز إلى أذهاننا موضوع الوقت، وقيمة الوقت في حياة المسلم، فالمسلمون الأوائل السلف الصالح كانوا حرصين على أوقاتهم حرصاً لا حدود له، كحرص المسلمين الذين جاؤوا بعدهم على أموالهم، وعلى تنميتها، وعلى استثمارها، كان السلف الصالح يحرصون على أوقاتهم من الضياع، ومن التبديد، يحرصون على أوقاتهم حرصاً لا حدود له، لذلك من حصاد هذا الحرص علمٌ نافع، و عملٌ صالح، وجهادٌ مبرور، وفتحٌ مبين، وحضارة راسخة الجذور، باسقة الفروع، بينما نجد بعض مسلمي اليوم قد ضيَّعوا أوقاتهم، وبدَّدوها حتى أنهم تجاوزوا في تبديدها حدَّ السفه، حتى غدوا في ذيل القافلة، بعد أن كانوا في مأخذ الزمام منها، فلا عملوا لعمارة الأرض كشأن أهل الدنيا، ولا عملوا للآخرة كشأن أهل الدين، بل خرَّبوا الدارين، وحرموا الحسنيين.




أيها الأخوة الكرام ؛ في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى قيمة الوقت، منها قوله تعالى:

**﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾**

[سورة إبراهيم: 33-34]

المقصود بالليل و النهار الوقتُ، الوقت مسخَّر لكم، كما أن السموات و الأرض مسخَّرة لإنسان لينتفع بها، وليتعرَّف بها إلى الله، كذلك الوقت مسخَّر للإنسان لأنه وعاءُ عمله.




أيها الأخوة الكرام ؛ آية ثانية تشير إلى قيمة الوقت، وهي قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾

[سورة الفرقان: 62]

أي أن الليل يخلف النهار، و أن النهار يخلف الليل، قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾

[سورة الفرقان: 62]

أيها الأخوة ؛ لو أن الإنسان وُضِع في غرفة بعيدة عن ضوءِ الشمس، لا ضوء فيها، مُنِع عنه كلُّ ما يشعر بمُضيِّ الزمن، يختلُّ عقلُه، لكن تتابع الليل و النهار، تتابع الأسابيع و الشهور، تتابع السنوات يشعر الإنسان بمضي الوقت، بل يشعره بقيمة الوقت، و يشعره بأن ما مضى فات، و أن كلَّ يوم ينقضي لا يعود، هذا بعضُ ما يُفهم من قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾

[سورة الفرقان: 62]

أي أن الليل يأتي بعد النهار، و النهار يأتي بعد الليل، من أجل أن تشعر بمضيِّ الوقت، ليل و نهار، أسبوع وأسبوع، شهر و شهر، عام و عام، فصل و فصل، عِقد و عِقد، فإذا بالزمن يمضي، وإذا برأس مال الإنسان ينتهي.

## لفت الله عز وجل نظر الإنسان إلى قيمة الوقت وعظيم نفعه في حياته:

أيها الأخوة الكرام ؛ قال بعض المفسّرين في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾

[سورة الفرقان: 62]




أي أن النهار يخلف الليل، و الليل يخلف النهار، كي تبادر إلى العمل الصالح، فما فاتك في النهار تدركه بالليل، و ما فاتك في الليل تدركه في النهار، ولا أدلَّ على أن قيمة الوقت كبيرة جداً في حياة المسلم، من أن الله سبحانه و تعالى خالقَ السموات و الأرض أقسم بالوقت أو ببعض أجزاء منه، قال تعالى:

**﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾**

[سورة العصر: 1-2]

وقال تعالى:

**﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾**

[سورة الفجر: 1-2]

وقال تعالى:

**﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾**

[سورة الضحى: 1-2]




و قد قال المفسَّرون: إن الله جلَّ وعلا إذا أقسم بشيء من خلقه فذلك ليلفت النظر إلى أن هذا الشيء جليل، وثمين، وعظيم النفع في حياة الإنسان، إذًا حينما أقسم الله بمطلق الزمن، أو ببعض الزمن أراد أن يلفت نظرنا إلى قيمة الوقت فهو حياتنا، وإلى أن الوقت وعاء أعمالنا، وأن الوقت إذا مضى لا يعود، وكذلك في السنة المطهَّرة، ففيما رواه البزَّارُ والطبراني بإسناد صحيح عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ:

((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ ؛ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ وَضَعَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟))

[الدارمي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ]

مما يلفت النظرَ في هذا الحديث أن الله سبحانه و تعالى يسأل الإنسان عن عمره بعامة، وعن شبابه بخاصَّة، عن عمره بعامة، وعن شبابه بخاصة، لأن الشباب سنُّ الحيوية الدافعة، والعزيمة الماضية، ولأن الشباب مرحلة القوم بين الضعفين، ضعف الشيخوخة، وضعف الطفولة، قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾

[سورة الروم: 54]

فأنت بين ضعفين، ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، وبين الضعفين قوة الشباب، واندفاع الشباب، وتوقُّد عزيمة الشباب، و مضاء عزيمة الشباب.

## قيمة الوقت تتجلى في أن العبادات مبنية عليه:

أيها الأخوة الكرام ؛ لا أدلَّ على قيمة الوقت، على قيمته الكبيرة من أن العبادات التي تعبَّدنا اللهُ بها سواء العبادات الشعائرية، أو العبادات المالية، أو العبادات البدنية، هذه العبادات مبنية على الأوقات، فحينما ينصدع الليل، و يسفر عن وجه الفجر، يقوم الداعي يملأ الآفاقَ، حيّ على الصلاة، حي على الفلاح، ثم يقول للناس: الصلاة خير من النوم فينبغي أن تجيبه و تقول: صدقت وبررت، هذا وقت الفجر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

يا بن آدم لا تعجز عن ركعتين قبل الشمس أكفك النهار كله، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ))

[مسلم عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]




وحينما يقوم قائم الظهيرة، وتزول الشمس عن كبد السماء، و يغرق الناس في المشاغل الدنيوية، هذا في مكتبه، وهذا في دكانه، وهذا في عمله، وهذا في حقله، و يغرق الناسُ في المشاغل اليومية، يعود المنادي لينادي مرة ثانية مكبّراً، ومهلِّلاً، شاهداً لله بالوحدانية، ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، داعياً إلى الصلاة والفلاح، هذا المنادي، وذاك الداعي ليتنزع الناسَ من براثن أعمالهم، ومتاعب همومهم، ليقفوا بين يدي خالقهم، ورازقهم، ومدبِّر أمرهم دقائق معدودات، لتكون هذه الصلاة صحوةً واستجماماً، وراحة يستريح بها المسلمُ من وعثاء هذه الرحلة الشاقة، وتلك الهموم الكثيرة.

أيها الأخوة الكرام ؛ هذه صلاة وسط النهار، صلاة الظهر، و حينما يصير ظلُّ كل شيء مثله ينادي المنادي مرة ثانية يدعو إلى صلاة العصر، وحينما يختفي قرصُ الشمس، ويغيب وجهها من الأفق يؤذِّن المؤذنُ لصلاة آخر النهار، صلاة المغرب، أما حينما يغيب الشفقُ، و يرتفع صوت المؤذن ليدعوَ إلى الصلاة الأخيرة صلاة الخاتمة صلاة العشاء، فهذا في اليوم الواحد، و كلُّ أسبوع تأتي صلاةُ الجمعة، فينادي المنادي إلى صلاة أسبوعية جماعية، فيها فقرة تعليم، وتوجيه، وتذكير، من تركها ثلاث مرات نكتت نكتة سوداء في قلبه، فعلى المسلم أن يؤدِّيها إذا أقلَّته الشمسُ إلى داره، وهذه عبارة الفقهاءِ، أي إذا كنت بعيداً عن مكان تُقام فيه صلاة الجمعة، وبإمكانك أن تعود من المسجد إلى البيت وقت المغرب، فعليك أن تؤدِّيها، لعِظَم قيمتها، و لعظم نفعها في حياة المسلم، يكفي أنه من ترك الجمعة ثلاث مرات نكتت نكتة سوداءُ في قلبه ثم يكون الرانُ، كما قال عليه الصلاة و السلام، هذا في الأسبوع، أشعرتك صلاةُ الجمعة أنه مضى أسبوعٌ و أتى أسبوع، وأشعرتك الصلواتُ الخمس أنه بزغ الفجرُ، وانتصفت الشمسُ في كبد السماء، وزالت، وصار ظلُّ الشيء مثليه أو مثله، و غاب قرصُ الشمس، وغاب الشفق الأحمر، أليس هناك دلالات أبلغ من هذه الدلالات على مضيّ الزمن في أثناء اليوم؟ وتأتي صلاة الجمعة لتشعرك بمضيّ الأسبوع، مضى أسبوع وجاء أسبوع، وسيأتي أسبوع، وهكذا، وفي كل شهر يبزغ الهلالُ، يستقبله المسلم كما علَّمَنا النبيُّ عليه

الصلاة و السلام مهلّلاً ومكبّراً، فَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ:

**((اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ))**

[الترمذي عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

بزوغ الهلال كل شهر يشعرك بمضيّ الشهور، ويأتي شهر رمضان من كل عام، حيث تُفتح أبواب الجنة، وتُغلق أبوابُ جهنم، وتُصفَّد الشياطين، ثم ينادي المنادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر اقصُر، وقد صعد النبي المنبر، فقال عليه الصلاة السلام مرات ثلاثاً، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ))**

[ الترمذي عن أبي هريرة]

ثم ينادي المنادي لعبادة من نوع خاص، أساسها التفرُّغ التام، والانتقال إلى بيت الله الحرام، لتُؤدَّى هذه العبادة في العمر مرة واحدة، أرأيت أيها الأخ الكريم كيف أن الصلوات الخمس تشعرك بحركة الشمس، ومع حركة الشمس مضيُّ الزمن في اليوم، وأن صلاة الجمعة تشعرك بمرور الأسابيع، و أن هلال كل شهر يشعرك بمضي الشهور، وأن مجيء رمضان يشعرك بمجيء العام، و مضي العام، وأن الحج يشعرك أن العمر كاد ينتهي، فهو رحلة قبل الأخيرة إلى الله.

## الحكمة من أن العبادات في الإسلام أساسها الوقت:

أيها الأخوة الكرام ؛ كان بعض السلف الصالح يسمِّي الصلوات الخمس ميزانَ اليوم، ويسمي صلاة الجمعة ميزان الجمعة، و يسمي أداء رمضان ميزان العام، و يسمي فريضة الحج ميزان العمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي بَعْدَهَا كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا قَالَ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَالشَّهْرُ إِلَى الشَّهْرِ يَعْنِي رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا قَالَ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ قَالَ فَعَرَفْتُ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ حَدَثَ إِلَّا مِنْ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ وَنَكْثِ الصَّفْقَةِ وَتَرْكِ السُّنَّةِ قَالَ أَمَّا نَكْثُ الصَّفْقَةِ أَنْ تُبَايِعَ رَجُلًا ثُمَّ تُخَالِفَ إِلَيْهِ تُقَاتِلُهُ بِسَيْفِكَ وَأَمَّا تَرْكُ السُّنَّةِ فَالْخُرُوجُ مِنْ الْجَمَاعَةِ))**

[ أحمد عن أبي هريرة]

وتأتي الزكاة عند كل حولان حول، أو عند كل حصاد، وجني الزرع، والثمار، والزكاة أيضاً متعلِّقة بالوقت.

أيها الأخوة الكرام، أرأيتم كيف أن العبادات في الإسلام أساسها الوقت، من أجل أن تشعر بمضيّ الوقت، ومن أجل أن تحرص عليه، ومن أجل أن يكون الوقتُ وعاءً عليه.

## خصائص الوقت:

### 1 . سرعة انقضائه:

يا أيها الأخوة الكرام ؛ للوقت خصائص ينفرد بها، أولُ هذه الخصائص سرعةُ انقضائه، فهو يمرُّ مرّ السحاب، ويجري جري الرياح، سواء أكان زمنَ مسرَّة وفرح، أم زمن اكتئاب وترَح، و إن كانت أيامُ السرور تسير أسرع، و أيام الهموم تسير أبطأ، فدقيقة الألم ساعة وساعة اللذة دقيقة، قال بعض الشعراء:

**مرَّت سنينٌ بالوصال و بالهنـا    فكأنها من قصرها أيــامُ**

**ثم انثنت أيام هجر بعدهـــــا    فكأنها من طولها أعوامُ**

**ثم انقضت تلك السنون وأهلها    فكأنها و كأنهم ما كانوا**

***




اقرأ كتاباً في التاريخ، تجد أن الأقوياء قد ماتوا، و الضعفاء قد ماتوا، و الفقراء قد ماتوا، و الأغنياء قد ماتوا، و الأصحاء قد ماتوا، والمرضى قد ماتوا، و أنهم جميعاً تحت أطباق الثرى، رهنُ أعمالهم الصالحة أو الطالحة.

أيها الأخوة الكرام ؛ مهما طال العمرُ فهو قصير، ما دام الموت نهايةَ كل حيٍّ، كل مخلوق

يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة و الجبروت، و الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، و العمر مهما طال فلا بد من نزول القبر، و إذا كان آخرُ العمر موتاً، فسواء قصيرُه والطويلُ.

يُحكَى أن ملَك الموت جاء شيخَ المرسلين، سيدنا نوح عليه و على نبيّنا أفضل الصلاة و السلام، وقد عاش هذا النبيُّ ألف عام، لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، سأله ملك الموت: يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا؟ قال:" وجدتها كدار لها بابان، دخلت من أولهما و خرجت من الباب الآخر "، إن صحَّت هذه القصة فإنما تشير إلى أن الزمن يمضي سريعاً، وهذا ما أكَّده القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾

[سورة النازعات: 46]

وقال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾

[ سورة يونس: 45 ]

## 2 . ما مضى منه لا يعود و لا يُعوَّض:

والخصيصة الثانية من خصائص الوقت أنه ما مضى منه لا يعود و لا يُعوَّض، الإمام الحسن البصري يقول: " ما من يوم ينشقُّ فجرُه إلا و ينادي: يا بن آدم، أنا خلقٌ جديد و على عملك شهيد، فتزوَّد مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة"، و البيت الذي تعرفونه جميعاً:

**ألا ليت الشباب يعود يوماً    فأخبره بما فعل المشيبُ**

***

وهذه ليت من أدوات التمني، والتمني شيء، والترجِّي شيء آخر، لعل تفيد الترجي، لكن ليت تفيد التمني، والتمني من معانيه استحالةُ وقوعه، ألا ليت الشباب يعود يوماً.

## 3 . أنفس ما يملك الإنسان:

أيها الأخوة الكرام؛ و من خصائص الوقت أنه أنفس ما يملك الإنسان، مادام الوقت سريع الانقضاء، و كان ما مضى منه لا يرجع، ولا يعوَّض، فصار الوقتُ أثمنَ شيء يملكه الإنسانُ، تصوَّر أن الوقت واحد، و

أن المال صفر أمامه، صار عشرة، و أن الزوجة صفرٌ آخر، مئة، والأولاد صفر ثالث، حظوظ الدنيا كلُّها أصفار إلى جنب الواحد، فإذا حذفت هذا الواحد فالدنيا كلُّها أصفار، و لا معنى لها إطلاقاً




فالوقت هو ظرف العمل، وعاء العلم الصالح، فإذا انقضى لا ينفع المالُ، ولا تنفع الزوجة، ولا الأولاد، ولا الجاهُ، ولا المنصبُ، ولا المكانة، ولا التجارة، ولا أيُّ شيء في الدنيا، إذًا هو أخطر ما في الحياة.

## الوقت وعاء لكل عمل و رأس ماله الحقيقي:

أيها الأخوة الكرام ؛ الوقت وعاء لكل عمل، فهو في الحقيقة رأس ماله الحقيقي، لذلك هناك في سورة العصر نقطة قلَّما ينتبه إليها الناسُ، حينما قال الله عز وجل:

**﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾**

[سورة العصر : 1-2]

الخسارة هنا ليست في معصية الله، ولكن في مضيِّ الوقت وحده، لأن رأس مال الإنسان هو الوقت، تتابع الأيام يستهلك هذا الوقت، إذًا هو في خسارة، ألم يسارع إلى تمضية وقته بأعمال صالحة تعود عليه بعد مضيِّ الوقت؟ فإنه في خسارة، الذي ينفق عمره من دون معرفة بالله، ومن دون عمل صالح، ومن دون أن يرجوَ حياته الآخرة، كمن ينفق من رأس ماله، فإذا انتهى رأسُ ماله تحقَّقت خسارتُه، إذًا الخسارة أن يمضي الوقتُ دون أن يمتلئ بالعمل الصالح.




أيها الأخوة الكرام ؛ لو أن إنساناً لا سمح الله و لا قدَّر أصابه مرضٌ عضال، و هناك عملية بالغة التعقيد يمكن أن تُجرى في بلد بعيد، لكن هذه العملية تكلِّفه ثمن بيته، ماذا يفعل؟ من دون تردد يبيع البيت ليجريَ العملية، ما معنى إجراء العملية و بيع البيت؟ معنى ذلك أن قيمة الوقت عنده أو قيمة الحياة أو قيمة استمرار الحياة أجلُّ و أعظم من ثمن البيت، لذلك ترى أيَّ إنسان من دون تردُّد ينفق كل ماله من أجل أن يعيش سنوات معدودات، فيما يتوهَّم زيادة على ما كان ينبغي أن يكون، فالإنسان أيها الأخوة ينطلق إذًا وهو يعتقد اعتقاداً جازماً حتى في فطرته أن الوقت أثمن من المال، إذا رأيت إنساناً يبدِّد أمواله، يضعها في الحاويات أو يمزِّقها أو يحرقها، ألا تحكم عليه بالسفه والجنون؟ ألا يحجَر على تصرفاته؟ ألا يُودع في مستشفى الأمراض العقلية؟ كذلك الذي يبدِّد وقته، الذي هو أثمن من المال بكثير، لذلك مرَّ بعضُ الصالحين على قوم في مقهى يلعبون النرد، قال: يا سبحان الله ! لو أن الوقت يُشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم، لا يرى المؤمنُ في حياته شيئاً أثمن من الوقت، لا يرى المؤمن في حياته على الإطلاق شيئاً أثمن من الوقت، لأنه بالوقت يعرف الله، و بالوقت يطلب العلم، و بالوقت يحضر مجالس العلم، و بالوقت يعمل الصالحات، و بالوقت يرعى الأيتام، و بالوقت يتفقَّد الأراملَ، بالوقت يطعم الفقراء والمساكين، بالوقت يدعو إلى الله، فإذا خسر الإنسان وقته خسر كلَّ شيء.

## بطولة الإنسان أن يستثمر وقته و يعد للساعة التي لابد منها:

لذلك أيها الأخوة الكرام ؛ يقول الحسن البصري: " يا بن آدم إنما أنت أيامٌ مجموعة، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضُك "، و قال العلماءُ: من جهِل قيمةَ الوقت عرف قدره و نفاسته و قيمة العلم فيه بعد فوات الأوان في موقفين اثنين، الموقف الأول ساعة الاحتضار، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[سورة المنافقون: 9-10]

يأتي الجوابُ:

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة المنافقون: 11]

هذا الموقف الأول، في ساعة الاحتضار، لذلك الإنسان في ساعة الاحتضار يُكشف عنه الغطاءُ، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[سورة ق: 22]




الناس نيامٌ إذا ماتوا انتبهوا، في هذه الساعة التي يُكشف فيها الغطاء يرى مكانه في النار أو مقامه في الجنة، فالذي يرى مقامه في الجنة يقول: لم أرَ شرًّا قط، ينسى كلَّ متاعب الحياة، و الذي يرى مكانه في النار يقول: لم أر خيراً قط، ينسى كلَّ مسرَّات الحياة، فالبطولة أيها الأخوة أن تعِدَّ لهذه الساعة التي لا بدَّ آتية، و قد تأتي بغتة من دون سابق إنذار، الكيِّس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، لن تكون بطلاً إلا إذا ضحكت و الناسُ يبكون من حولك، يأتي الإنسان إلى الدنيا باكياً و من حوله يضحك، و سيأتي يومٌ يبكي من حوله، فإذا كان بطلاً يضحك في هذه الساعة بلقاء ربه، يفرح بما أعدَّ الله له من جنة عرضها السموات و الأرض، يفرح أنه مات على طاعة الله، يفرح أنه مات في رضا الله عز وجل، هذا هو الفوز العظيم، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[سورة الأحزاب: 71]

في الآخرة، قال تعالى:

**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾**

[سورة فاطر: 36-37]

يأتي الجوابُ:

**﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾**

[سورة فاطر: 37]

يا أيها الإنسان كم مرة رأيت بزوغ الشمس و انتصافها في كبد السماء و ميلها إلى الغروب و غروب الشمس؟ كم مرة في حياتك؟ كل يوم، و كم مرة دُعيت إلى صلاة الجمعة واستمعت إلى الخطبة؟ و كم مرة صمت رمضان؟ قال تعالى:

**﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾**

[سورة فاطر: 37]

## التعريف بالنذير:

الإمام القرطبي يفسِّر النذير بأنه القرآن الكريم، و يفسِّر النذير بأنه النبيُّ عليه الصلاة و السلام، ويفسِّر النذير بأنه سنُّ الأربعين، بلغت أشدَّك و اكتمل عقلُك، و يفسِّر النذير بأنه سن الستِّين، و يفسِّر النذير بأنه الشيب، عبدي ضعف جسمك، و انحنى ظهرُك، و ضعف بصرُك، وشاب شعرُك فاستحِ مني فأنا أستحي منك، و يفسِّر النذير بالمصائب، ويفسِّر النذير بموت الأقارب، تعرفه و يعرفك، تعرفه معرفة متينة، إن هي إلا ثوانٍ معدودات حتى صار خبراً بعد أن كان رجلاً، صار خبراً على الجدران، نُعي على الجدران، لذلك أيها الأخوة ألِف الخطباءُ أن يقولوا في آخر خطبهم: اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا و سيتخطَّى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الإنسان يمشي كلَّ يوم في شوارع المدينة فيرى عشرات النعوات، ما الذي حصل؟ أن ملك الموت تخطَّاه إلى غيره، و سيأتي يومٌ يقرأ الناسُ فيه نعوته، و سيتخطَّى ملَك الموت غيرَه إليه في أحد الأيام، هذا وقتٌ لا بد أن يأتي، والحمد لله رب العالمين.

* * *

# الفصل الثالث: المحافظة على الوقت

## 3.1 الوقت رأس مال المؤمن

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ربنا سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض بطريقة نحس بها بمرور الوقت، إحساسك بمرور الساعات يتأتى من تنقل الشمس في قبة السماء، تنقل الشمس في قبة السماء من الشروق إلى الضحى، إلى الزوال إلى منتصف القبة السماوية بين الزوال والغروب، إلى الغروب، تنقل الشمس من قبة السماء دليل مضي الوقت، والليل والنهار دليل مضي الوقت، والإحساس بمرور الأيام، القمر بأشكاله المختلفة، ومراتبه المتنامية دليل على مرور الأيام، والبروج التي نراها في دورتنا حول الشمس دليل على مرور الشهور، وتغير ملامح الوجوه دليل على مرور السنوات والعقود، من مضي الساعة، إلى مضي اليوم، إلى مضي الأسبوع، إلى مضي الشهر، إلى مضي السنة، إلى مضي العقود هناك علامات دالة على مرور الوقت، إذاً هو شيء ثمين لابد من أن يستغل لمصلحة الإنسان.

### المحافظة على الوقت:

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هناك أوامر إلهية، وهناك نواهن إلهية، هدفها الحفاظ على الوقت قال تعالى:

**﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾**

[ سورة المؤمنون الآيات: 1 ـ 3 ]




ما هو اللغو؟ كل ما سوى الله، كل ما لا يمت بصلة إلى الآخرة كل الذي يترك في الدنيا، كل ما سوى الله لغوٌ، ألا كل شيء ما خلا الله باطل، فأي جهد، وأي وقت، وأي طاقة تصرفها من أجل الدنيا فهي مضيعة للوقت إلا أن تكون الدنيا من أجل الآخرة، قد يقتات الإنسان فيتقوى بالقوت على طاعة الله، هذا يتصل بالآخرة، فأي عملٍ يتصل بالآخرة من كسب رزق، من أداء

عبادة، من حضور مجلس علم، هذا توظيف للوقت، واستغلال له على أحسن الوجوه، وكل وقت يبذل للدنيا فقط من دون أن تكون لهذه الدنيا علاقة بالآخرة فإنه استهلاك رخيص للوقت، إنه ضياع للجهد، إنه استهلاك للحياة.

عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**(( لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه ))**

[ رواه الطبراني والبزار بنحوه ]

فالإشارات الدقيقة التي تؤكد أن الوقت شيء مهم وردت في القرآن الكريم:

**﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾**

[ سورة المؤمنون الآيات: 1 . 3 ]




ماذا يفعل اللغو؟ قد يكون اللغو مباحاً، قد تصرف وقتك في المباح، لكن لأن الحياة محدودة، والعمر محدود، وهذا العمر يجب أن يستنفذ في طاعة الله كان هذا خسارة كبرى في حياة الإنسان.

أيها الإخوة المؤمنون ؛ الحقيقة الثانية:

أن الواجبات التي كلفنا الله بها أكثر من الأوقات المتاحة، دائماً أنت في سباق مع الزمن، الزمن كالسيف إن لم تقطعه قطعك، الزمن يمشي، الحياة لا تقف، فإن لم تستغل هذا الوقت في طاعة الله كنت من المسبوقين، وتجاوزك الآخرون، وبلغوا المراتب العليا، وصرت أنت في أسفل السلم، فلذلك تعد الواجبات، وفي مقدمتها معرفة الله، لو بذلت كل العمر، لو بذلت كل وقت في طاعة الله لوجدت هذا في جنب الله قليلاً لوجدت هذا في جنب عطاء الله تافهاً، لذلك المؤمن لابد من أن يندم يوم القيامة على ساعة مضت لم يذكر الله فيها، يقول الله عز وجل:

**﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾**

[ سورة القصص الآية: 73 ]

في نقطة هامة جداً، هو أن كل عملٍ يحتاج إلى شيئين، إلى أرض، وإلى زمان، إلى مكان، وإلى زمان، فإذا انعدم الزمان تعطل العمل، قد تملك الأرض، وقد تملك الثمن، وقد تملك المقومات، وقد تملك الأهلية، ولكن لا تملك الوقت لتحقيق العمل، فالوقت شرط مهم جداً لتحقيق الأعمال، فإذا اتسع الوقت كان هذا مغنماً كبيراً، وكان هذا حجةً كبرى على الإنسان إذا أتلف وقته في ما لا جدوى منه.

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول الله عز وجل:

**﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾**

[ سورة القصص الآية: 73 ]

فضل الله في الدنيا، وفضل الله في الآخرة يبتغى من الوقت الذي خلقه الله عز وجل، الوقت من خلق الله عز وجل، هذا العمل الصالح إذا فعلته نجوت، وإن لم تفعله فقد ضيعت الوقت الذي كان من الممكن أن تصرفه فيه.

**﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾**

[ سورة القصص الآية: 73 ]

## قيمة الوقت:

أيها الإخوة المؤمنون ؛ من صفات العوام الجهلاء أنهم لا يعرفون قيمة الوقت، إنهم يستهلكون أوقاتهم بلا طائل، وليتهم وقفوا عند هذا الحد، إنهم يستهلكون أوقاتهم وأوقات غيرهم بلا طائل، يعدك ليزورك في البيت، يمضي معك الساعات الطوال في الحديث عن فلان وعلان وعن كذا وكيت في أشياء لا تقدم ولا تؤخر، ولا ترقى بك إلى الله عز وجل.

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

**(( لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقم لسانه ))**

[ رواه أحمد عن أنس بن مالك ]




فالذي لا يعرف قيمة الوقت لا ينبغي أن يعتدي على وقت الآخرين لا ينبغي أن يضيع وقتهم في التوافه، في الترهات، في الأباطيل، في قيل وقال، إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرت السؤال، وإضاعة المال، يعني أكاد أقول إن أثمن شيء تملكه الوقت، إنك بعض الوقت.

تعريف الإنسان: بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

إذا استهلكت الوقت استهلاكاً رخيصاً فإنما تستهلك ذاتك، التي جعلت بيدك أمانة كي تسعدها إلى الأبد.

يقول عليه الصلاة والسلام:

**(( نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ))**

[ أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس ]

هذا الذي يتمتع بصحة تامة، لا يشكو شيئاً، وعنده متسع من الوقت، يأتي يوم القيامة يتقطع ندماً كيف لم يستغل هذه الصحة، وهذا الوقت في معرفة الله عز وجل، كيف لا يستغل هذه الصحة، وهذا الوقت في عبادته، في التقرب إليه، في معرفة أسماءه الحسنة، في الدعوة إليه.

**(( نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ))**

لذلك: يقول عليه الصلاة والسلام، دققوا في هذا الحديث:

**(( اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك ))**

[ أخرجه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس ]

ثلاث فقرات في هذا الحديث متعلقة بالوقت، من استغلال الوقت العمل المستمر، العمل مهما قل إذا استمر انتهى بإنجاز كبير، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

**(( أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ))**

[ أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ]




هذا العمل الطيب القليل مع مضي الليالي والأيام، مع مضي الأسابيع، مع مضي الشهور، مع مضي السنوات، إذا أنت حققت إنجازاً كبيراً، لو أنك عاهدت نفسك ألا تتخلف عن مجلس علم واحد، بعد سنوات عدة تحس أنك قد قطعة مرحلة كبيرة في معرفة الله، لقد ارتقت نفسك، لقد تهذبت مشاعرك، لقد ارتقت أحوالك، لقد أصبحت عزيز النفس، بعيداً عن السفاسف، هذا كله يتأتى من المثابرة، من المداومة.

النبي عليه الصلاة والسلام يلح على المداومة، ويقول:

**(( عليكم يا أيها الناس من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها، وإن قل ))**

[ محمد بن نصر عن أبي هريرة . كنز العمال ]

شيء آخر: من المحافظة على الوقت الثمين التبكير إلى العمل، قال عليه الصلاة والسلام:




**(( بورك لأمتي في بكورها ))**

[ أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ]

فالذي يخرج من بيته الساعة الثامنة، أو الساعة السابعة يمضي أعمالاً كثيرةً جداً حتى الساعة الحادية عشرة، والذي يخرج من بيته الساعة الحادية عشرة فوت عليه خير كبير.

أيها الإخوة الأكارم ؛ بورك لأمتي في بكورها، هذا حديث شريف.

قال عليه الصلاة والسلام:

**(( ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ))**

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ]

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضجعة متصحبة فحركني برجله وقال:

**(( يا بنية ! قومي فاشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ))**

[ ابن النجار .كنز العمال ]

رجل له مؤلفات عدة، التقيت به، قال لي أنا أكتب من الساعة الرابعة وحتى الساعة التاسعة كل يوم، خمس ساعات، في أول اليوم والإنسان في كامل النشاط، بورك لأمتي في بكورها، من أراد الإنجاز من أراد تحقيق المراد فليبكر إلى عمله، فليبكر إلى رزقه، فليبكر إلى إنجاز ما عليه.

## لا يجوز سب الوقت.

أيها الإخوة المؤمنون ؛ شيء آخر: الوقت لا ينبغي أن يلعن، هذا الذي يلعن الوقت، يلعن الساعة، يلعن الدهر، هذا إنسان جاهل، فالأحداث قد تأتي سارة أو قد تأتي مرة لكن هناك إلهاً قدرها لحكمة بالغة، وما علاقة الوقت بذلك، قد يلعن الإنسان الساعة التي تعرف بها على فلان، هذا كلام خطأ، كلام ما له معنى، ما علاقة الزمن، الذي جمعك به هو الله، لحكمة تأديبه أو علاجية، فالنبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه، يقول الله عز وجل:

**(( يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر . من الدهر؟ . أقلب الليل لا والنهار ))**

[ أخرجه مسلم.عن أبي هريرة مرفوعاً ]

لا تلعن الدهر، لا تعلن الوقت، لا تعلن الساعة، هذا الوقت من خلق الله، خلقه الله لك، كي يتيح لك أن تعمل، ألا تعربون في الأعراب ظرف مكان وظرف زمان، كل فعل لا بد له من ظرف مكان يجري عليه ولا بد له من ظرف زمان يجري فيه، فالفعل يحتاج إلى زمان وإلى مكان وإلى مسبب، فالله هو المسبب،

وعمله حكيم، وكل عمل لله عز وجل فيه كل أسمائه الحسنة، فيه العدل، وفيه الرحمة، وفيه العلم، وفيه القوة.

## معرفة الله لا تكون وقت الشدة يجب أن تكون قبل ذلك.

شيء آخر: أناس كثيرون لا يعرفون الله إلا في وقت الشدة، يقول الله عز وجل:

**﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**

[ سورة يونس الآية: 12 ]




هذا الذي كلما ألمت به ملمة، كلما لاح له شبح مصيبة، عرف الله، هذا كيف يعرف الله، يعرفه في أوقات الشدة، والشدة تأتي وتذهب لكن البطولة أن تعرفه في وقت الرخاء والشدة، ابن آدم اعرفني في الرخاء أعرفك في الشدة.

## الاتعاظ بالوقت دراسة التاريخ العام:

شيء آخر: من الاتعاظ بالوقت: دراسة التاريخ العام، قرأت مرة كتاب قصص العرب، كتاب ممتع غاية الإمتاع، بعد أن انتهيت منه أدركتني موعظة، وهي أن هؤلاء الناس جميعاً، يعني في الكتاب ذكر لآلاف الأشخاص، أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء، أصحاء ومرضا، أذكياء ومعتوهين، يعني من كل الأصناف والألوان والأجناس والأعمال، هؤلاء قضاة، وهؤلاء أمراء، وهؤلاء قواد جيوش، وهؤلاء خلفاء، وهؤلاء

ضعاف، كلهم قد ماتوا، الاتعاظ من قراءة التاريخ، أن كل هذه الأمم السابقة كان لها شأنها، وكان لها مجدها، وكان لها عظمتها، أين هي الآن؟ ونحن كذلك، نحن على درب الفناء سائرون.




كان النبي عليه الصلاة والسلام، إذا وقف في البقيع يقول بعد أن يسلم على الأموات، يقول: أنتم السابقون ونحن اللاحقون، يقول الله عز وجل:

**﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾**

[ سورة الحج الآية: 46 ]

أمر آخر.

**﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾**

[ سورة الأنعام الآية: 11 ]

هؤلاء الذين كذبوا بالدين، واستمتعوا بالدنيا، وانغمسوا في شهواتها، وأكلوا ما لذا وطاب، وسكنوا في البيوت الفخمة، وساحوا في الأرض، وعلى شأنهم، أين هم الآن؟

**﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾**

دققوا تتبعوا، ابحثوا.

**﴿ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾**

ومن الاتعاظ بالوقت دراسة الأمم البائدة، قال تعالى:

**﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآَثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾**

[ سورة غافر: 21 ]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ بالوقت ترقى إلى أعلى عليين، وبالوقت يسفل الإنسان ويهوي إلى أسفل السافلين، فالوقت إما أن يكون صديق لك، وإما أن يكون عدواً لك وكل عمل صالح، يحتاج إلى وقت، وكل طاعة تحتاج إلى وقت، وكل حضور مجلس علم يحتاج إلى وقت، لا تسرف في استهلاك الوقت، وفر وقتك

للغاية التي خلقت من أجلها، وفر وقتك لشيء ثمين، وفر وقتك لعمل يعود عليك بالفائدة بعد الموت، وفر وقتك لعمل ينزل معك في قبرك ولا تستهلك وقتك في القيل والقال، في الغيبة، في النميمة، في المزاح الرخيص، في الحديث عن أخبار الناس، في الحديث عن ألوان الطعام في الحديث عن مشاهداتك في رحلتك، هذا كله لا ينفع الناس، ولا يجدي بل قد يسبب الغصة لهم.

أيها الإخوة المؤمنون ؛ الوقت إما أن يكون سبباً لسعادتك في الدنيا والآخرة، وإما أن يكون سبباً لشقاء بعض الناس في الدنيا والآخرة، قبل كل شيء، خطط لوقتك برمج حياتك، لا بد من وقت أتعرف فيه إلى الله، لا ينبغي أن يعتدي عليه أحد، زارني ضيف، وقت مجلس العلم، اعتذر منه، أنا عندي برنامج دقيق، أقول هذه الزيارة ليست على موعد، يؤسفني أن أبلغك أنني مضطر للذهاب إلى هذا المكان، أما أن تسمح للناس أن يعتدوا على وقتك الثمين، وأن يحولوا بينك وبين حضور مجالس العلم، بينك وبين عبادة لله عز وجل، وبينك وبين كسب رزقك، الوقت الثمين.

## للوقت زكاة.

آخر فكرة في هذه الخطبة:

للوقت زكاة كما للمال زكاة، من حضر مجلس علم من أدى عبادة من تلا كتاب الله، فقد زكى عن وقته، عندئذ يبارك الله له في وقته، الوقت القليل يحقق إنجازاً كبيراً، في الوقت القليل يحقق أعمالاً كثيرة أحياناً الإنسان يكتب قائمة وينطلق من البيت إلى السوق ليحققها، فلان قبل ربع ساعة أغلق محله، فلان ليس في مكتبه، فلان، تتوتر أعصابه استهلاك أربع ساعات ولم يحقق شيئاً، إذا ظننت بوقتك عن حضور مجلس علم، بدد الله هذه الوقت، وكان استهلاكه رخيصاً، أما إذا زكيت عن وقتك، وحضرت مجالس العلم، وعبدت الله عز وجل، وأنفقت منه في خدمة الخلق، عندئذ يبارك الله لك في وقتك، عندئذ تشعر بشيء ثمين اسمه التوفيق.

**﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾**

[ سورة الليل الأيات: 5 . 7 ]




قد تبيض رسالة في ساعة من الزمن، تخطئ في آخر سطر تضطر أن تعيدها مرة ثانية، قد تفك محركاً تخطأ في التطبيق، تستهلك عشر ساعات مرة ثانية، الله عز وجل قادر أن يستهلك وقتك استهلاكاً يحطم أعصابك، فإذا وفرت من هذا الوقت وقت لطاعة الله، لحضور مجالس العلم، للعمل الصالح، لتلاوة القرآن، عندئذ يبارك الله لك في وقتك.

**﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾**

[ سورة الليل الآيات: 5 . 10 ]

**والحمد لله رب العالمين**

## 3.2 مضي الوقت ليس في صالح الإنسان

**بسم اللـه الرحمـن الرحيم**

### الحرص على الوقت:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ بدأنا في الخطبة السابقة في موضوع جديد، وهو موضوع الوقت، وقد بينت لكم بفضل الله تعالى أن الوقت أخطر شيء في حياة الإنسان، بل إن الإنسان ما هو إلا بضعة أيام، إنه وقت، وأن مضي الوقت ليس في صالح الإنسان، إن مضي الوقت ينقص حياة الإنسان، قال تعالى:

**﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾**

[ سورة العصر : 1، 2 ]

الوقت يمضي، العمر يمضي، الإنسان عندئذ يقترب من نهايته.

**﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**

[ سورة العصر : 3 ]




إذا خلت حياة الإنسان من إيمان، وخلت من عمل صالح، وخلت من دعوة إلى الحق، ومن صبر على الإيمان والعمل والدعوة، فحياة هذا الإنسان خسارة في خسارة.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ آيات كثيرة، وأحاديث صحيحة كثيرة تحض المسلم على الحفاظ على وقته، لأنه رأس ماله، لأنه أثمن شيء يملكه.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ كان السلف الصالح، يحرصون على أوقاتهم كما يحرص الناس اليوم على دراهمهم ودنانيرهم، الإنسان اليوم يخاف على ماله، من أن يفقد قيمته، يحاول أن يستثمره، يحاول أن ينقله من جهة إلى أخرى، من أجل الحفاظ عليه، كان أجدادنا رحمهم الله تعالى يحافظون على أوقاتهم، لأنها

أخطر شيء في حياتهم، كما يحافظ الناس اليوم على أموالهم، يبحثون عن مصادر أمينة يستثمرونها، يبحثون عن المردود الأفضل في الوقت الأقل، إن هذا الاهتمام في تنمية المال والحفاظ عليه، يقابله عند الأجداد اهتمام في الحفاظ على الوقت واستثماره.

يا أيها الأخ الكريم ؛ أنت بين رجلين، أو أنت أحد رجلين، إما أنك تستهلك الوقت استهلاكًا رخيصاً، وإما أنك تستثمره.

الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشدّ منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم، أدركت أقواماً – والإمام الحسن البصري من أئمة التابعين، الصحابة الكرام سمعوا من رسول الله، والتابعون سمعوا من أصحاب رسول الله، وتابعو التابعين سمعوا ممن سمع من رسول الله، هؤلاء هم جماعة المسلمين الذين ينبغي أن نقتدي بهم – يقول الإمام الحسن البصري: أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد حرصاً منكم على الدراهم والدنانير.

## ضعف الإنسان بعد قوته تنبيه لطيف ليعود إلى صوابه:




يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ لسيدنا عمر بن عبد العزيز كلمة رائعة، يقول:

" إن الليل والنهار يعملان فيك – يعملان في الإنسان، يكبر الإنسان، يشيب شعره، يضعف بصره، يحتاج إلى نظارة، تضعف قوته، تضعف فاعلية أجهزته، يشعر بالوهن – إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما أنت "، أي اعمل في الليل والنهار العمل الصالح، إن لم تعمل في الليل والنهار العمل الصالح، عمل الليل والنهار فيك، فهما يعملان فيك، فاعمل فيهما، هما يعملان فيك، هذه الخلايا تضعف، هذه الأجهزة تضعف فعاليتها، هذه المقاومة تضعف، هذه القوة تضعف، هذا البصر الحاد يضعف، هذا السمع المرهف يضعف، هذه الذاكرة تضعف، الأجهزة التي خلقها الله فيك لحكمة أرادها تضعف شيئاً فشيئاً، وكأن ضعف الأجهزة إشارة لطيفة، تنبيه لطيف من المولى جل وعلا أن يا أيها الإنسان قد

اقترب اللقاء، فهل أنت مستعد له؟ اقترب اللقاء. عبدي شاب شعرك، وانحنى ظهرك، وضعف بصرك، فاستح مني فأنا أستحي منك، الله سبحانه وتعالى يجعل له من بعد القوة ضعفاً، هذا الضعف تنبيه – كما قلت قبل قليل – لطيف كي يعود الإنسان إلى صوابه.

**إلى متى أنت باللذات مشغول   وأنت عن كل ما قدمت مسؤول**

***

إلى متى؟

**تعصي الإله وأنت تظهر حبه   ذاك لعمري في المقال بديع**

**لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع**

***

## من علامات المقت إضاعة الوقت:

قال بعض العلماء: من علامة المقت إضاعة الوقت، من علامة المقت، أي من علامة مقت الله لهذا الإنسان أن يضيع وقته.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾**

[ سورة الصف: 2، 3 ]

كبر مقتاً، هذا الذي يستهلك أوقاته في القيل والقال، في المعاصي، في الترهات، في الأباطيل، في الأعمال الفارغة، في أعمال لا تقدم ولا تؤخر، هذا يمقته الله عز وجل، لذلك احفظوا هذه الحكمة: من علامات المقت إضاعة الوقت.




الشيء الذي يلفت النظر أنه لو ضربنا على إضاعة الوقت مثلاً: لو أن ممرًّا متحركاً، عليه أناس يتحركون أيضاً، إذا ترك الإنسان هذا الممر ووقف، يبدو أنه واقف، ولكنه قد سبق، هؤلاء الذين يتحركون قد سبقوه، فأنت لمجرد أن تقف، أن يقف علمك، أن يقف عملك، أن يقف إقبالك، فقد سُبقت، من هنا ورد في الخبر أن المغبون من تساوى يوماه، ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان، إذا كنت واقفًا على رصيف متحرك نحو الأمام، ونزلت من هذا الرصيف وبقيت واقفاً فأنت مسبوق، لأن هذا الركض متحرك، وأنت واقف، فالوقت يجري، ويمضي الأسبوع تلو الأسبوع، والشهر تلو الشهر، والفصل تلو الفصل، والعام تلو العام، وهكذا تمضي الأيام، وكأن العمر ساعة، الدنيا ساعة اجعلها طاعة، ألم أقل لكم في الخطبة السابقة إن الصلوات الخمس ميزان اليوم، وإن صلاة الجمعة ميزان الأسبوع، مضى أسبوع على اللقاء السابق بيننا، ماذا حصّلت في هذا الأسبوع؟ ماذا غنمت في هذا الأسبوع من عمل صالح؟ هل ارتقى علمك في هذا الأسبوع؟ هل طبقت الذي سمعته في الأسبوع الماضي؟ الصلوات الخمس ميزان اليوم، وصلاة الجمعة ميزان الأسبوع، وشهر الصوم ميزان العام، والحج ميزان العمر.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ قال بعضهم: " من كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون "، كان مبتعداً عن الربا، فأقنعه زملاؤه التجار أن هذا لابد منه، كان ممتنعاً فارتكب معصية الربا، هذا يومه أسوأ من أمسه فهو ملعون، كانت زوجته ملتزمة في ثيابها، شرع الله عز وجل، فتفلتت من هذا الالتزام، فهو ملعون، من كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون.

## الحرص على العلم النافع و العمل الصالح:

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ يجب أن تحرص على علم نافع، أو على عمل صالح، أو على مجاهدة النفس والهوى، أو على إصلاح ذات البين، أو على أمر بمعروف، وعلى نهي عن منكر، حتى لا يستهلك الوقت هذا الإنسان فيصبح نادماً على ما فات.

الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي، ولم يزدد فيه عملي.




أيها الأخوة الأكارم ؛ بعض العلماء يرفعون إلى النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحديث، وبعضهم يوقفونه على أصحاب النبي:" لا بورك لي في يوم لم أزدد فيه من الله علماً يقربني من الله عز وجل".

لا بورك لي في يوم، هذا اليوم غير مبارك، هذا اليوم يوم نحس، هذا يوم ضائع، هذا يوم خاسر، هذا يوم لا قيمة له، أي يوم لم تزدد فيه من الله قرباً بعمل صالح، أو لم تزدد فيه من الله علماً، بتحصيل علم، فهذا اليوم ليس من عمرك، بل ضياع في ضياع، من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه فقد عق يومه، وظلم نفسه. ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة. ما من يوم يمضي من غير حق يقضيه، أو فرض يؤديه، أو حمد يحصله، أو خير يؤسسه، أو علم يقتبسه، فقد عقّ ذلك اليوم، وظلم نفسه.

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هناك أناس وما أكثرهم، يقتلون الوقت، إنهم ينتحرون، ولكن انتحارهم هو انتحار بطيء. أحد العلماء الصالحين كان يمشي في الطريق مع أحد تلاميذه فرأى مقهى يعج برواده، فقال: آه لو أن الوقت يشترى من هؤلاء، لو أن الوقت يباع لاشتريته من هؤلاء.

## بذل المال أهون من بذل النفس:

أثمن شيء تملكه هو الوقت، إنه رأس مالك، حياة كل منا مجموعة أيام، كيف يستهلكها، إما أن يستهلكها، وإما أن يستثمرها، إن استهلكها في طلب الدنيا، وجاء الموت، ندم على ما فعل، وإن استثمرها في عمل صالح وجاء ملك الموت، شعر بالنجاح، شعر بالتفوق، شعر بالفوز، شعر بالتوفيق، شعر بأنه إنسان عرف ربه، وعرف مهمته، وعرف نفسه.




قلت لكم سابقاً إن الذي يمسك الأموال بيده ويلقيها في الطريق هذا ما اسمه بالشرع؟ اسمه سفيه، أي أحمق، وهذا السفيه يحجر عليه شرعاً، الذي ينفق ماله جزافاً من غير تبصر، من غير حكمة يسمى في الشرع سفيهاً، والسفيه يحجر عليه.

مقدمة ثانية: إذا تعطلت أحد أجهزة الإنسان، وكان ثمن تطبيبه، أو زرع عضو آخر مكانه ثروةً لا تملك غيرها، أي إنسان يضحي بماله كله من أجل أن يبقى حياً، هكذا طبيعة الحياة، هكذا فطر الإنسان، إذا اقتضى أن يدفع الإنسان ماله كله من أجل زرع كلية، أو شراء صمام قلب، ما تردد ثانية، ماذا يفهم من هذا؟ يفهم من هذا أن الحياة أغلى على الإنسان من المال، يؤكد هذا أن الله سبحانه وتعالى في ثماني عشرة آية قدم بذل المال على بذل النفس.

﴿جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾

[ سورة التوبة: 88 ]

معنى ذلك أن بذل المال أهون من بذل النفس، أهون بكثير، إذاً الحياة أغلى من المال، إذاً الذي يبدد ماله من غير حكمة يعد عند المجتمع سفيهاً، ويجب أن يحجر عليه، فكيف بالذي يبدد وقته وهو أغلى من المال؟ إن الذي يبدد وقته من دون طائل لهو أحق من أن يحجر عليه من هذا الذي يبدد ماله، الوقت ثمين،

لا تنسَ هذه الكلمة، أنت وقت، أنت بضعة أيام، بضعة سنين وأعوام، أنت بضعة دقائق وثوان، دقات قلب المرء قائلة له، القلب يدق، إذاً أنت حي، فإذا توقف القلب انتهت الحياة، وهذا القلب له أجل.

**دقات قلب المرء قائلة لـــــه إن الحياة دقائق و ثــوان**

**فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثانٍ**

***

## الفرق بين الوقت و المال:




يا أيها الأخوة المؤمنون؛ فرق دقيق بين الوقت والمال، المال إذا ضاع يعوض، ولكن الوقت إذا ضاع لا يعوض، عقارب الزمن لا ترجع إلى الوراء. ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها، الذي يجلس على مائدة النرد يقتل وقته، الذي يجلس مع صديقه على رقعة الشطرنج يقتل وقته، الذي يلعب الورق يقتل وقته، الذي يجلس وراء الملهيات ليتابع المسلسلات يقتل وقته، هذا الذي يقتل وقته ينتحر انتحاراً بطيئاً وهو لا يدري، لأنك وقت، لأنك بضعة أيام، ولك مهمة خطيرة، إن هذه المهمة يبنى عليها سعادة الآخرة، يبنى عليها سعادة الأبد وأنت في هذا الوقت الحرج.

مثلاً: طالب يجلس على طاولة الامتحان، وهناك وقت محدود، فإذا أمضى هذا الوقت في ألعاب، أو في حركات، أو في كتابات لا طائل منها، ونسي أن يكتب الإجابات، هذه الساعات الثلاث، ساعات الامتحان خطيرة جداً، يبنى عليها النجاح أو الرسوب، والله الذي لا إله إلا هو ما وقتنا بأقل خطورة من هذه الساعات الثلاث التي يمضيها الطالب وهو على طاولة الامتحان، نوع الإجابة، دقة الإجابة، صحة الإجابة، تنظيم الوقت، ربما يسهم في نجاحك.

## الوقت والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ شيء آخر يتعلق بالوقت: الآن هناك نعمة لا يعرفها معظم الناس نعمة الفراغ، أن يبقي لك عملك وقت فراغ، هناك أعمال تستغرق أوقات الإنسان كلها، هذا العمل لو درّ عليك مئات الألوف في كل شهر فهو خسارة، العمل الذي يستغرق الوقت كله خسارة محققة، لأن هذا العمل لن يبقي لك وقتاً تفكر فيه بمهمتك، هذا العمل، وهذا الدخل الكبير لم يبقِ لك وقتاً تعرف فيه نفسك، تعرف فيه ربك، تعرف فيه لماذا أنت في الدنيا هذا شيء خطير، لذلك من أبقى له عمله نعمة الفراغ فهذه نعمة لا تقدر بثمن.

الإمام البخاري رضي الله عنه ورحمه الله تعالى أورد حديثاً في صحيحه عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال:

**((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ؛ الصحة والفراغ))**

[البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ]

وفي تفسير سورة التكاثر في قوله تعالى:

**﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾**

[ سورة التكاثر: 8]




قال بعض المفسرين: النعيم هو الصحة والفراغ، كلمة مغبون تستعمل في البيع والشراء، كلمة تجارية، كأن النبي عليه الصلاة والسلام شبه هذا الإنسان الذي جاء إلى الدنيا بتاجر، وعدّ رأس ماله الوقت، فمن أطاع الله عز وجل ربحت تجارته، ومن أطاع الشيطان خسر تجارته فصار مغبوناً، فالوقت والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس.

والحديث المشهور الذي تعرفونه جميعاً، والذي لشدة وروده على مسامعكم ربما لا تفكرون فيه:

**((اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك ))**

[ الحاكم في المستدرك والبيقهي في شعب الإيمان عن ابن عباس وأحمد في مسنده ]

اغتنم الفراغ، يا أيها الشباب الإنسان قبل الزواج عنده وقت فراغ كبير، اغتنمه في معرفة الله عز وجل، يا أيها الأزواج في مطلع العمر هناك وقت كبير:

**((اغتنم خمساً قبل خمس ))**

اغتنم الشباب قبل الهرم، والصحة قبل السقم، والغنى قبل الفقر، والفراغ قبل الشغل، والحياة قبل الموت.

## من أحسن استغلال فراغه ارتقى عند الله عز وجل:

الشيء الذي يلفت النظر أن الفراغ اسم على غير مسمى الفراغ نظري، لكن الفراغ لا يبقى فراغاً لابد من أن يملأ، إما أن يملأ بخير، وإما أن يملأ بشر، فنفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر أبداً، ابنك إن لم تشغله بالخير شغلك بالشر، زوجتك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، إذا كان الوقت أثمن شيء في حياة الإنسان فإن الوقت نفسه أخطر شيء في حياة الإنسان، هذه النعمة نعمة الفراغ، إذا الإنسان كفر بها شغلها الله عز وجل بالهم والحزن، نعمة الفراغ إما أن تستغلها في معرفة الله، وإما أن تستغلها في طاعة الله، وإما أن تستغلها في العمل الصالح، وإما أن تستغلها في طلب العلم، وإما أن تستغلها في فعل الخيرات، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر، في الإصلاح بين الناس، وإما أن يملأها الله بالمشاغل، والمتاعب، والمشكلات، والخصومات، والدعاوى، هذه النعمة الكبيرة التي منحك الله إياها من أجل أن ترقى إليه إن لم تحسن استغلالها سوف تكون عبئًا عليك، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.




يقول ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى في كتابه الشهير الحكم العطائية: " الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه، وأن تقل العوائق، ثم لا ترحل إليه "، هذا هو الخذلان، هذه هي الخسارة، هذا هو الحمق، هذا هو الغبن، أن تكون فارغاً وتلعب النرد، أن تكون فارغاً وتمضي سهرة في معصية الله عز وجل، في الغيبة، في النميمة، أن تمضي وقتك في قراءة شيء تافه، في متابعة شيء تافه، في حديث تافه، في كلام فارغ، في شيء لا يسعدك لا في الدنيا ولا في الآخرة، الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل، ثم لا تتوجه إليه، وأن تقل العوائق، ثم لا ترحل إليه.

السلف الصالح رحمهم الله تعالى كانوا يكرهون من الرجل الفراغ إن في أمر دنياه أو في أمر دينه، قال بعض العلماء: الفراغ للرجال غفلة، وللنساء غلمة، المرأة الفارغة ربما فكرت في غريزتها، ربما تطلعت إلى غير زوجها، ربما خانت زوجها، الفراغ للرجال غفلة، وللنساء غلمة، ويشتد خطر الفراغ إذا أضيف إليه الشباب، ويشتد خطر هذين الشيئين إذا أضيف لهما المال، لذلك أخطر شيءٍ في الحياة أن يكون المرء شاباً، وفارغاً، ومقتدراً مالياً، الفراغ، والشباب، والمال، مفسدة للمرء أي مفسدة، فراغ، وشباب، ومال، لابد من السقوط، لابد من الانحراف، كان سيدنا عمر يقول: " إنني أسمع بالرجل ليس له عمل فيسقط من عيني"، سيدنا علي يقول: " قيمة المرء ما يحسنه " يجب أن يكون لك عمل تتقنه، تعيش منه.

أيها الأخوة المؤمنون ؛ موضوع الوقت طويل، ولابد من العودة إليه في خطبة أخرى، لكن أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا، لأن العلم من دون عمل كالشجر بلا ثمر، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

**((تعلموا ما شئتم، فوالله لن تؤجروا حتى تعملوا بما علمتم، وكل علم وبال على صاحبه ما لم يعمل به، والعلم ما عمل به، فإن لم يعمل به كان الجهل أفضل منه ))**

[ورد في الأثر]

**والحمد لله رب العالمين.**

## 3.3 حرص السلف على الوقت

**بسم الله الرحمن الرحيم**

أيها الأخوة الكرام ؛ بدأت في الأسبوع الماضي بموضوع الوقت، وقلت لكم: للموضوع تتمَّة، وهأنذا أتابع هذا الموضوع.




فيا أيها الأخوة الكرام ؛ كان السلف الصالح حريصين حرصاً لا حدود له على أوقاتهم، لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمة الوقت، و الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى كان يقول: " أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصاً على دراهمكم و دنانيركم " كيف أن الإنسان اليوم يحرص أشدَّ الحرص على ماله، و على استثمار ماله، و على أن يكون هذا الاستثمار في أعلى درجة، وعلى أن يأخذ من هذا المال أعلى ربح في أقلِّ جهد، في أقل وقت، كان السلف الصالح حريصين على أوقاتهم لأنهم أعرف بقيمة الوقت، كما يحرص الناس التائهون على دنانيرهم و دراهمهم.

أيها الأخوة الكرام ؛ ما من كلمة أبلغ من قول سيدنا عمر بن عبد العزيز حينما قال: " الليل و النهار يعملان فيك أيها الإنسان فاعمل فيهما "، انظر إلى صورتك قبل عشرين عاماً، قبل ثلاثين عاماً، قبل أربعين عاماً، هناك فرق كبير بين صورة الإنسان حينما كان طفلاً، ثم حينما كان يافعاً، ثم حينما كان شاباً، ثم حينما صار كهلاً، ثم حينما دخل في الأربعين، وفي الخمسين، كيف أن هناك بونًا شاسعًا بين مظهر الإنسان حينما كان صغيراً، ومظهره حينما كان كبيراً، " الليل و النهار يعملان فيك أيها الإنسان، فاعمل فيهما " وإلا فأنت خاسر.

## من أنفق ماله في معرفة الله و معرفة منهجه فقد ربح:

أيها الأخوة الكرام ؛ من كان يومُه كأمسه فهو مغبون، من هو المغبون؟ من تساوى يوماه، من كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون، ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان، لأن الوقت يسير، لأن الوقت يمضي، فيكفي أن يكون يومُك كأمسك فأنت مغبون، و أما كلمة مغبون فهذه نستعملها في التجارة، في البيع و الشراء، لأن بعض العلماء يرى أن الإنسان في حقيقته تاجر، أن العبد المكلَّف تاجر، له رأس مال، فإما أن يأكل من رأس ماله فهو خاسر، و إما أن يستثمر هذا المال فيأكل من ريعه فهو رابح، رأس مالك وقتك و فراغك، هذا رأس مالك إذا استهلكته فيما لا يرضي الله، أو في عمل مباح لا طائل منه فأنت و رَبِّ الكعبة خاسر، أما إذا أنفقت هذا المال في معرفة الله، وفي معرفة منهجه، وفي حمل نفسك على طاعته، وفي التقرُّب إليه فقد ربحت ربحاً كبيراً، وهذا تؤكِّده الآية الكريمة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[سورة الصف: 10-11]




أنت تاجر، راس مالك هذا العمر، فإما أن تنفقه بما يعود عليك خيرُه بعد انقضاء العمر فأنت رابح، و إما أن تنفقه إنفاقاً لا طائل منه في المباحات، لم نقُل في المعاصي، لو لم تعص الله فأنت خاسر، في المباحات، إذا أنفقته في الطعام و الشراب و كسب المال و ما إلى هنالك فهذه خسارة. الإمام الصحابيُّ الجليل ابن مسعود يقول: " ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسُه فنقص من أجلي، و لم يزدد فيه عملي ".

مضى هذا اليوم غربت شمسُه، إذًا هذا اليوم نقص من أجلي و لم يزدد فيه عملي، و هناك أدعية يرفعها بعضُ العلماء إلى النبي صلى الله عليه و سلم، و بعضهم يوقفها على الصحابة و التابعين، هذا الدعاء: " لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علماً، و لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله قُرباً ".

أيها الأخوة الكرام ؛ قال بعض الحكماء: " من أمضى يوماً من عمره في غير حقٍّ قضاه، أو فرض أدَّاه، أو مجد أثَّله، أو حمد حصَّله، أو خير أسَّسه، أو علم اقتبسه فقد عقَّ يومَه، وظلم نفسه"، يجب أن نؤمن، و أن نعتقد أنَّ أثمن شيء نملكه هو الوقت لأنه يمضي سريعاً، فإذا مضى الوقت سريعاً و كنا أمام ساعة الاحتضار هذه ساعة لا ينفع فيها مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، تروي بعضُ الآثار أن الإنسان في أول يوم يُوضع في قبره يناديه الله عز وجل يقول له: "عبدي رجعوا و تركوك، و في التراب دفنوك، و لو بقوا معك ما نفعوك، و لم يبق لك إلا أنا، و أنا الحيُّ الذي لا يموت".

## قتل الوقت:

أيها الأخوة الكرام ؛ كثيرا ما نسمع من العوام عن قتل الوقت، و عن تمضية الوقت، و عن استهلاك الوقت.




و اللهِ الذي لا إله إلا هو من قتل وقته فقد قتل نفسه، إنه الانتحار البطيء، فهناك أناس ينفقون أوقاتهم بلا جدوى، و ينتقلون من حدِّ التبذير إلى حدِّ التبديد، يبذِّرون أوقاتهم تبذيراً، بل يبدِّدون أوقاتهم تبديداً، يُمضي سهرةً في لعب الورق حتى الساعة الثالثة صباحاً، و يمضي وقتاً طويلاً في الشطرنج، ويتابع بعض البرامج الفنية التي لا جدوى منها إلى منتصف الليل، أليس هذا استهلاكاً للوقت؟ أليس هذا تبذيراً للوقت؟ أليس هذا تبديداً للوقت؟ هو رأس مالك، بإمكانك أن تقرأ القرآن، بإمكانك أن تجلس مع أهلك، بإمكانك أن تعظهم، بإمكانك أن تقرأ كتاباً في السيرة، بإمكانك أن تعلِّمهم حكماً فقهياً، بإمكانك أن تعلِّمهم آية قرآنية، بإمكانك أن تجلس معهم تؤنسهم ويؤنسوك، لا بد من عمل صالح، هذا الوقت الثمين لا يبدِّده إلا جاهل.

يا أيها الأخوة الكرام، ذكرت هذا في الخطبة السابقة، وهنا مكانها المناسب، هذه الفكرة، إن السفه في تبديد الأوقات أشدُّ من السفه في تبديد الأموال، إذا رأيت إنساناً يلقي بالعملة في الحاوية ألا تحكم أنه مجنون

وأنه يجب أن يُحجر عليه؟ وأن هذا هو السفه بعينه؟ واللهِ الذي لا إله إلا السفيه هو الذي يبدّد وقته الثمين، في هذا الوقت كان من الممكن أن تعرف الله، في هذا الوقت كان من الممكن أن تصل الرحم، أن ترعى أرملة، أن ترعى طفلاً، أن ترعى مسكيناً، أن تقرأ كتاباً، أن تزداد علماً، أن تلتقي بأخيك، أن تتعلَّم منه، وأن تعلّمه، أن تأمر بالمعروف، وأن تنهى عن المنكر، وتطعم حيواناً مُتعباً، هذا كلُّه في إمكانك.

أيها الأخوة الكرام ؛ هذا الذي يقتل الوقت يغفل عن معرفة ربه، و عن معرفة منهج ربه، وعن ذكر ربه، وعن معرفة أمر ربه و نهيه.

## نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس الصحة و الفراغ:

يا أيها الأخوة الكرام، نعمتان من نعم الله عليكم مغبون فيهما كثير من الناس، ما هما؟ الصحة و الفراغ، النبي عليه الصلاة و السلام حينما كان يستيقظ من فراشه يدعو بهذا الدعاء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ ))**

[الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

استيقظ، هناك من ينام و لا يستيقظ:

**((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ))**

أيها الأخوة الكرام ؛ هذا الحديث رواه الإمام البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ))**

[البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ]

وهذا تؤكّده الآية الكريمة، قال تعالى:

**﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾**

[سورة التكاثر : 8]

نعمة الصحة كيف استهلكت هذه النعمة؟ نعمة الفراغ كيف أمضيت هذا الفراغ؟ نعمة الأمن كيف شكرت اللهَ على هذه النعمة؟ قال تعالى:

**﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾**

[سورة الأنعام: 81-82]




نعمة المال، نعمة الصحة، نعمة الفراغ، نعمة الأمن، كل هذه النعم سوف تُسأل عنها، لأن هذه النعم كان من الممكن أن تكون درجاتٍ ترقى بها إلى أعلى علّيين، فإذا بها عند بعض الناس دركات يهوي بها الإنسان إلى أسفل سافلين.

## اشتداد خطر الفراغ مع الشباب و المال:

يا أيها الأخوة الكرام ؛ معنى الفراغ أي أن تخلُوَ حياتك من مشاغل دنيوية و من معوّقات كبيرة تحول بينك و بين الاشتغال بالآخرة.

أيها الأخوة الكرام ؛ لا تنسوا حديث رسول الله الصحيح:

**(( اِغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ))**

[الحاكم والبيهقي عن ابن عباس وأحمد عن عمرو بن ميمون ]

اغتنم الوقت الفارغ فتعرَّف فيه على الله عز وجل.




أيها الأخوة الكرام ؛ الفراغ – دقِّقوا في هذه الكلمة – لا يبقى فراغاً، نفسُك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، طبيعة الإنسان حركي، ديناميكي، إن لم يشغل وقته بالخير شغله بالشر، إن لم يشغل وقته بالأعمال الصالحة شغله بالأعمال الطالحة، إن لم يشغل وقته بخدمة الخلق يشغله بإيذاء الخلق، نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، صاحب الحكم العطائية، ابن عطاء الله السكندري يقول: " الخذلان كل الخذلان أن تتفرَّغ من الشواغل ثم لا تتوجَّه إليه، و تقلُّ عوائقُك، ثم لا ترحل إليه "، هذا هو الخذلان، هذا هو الشقاء، أن تنعم بصحة طيِّبة، و أن يكون عندك وقتٌ كاف، ثم لا تصرف هذا الوقت في معرفة الله، لا تحضر مجالس العلم، لا تطلب العلم الذي أمرك الله أن تطلبه.

أيها الأخوة الكرام ؛ قال بعض الحكماء: الفراغ للرجال غفلة، و للنساء غلمة، أي أن المرأة إذا فرغت من العمل فكِّرت فيما لا يرضي الله عز وجل، و يشتدُّ خطرُ الفراغ مع الشباب و مع المال، لذلك قال الشاعر:

**إن الشباب و الفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة**

***

والجدة هي الغنى.

## الوقت يتحرَّك بسرعة على الإنسان أن يملأه بالعمل الصالح:

أيها الأخوة الكرام ؛ فماذا ينبغي أن نفعل؟ دقِّقوا في هذه الآية الكريمة و هي قوله تعالى:

**﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾**

[ سورة البقرة: 148 ]




استبقوا، أي أنت في الدنيا تعيش عمراً محدوداً، هو بضعة سنوات، كلما انقضت سنة، وكلما انقضى شهرٌ، وكلما انقضى أسبوع، وكلما انقضى يوم، وكلما انقضت ساعة، وكلما انقضت دقيقة، وكلما انقضت ثانية انقضت من عمرك، وقرَّبتك إلى أجلك، لذلك قال الله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

أي استبقوا هناك سباق، الوقت يتحرَّك بسرعة بالغة، فإما أن تملأه بالعمل الصالح، وإما ان تكون مسبوقاً، قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

أنت مخيَّر، هذه الوجهة الذي أنت فيها هي من اختيارك، هي من إرادتك:

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

في أي مكانة كنت، و في أيِّ مكان أنت، قال تعالى:

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

كل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت، والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر.

**كل ابن أنثى و إن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول**

**فإذا حملت إلى القبـــور جنـازة فاعـــلم بأنك بعدها محمـول**

***

في نهاية كل خطبة ألقي على مسامعكم هذا القول: واعلموا أن ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتَّخذ حذرنا، سِر في الطريق ترَ عشرات النعوات، لابد من يوم يقرأ الناسُ فيه نعيك، تدخل إلى المسجد لتصلي لا بد من وقت تدخل فيه ليُصلَّى عليك، هذه حقيقة لا ريب فيها، من هو البطل؟ الذي يُعدُّ لهذه الساعة عدَّتها، الذي يعد جوابا لربه لكل عمل عمله، و عن كل موقف وقفه، و عن كل تصرُّف تصرَّفه.

## من جعل الدنيا محطَّ رحاله ونهاية آماله فقد أعرض عن الدين:

أيها الأخوة الكرام ؛ قال تعالى:

**﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾**

[ سورة البقرة: 148 ]

في هذه الآية إشارة إلى قيمة الوقت، و إلى قِصر الوقت، و إلى عِظم المهمة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))**

[الترمذي عن أبي هريرة]




لو أن الإنسان أراد الدنيا، و جعل الدنيا محطَّ رحاله، ونهاية آماله، و أعرض عن الدين، ماذا ينتظر من الدنيا؟ قال عليه الصلاة و السلام: " بادروا بالأعمال الصالحة هل تنتظرون إلا فقراً منسياً – ينسيك كل شيء – أو غنى مطغياً – يحملك على الطغيان – أو مرضاً مفسداً – يفسد عليك حياتك – أو هرماً مفنداً – خرف في الشيخوخة – أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب

ينتظر، أو الساعة و الساعة أدهى و أمر" ماذا تنتظرون من الدنيا؟ لو أن الإنسان أراد الدنيا فقط ولم يرد الآخرة، ماذا ينتظر من الدنيا؟ فقراً منسياً، غنى مطغياً، مرضاً مفسداً، هرماً مفنّداً، موتاً مجهزاً، الدجال فشر غائب ينتظر، الساعة و الساعة أدهى و أمر.

## ضرورة تنظيم الوقت:

أيها الأخوة الكرام ؛ إذًا لا بد من تنظيم الوقت، دقّقوا فيما أقول، من هم أشدُّ الناس حاجة إلى تنظيم الوقت؟ المُثقلون بالأعمال، الذين يحملون على كواهلهم أكثر من وقتهم، هؤلاء إن لم ينظِّموا أوقاتهم استهلكهم عملُهم، و هذا من أشقى الناس، من استُهلِك بطريقة رخيصة، لذلك حتى لا يطغى بعضها على بعض، حتى لا يطغى واجب على واجب، حتى لا يطغى عمل على عمل، حتى لا يطغى غيرُ المهمّ على المهم، حتى لا يطغى المهمُّ على الأهمِّ، حتى لا يطغى غيرُ الموقوت على الموقوت، قد تستغرق في عملك، و يدخل وقتُ الصلاة قال تعالى:

**﴿الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾**

[سورة النساء: 103]




فحتى لا يطغى عملك الذي هو مباح على فرض موقوت الذي هو الصلاة لا بد من تنظيم الوقت، لا بد من وضع الكوابح، لا بد من أن تخصِّص لكل جانب في حياتك وقتاً خاصًّا.

أيها الأخوة الكرام ؛ ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه جاء في صحف إبراهيم: " على العاقل ما لم يكن مغلوباً على أمره أن يكون له أربع ساعات؛ ساعة يناجي فيها ربَّه، و ساعة يحاسب فيها نفسَه، و ساعة يتفكَّر في صنع الله عز وجل، و ساعة يخلو لحاجته من المطعم و المشرب ".

يا أيها الأخوة الكرام ؛ من هم أندم الناس؟ من كانت تصرُّفاتهم ردودَ أفعال، كلما جاء فعل ردَّ عليه بفعل آخر، إذًا هو تتقاذفه الأفعالُ، ليس هناك تخطيط لحياته، ليس هناك تنظيم، ليس هناك توازن، من كانت حياته مجموعةَ ردود أفعال على الأفعال التي يواجهها، فهذا إنسان يعيش على هامش الحياة.

## لكلّ وقت عمله:

يا أيها الأخوة الكرام، نصيحة أزجيها لكم، لا تسمح لعملك مهما كنت ناجحاً فيه، مهما كنت متفوّقاً فيه، مهما كان دخلُه كبيراً، لا تسمح لعملك أن يستغرق كل وقتك، و إلا فأنت أكبر خاسر، لأن الله سبحانه و تعالى خلقك لمهمة كبيرة، فإذا نسيتها فقد ضيَّعت كلَّ شيء، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

**((آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ نَمْ فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ سَلْمَانُ ))**

[البخاري عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ]

موضوع متعلِّق بالوقت، لكل وقت عمله، سيدنا الصديق رضي الله عنه و أرضاه أوصى سيدنا عمر حينما ولاه الخلافة قال:

**((يا عمر إن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، و إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار))**

جاء من أذربيجان رسول عامل عمر على أذربيجان رآه يصلي في الليل، قال: يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل؟ قال:

**((إن نمت الليل أضعت نفسي، و إن نمت النهار أضعت رعيَّتي))**

وإن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، و إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، و قد كان أصحاب النبي رضوان الله تعالى عليهم رهباناً في الليل فرساناً في النهار.

أيها الأخوة ؛ ليست البطولة أن تعمل أيَّ عمل في أيِّ وقت، هذا ضياع في الإنسان، هذه فوضى، ليست البطولة أن تعمل أيَّ عمل في أيِّ وقت، لكن البطولة أن تعمل العمل المناسب في الوقت المناسب، وقت الفجر للصلاة، وتلاوة القرآن، لا لإجراء بعض الحسابات، كلُّ وقت له عمل مناسب له، ليست البطولة أن تعمل أيَّ عمل في أيِّ وقت، و لكن البطولة أن تعمل العمل المناسب في الوقت المناسب، بل إن بعض العلماء يرى أن أعمال القلب كأعمال البدن، لكل موقف عمل للقلب المناسب، أخذًا من أربع آيات، فإذا كنت في الطاعة فمشاعر قلبك ينبغي أن تكون على النحو التالي ؛ قال تعالى:

**﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾**

[سورة يونس: 58]

إذا كنت في الطاعة فاشكر المولى على أنه مكّنك من طاعته، الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، و إن كنت في النعمة فليكن حالُ قلبك كقوله تعالى:

**﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾**

[سورة سبأ: 15]

وإن كنت – لا سمح الله – في حالة معصية، فاتلُ قوله تعالى:

**﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾**

[سورة الزمر: 53]

وإن كنت – لا سمح الله – في بلية فاذكر قوله تعالى:

**﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾**

[سورة البقرة: 155]

وقد ورد في صحيح مسلم عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.))**

[مسلم عَنْ صُهَيْبٍ]

## تخصيص الله عز وجل بعض الأوقات بمزايا عظيمة:

أيها الأخوة الكرام ؛ بقي في الخطبة موضوع صغير، و هو أن الله سبحانه و تعالى لحكمة أرادها خصَّص بعض الأوقات بمزايا، وهذه من فعله جلّ جلاله، فقد ورد في الحديث:

**((إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها))**

[ المعجم الأوسط عن محمد بن مسلمة]




هذه النفحات ربنا سبحانه و تعالى يجعلها في بعض الأوقات مخصوصة، مثلاً ربُّنا سبحانه و تعالى فضَّل من الليل ثلثه الأخير وقت السحر، قال تعالى:

**﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**

[سورة الذاريات: 15-18]

وقت السحر وقتٌ فضّله الله عز وجل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))**

[البخاري عن أبي هريرة]

ابن آدم لا تعجز عن ركعتين قبل الشمس أكفِك النهار كله، وعَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ))**

[مسلم جُنْدَب بْن عَبْد الله ]

أنت في عين الله، و في رعايته، و في حفظه، و في تأييده، إذًا من وقت الليل وقت السحر، هذا وقت النفحات الإلهية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ))**

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ]

إذا فضَّل الله من وقت الليل وقت السحر، و فضَّل من النهار الوقت المبكَّر، عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا قَالَ: وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ))**

[الترمذي عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ]

وقد ورد في الحديث الشريف عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

**((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ))**

[الترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ]

وفضَّل الله من أيام الأسبوع يوم الجمعة، فهم عيد المسلمين الأسبوعي، ففيه فريضة صلاة الجمعة، و فيه لقاء الجمعة بين إخوانك و أحبابك، و في يوم الجمعة ساعة إجابة كما قال عليه الصلاة و السلام عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:

**((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُهْبِطَ وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مَاتَ وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنْ السَّاعَةِ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا))**

[أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

لذلك أنا أعرف أسراً يوم الجمعة يوم عيد، هناك أسرٌ أخرى الغسيل، تنظيف البيت، المتاعب، حلُّ المشكلات يوم الجمعة، هذه يوم عيد يجب أن تقوم بأعمالك قبل هذا اليوم، و أن يكون هذا اليوم عيداً لك ولأهلك ولأولادك ولصلاة الجمعة.

أيها الأخوة الكرام ؛ يتوهَّم الناس اليوم أنه إذا أدرك ركعة واحدة مع الإمام يوم الجمعة أدرك الصلاة، استمعوا إلى ما يقول النبي عليه الصلاة و السلام:

**((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَقْعُدُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ النَّاسَ عَلَى مَنَازِلِهِمْ، فَالنَّاسُ فِيهِ كَرَجُلٍ قَدَّمَ بَدَنَةً، وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ بَقَرَةً، وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ شَاةً، وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ دَجَاجَةً، وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ عُصْفُورًا، وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ بَيْضَةً))**

[النسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ]

إن من غدا إلى الجمعة في الساعة الأولى – أي في الفوج الأول – كان كمن قدم بدنة – أي جملاً ثمنه مئة ألف – ومن ذهب في الساعة الثانية كان كمن قدم بقرة، ومن جاء المسجد في الساعة الثالثة كان كمن قدم شاة، ومن جاء في الساعة الرابعة كان كمن قدم دجاجة، وفي الساعة الخامسة – في آخر وجبة – كان كمن قدم بيضة، ثم تطوي الملائكة صحفها حين يصعد الخطيب المنبر، فهذا الذي يأتي بعد انتهاء الخطبة، ويصلى مع الإمام ركعة واحدة، ويتوهَم أنه أدَّى صلاة الجمعة، ماذا استفاد منها؟ أهم ما في صلاة الجمعة الخطبة، إنها عبادة تعليمية.

أيها الأخوة الكرام ؛ و قد فضَّل الله من أيام العام كله أيام العشر من ذي الحجة، و أفضل هذه الأيام يوم عرفة، أفضل الأيام على الإطلاق، فيه نفحات إلهية، وفضَّل الله تعالى من الشهور شهر رمضان فهو موسم المؤمنين، ومتجر الصالحين، وفيه فلاح الفالحين، و قد صعد النبي المنبر فقال:

**((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ))**

[الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك موضوع آخر أرجو الله أن يوفِّقني لمعالجته عن الوقت أيضاً.

**والحمد لله رب العالمين.**

## 3.4 واجب المسلم نحو وقته

**بسم الله الرحمن الرحيم**

### طول العمر نعمة إذا استخدم في نصرة الحق:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في موضوع الوقت، وربما كان هذا الموضوع هو الموضوع الأخير، وعلى كل فرمضان على الأبواب، وسوف نبدأ الحديث عن هذا الشهر الكريم، وعن هذا الموسم العظيم، وعن هذه الفرصة الثانوية بدءاً من الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى.




يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الإنسان، أي إنسان، مفطور على حبّ الحياة، بل يحب أن يطول في هذه الحياة عمره، بل لو استطاع أن يخلد لخلد، ولكن الشيء الذي يعنينا أن الدين نفسه يعد طول العمر نعمة إذا استخدم هذا العمر في نصرة الحق، وعمل الخير، لا يعنيننا ما يتمناه الإنسان، يعنينا أن الدين بنصوصه الصريحة، والصحيحة، يبين أن طول عمر الإنسان، وتوظيف هذا العمر في نصرة الحق، وفي عمل الصالحات نعمة كبرى من النعم التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام. سئل عليه الصلاة والسلام: من خير الناس؟ وفي رواية: أي الناس أفضل؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

**((من طال عمره وحسن عمله))**

[الترمذي عن أبي بكرة ]

الحديث معروف، أي الناس أفضل؟ قال:

**((من طال عمره وحسن عمله))**

[الترمذي عن أبي بكرة ]

ولكن كيف يطول العمر والعمر محدود؟ كيف يطيل الإنسان عمره وإن أجل الله عز وجل إذا جاء لا يؤخر؟ كيف نوفق بين دعوة بعضنا لبعض بطول العمر، وبين أن العمر مقصوم ومحدود لا يزيد ثانية واحدة؟ وقد قال ذاك الشاعر:

**حكم المنية في البرية جـــــار   ما هذه الدنيا بـــــدار قرار**

**بينا يَرى الإنسان فيها مخبراً   حتى يرى خبراً من الأخبار**

***

الإنسان بين لحظة وأختها، بين غمضة عين وانتباهها، في لمح البصر يصبح خبراً، وقد لصقت نعوته على الجدران، لذلك عقب الخطبة الأولى في كل خطبة من سنين طويلة نقول: واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، بين أن يرى الإنسان فيها مخبراً، يتكلم، يتفاصح، يشير بيديه، يغضب، يحزن، يرضى، يزمجر، إذا هو في لحظة واحدة خبراً لصقت تفصيلاته على ورقة، وهذه الورقة لصقت على الجدران، يؤكد هذا النبي عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح:

**((عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ))**

[الشيرازي في الألقاب والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن سهل بن سعد]

## العمر محدود و الأيام تمضي:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ تقدم الطب في هذه الأيام تقدماً مذهلاً، ومع ذلك لم يستطع أن يحل مشكلة الموت، العلم الذي أوصل الإنسان إلى القمر، لم يستطع أن يحل مشكلة الموت، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح رواه الإمام البخاري يقول:

**(( ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، إلا السام ))**

[ البخاري عن أبي هريرة ]

هذا ليس له دواء، إذاً العمر محدود، والأيام تمضي، وعقارب الزمن تسير، ولا بد من وقفة بين يدي الله عز وجل، يحاسب فيها الإنسان عن كل موقف، عن كل وضع، عن كل عطاء، عن كل أخذ، عن كل صلة، عن كل منع، عن كل مودة، عن كل غضب، لا بد من أن يحاسب الإنسان، كيف نوفق بين دعوة

بعضنا لبعض بطول العمر وبين الآيات والأحاديث القطعية الدلالة التي تؤكد أن عمر الإنسان لا يتقدم ولا يتأخر؟

## العمر يطول بالتضحية و البذل و العمل الصالح:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ يزيد العمر بالعمل الصالح، افتح دكاناً، افتحها شهراً، وبع في هذا الشهر بثلاثين ألفًا، وافتح دكان أخرى عشرة أيام، وبع فيها بمئة ألف، تجد أن محصول الدكان التي فتحت عشرة أيام، وبعت فيها بمئة ألف المحصول أكبر من هذه التي فتحت ثلاثين يوماً، وبعت فيها بثلاثين ألفًا.




إذا العمر يطول طولاً نسبياً لا زمنياً، يطول في المضمون، يطول في العمل الصالح، يطول في العلم، يطول في العمل، يطول في التضحية، يطول في البذل، هكذا إذا دعا بعضنا لبعض بطول العمر، فالمقصود أن يكون هذا العمر غنياً مفعماً بالعمل الصالح، مفعماً بالخير، مفعماً بالهدى، مفعماً بالعلم، مفعماً بما ينفع الناس.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الإمام الشهير ابن عطاء الله السكندري يقول: رب عمر اتسعت آماده وقلّت أمداده.

الإمام الشافعي عاش قرابة خمسين عامًا، ولم يزد عليها، اسمه على كل لسان، ملأ علمه الأفاق، ترك أثراً لا يمحى، وكم من معمر عاش مئة وثلاثين عامًا ولا يعرف بين الناس له ذكر، وليس له عمل، إذاً قيمة الإنسان في الغنى، غنى العمل الصالح، ألم يقل سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حينما سقى للفتاتين، فقال:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

[ سورة القصص: 24 ]

ألم يقل الإمام علي كرم الله وجهه: " الغنى والفقر بعد العرض على الله ".

ويقول ابن عطاء الله السكندري في حكمه المشهورة: رُبَّ عمر اتسعت آماده، وقلت أمداده. فقير إلى العمل، متصحر، لا ينطوي على شيء، عمر تافه، طعام وشراب، ونوم، ولهو، وتفاخر، وتكاثر، من دون مغزى، رب عمر اتسعت آماده، وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آماده، كثيرة أمداده، ومن بورك له في عمره، أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة.

## الدعوة إلى الهدى:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الذي يطيل العمر بهذا المعنى الدقيق الذي تم شرحه آنفاً ما جاء في السنة المطهرة في هذا الموضوع، ففي صحيح مسلم عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثاً يقول فيه:

**((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ))**

[مسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة ]




أنت تعمل عملاً صالحاً واحداً، ولكنك إذا دعوت إلى هدى كل هؤلاء الذين استفادوا من هذا الهدى، وعملوا أعمالا طيبة، بتأثير هذا الهدى كلهم في صحيفتك، فيبدو أن أعظم عمل أن تدعو إلى هدى، لأن كل من تبع هذا الهدى، وكل من استفاد من هذا الهدى، وكل من طبق هذا الهدى، وكل من سعد بهذا الهدى، وكل من نشر هذا الهدى فأثر في الآخرين، كل أولئك في صحيفتك، لذلك ما من مسلم على وجه الأرض منذ أن دعا النبي إلى الله عز وجل وإلى قيام الساعة إلا كان ذلك في صحيفة النبي عليه الصلاة والسلام، أخبرنا عن ذلك، حيث قال:

**((تعرض علي أعمالكم ))**

[البزار عن عبد الله بن مسعود ]

هذا في الدعوة إلى الهدى.

## مجاهدة النفس والهوى:

وأما في مجاهدة النفس والهوى ففي صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

**((إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله))**

[البخاري عن أبي هريرة]

**﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾**

[ سورة العنكبوت: 69 ]




الآية صريحة بأن معرفة الله تحتاج إلى جهاد، جهاد النفس والهوى، البحث عن الحقيقة، تطبيق ما جاء في هذه الحقيقة، الالتزام بأوامر الشرع، كبح جماح النفس، مخالفة النفس، هذا كله يحتاج إلى جهاد.

**((إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض))**

[ رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة ]

روى الإمام الطبراني في المعجم الأوسط حديثًا رواه عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ))**

[الإمام الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عباس]

**((عدل ساعة - كما في بعض الروايات - أفضل من عبادة ستين سنة))**

[ الأصبهاني عن أبي هريرة]

فإذا وضع الله الإنسانَ في عمل وتحت يديه أناس كثيرون، جعله قيماً على مجموعة من الناس، كان العدل فيهم ساعة يفوق عمل ستين عاماً:

**((يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ))**

[الإمام الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عباس]

## لقطة رائعة من السنة المطهرة:

مرّ رجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشعب – أي بوادي – فيه عين من ماء عذب، ماء جارية صافية، فقال هذا الصحابي: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، أتعبد الله – تصور أنه إذا جلس في هذا الشعب حيث الظل الظليل، والماء البارد، وراحة البال، والبعد عن القيل والقال، والسؤال والجواب، إن هذه الحياة تبدو رائعة، أحياناً أحدنا يمر بمقصف جميل، وفيه بناء لطيف، مشرف على وادٍ جميل يقول: آه لو أكون في هذا البيت، أبتعد عن الناس، أبتعد عن هموم المجتمع، وعن مشكلات البشر – فقال هذا الصحابي: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب أتعبد الله ولن أفعل هذا حتى أستأذن رسول الله، فلما استأذنه قال عليه الصلاة والسلام: لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ ألا تحبون أن تدخلوا الجنة؟ إذاً يجب أن تكون مع الناس، من خالط الناس، وصبر على أذاهم أفضل ممن أعتزلهم ولم يصبر على أذاهم، عملك الصالح في المجتمع، استقامتك، حلمك، توكلك، بذلك، عطاؤك، تواضعك، هذا كله لا يبدو في الانعزال، لا يبدو في التقوقع، ليس الإسلام هروباً من المجتمع، ليس الإسلام هروباً من مشكلات الحياة، إنه خوض في رمالها، ماذا فعل الأنبياء؟ إنهم عاشوا مع الناس، عاشوا مشكلات الناس.

## دليل على أن قيمة العمر ليست بطوله الزمني ولكن بغناه الفعلي:

يا أيها الأخوة المؤمنون:




دليل آخر على أن قيمة العمر ليست بطوله الزمني، ولكن بغناه الفعلي، النبي عليه الصلاة والسلام لبث في قومه ثلاثة وعشرين عامًا، أخرج الناس في هذه الأعوام القليلة من الظلمات إلى النور، وغيّر وجه التاريخ البشري، أقام ديناً جديداً، وربى جيلاً فريداً، وأنشأ أمة مثالية، وأسس دولة عالمية، رغم الصعوبات والعقبات، في عمر يسير،

الأعمار إما أن تكون تافهة، وإما أن تكون غنية.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ قد يقول أحدكم: هذا رسول الله، هذا نبي الله، أيده الله بالمعجزات أوحى الله إليه، أعطاه القرآن، إن السنن التي طبقت على النبي عليه الصلاة والسلام هي السنن نفسها التي طبقت علينا، واجه الصعوبات، واجه إخراج قومه له من مكة، واجه العداء، واجه تكالب قومه عليه، واجه صد الحق، كله واجهه، وكأنه من بني البشر، أما المعجزة التي جاء بها، بل إن أعظم معجزاته فهي القرآن الكريم، هكذا.

## ما يرفع من قيمة العمل الصالح:

### 1 . اتساع دائرته:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ما الذي يطيل العمر؟ إنه العمل الصالح، ولكن العمل الصالح إما أن تضيق دائرته، وإما أن تتسع دائرته، فمن اعتنى بأهل بيته فقط، فهذا له عمل صالح، لكنه محدود بهذه الزوجة، من اعتنى بأهله وكان له أولاد وأولاده اتسعت هذه الدائرة، كلما اتسعت دائرة العمل الصالح كلما ثمن هذا العمل الصالح، ونال درجة أعلى عند الله عز وجل، وكلما ارتفع مقام الإنسان عند الله اتسع عمله الصالح.

### 2 . الإخلاص فيه:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا يكفي ذلك، بل لابد من الإخلاص، لأن الإخلاص هو الذي يثمن العمل، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المتواتر:

**((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ))**

[ متفق عليه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ]

### 3 . وجود المعوقات:

أيها الأخوة الأكارم شيء آخر:




إن مما يرفع من قيمة العمل الصالح وجود المعوقات، فإن أصحاب النبي الأوائل هم الذين آمنوا به حينما كفر به الناس، وصدقوه حينما كذبه الناس، وأعطوه حينما حرمه الناس، لذلك النبي الكريم حينما خاطب السيدة خديجة قال: آمنت بي إذ كفر بي الناس، صدقتني إذ كذبني الناس، أعطتني إذ حرمني الناس، فهؤلاء الذين يخوضون غمار الحق وهم فرادى، والمجتمع من حولهم يقف في وجههم، هؤلاء لهم أجر عند الله يفوق أضعاف بل آلاف المرات من الذين لا يفعلون الخير إلا إذا شاع، ولا يهتدون إلى الهدى إلا إذ عمّ، هؤلاء لهم أجر وهؤلاء لهم أجر، والله سبحانه وتعالى يقول:

**﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾**

[ سورة الحديد: 10 ]

## 4 . أن يكون في زمن الفساد والفتن:

هناك شيء آخر ؛ الذي يرفع قيمة العمل الصالح، حجمه، اتساع دائرته، والإخلاص، وشيء ثالث هو كثرة المعوقات في سبيله، ويرفع من قيمة هذا العمل الصالح أن يكون هذا العمل الصالح في زمن الفساد والفتن، حينما تفسد المجتمعات، وتضطرب الأحوال، ويتجبر الأقوياء، ويترف الأغنياء، ويداهن العلماء، وتشيع الفاحشة، ويظهر المنكر، ويختفي المعروف، أي حينما تظهر الفتن فللعمل الصالح وقتها أجر كبير كبير، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم والترمذي:

**((عبادة في الهرج والفتنة كهجرة إلي))**

[ مسلم عن معقل بن يسار ]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ:




**(( أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخشَنِيَّ قَالَ: قُلْتُ كَيْفَ تَصْنَعُ فِي هذِهِ الآيَةِ؟ – نحن أمام آية في كتاب الله – قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قَلْتُ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُركُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَ اهْتَدَيْتُمْ "– من بعض تفسيرات هذه الآية "عليكم أنفسكم " أي طهروا أنفسكم، ألزموا أنفسكم طريق الاستقامة، ألزموها العمل الصالح، ألزموها الإخلاص، عرفوها بربها، هذا من معاني هذه الآية، فإن لم تفعلوا، عندئذ يضركم من ضلّ، يجعل الله علاجكم على يدي هؤلاء الضلال، هذا من معاني هذه الآية، والقرآن حمال الأوجه، يعنينا ما جاء في هذه الآية في السنة النبوية – قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُركُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَ اهْتَدَيْتُمْ " قَالَ: سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيراً، سَأَلْتُ عَنْها رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً . شح مطاع من قبل جميع الناس . وَهَوىً مُتَّبَعاً، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً . الدنيا هي كل شيء . وَإعْجَابَ كَلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْراً لاَ يَدَانِ لَكَ به – لا تستطيع دفعه، ولا جلبه، أنت عاجز– فَعَلَيْكَ خُوَيْصَّةَ نَفْسِكَ – خاصة نفسك أهلك، أولادك، أقرباؤك، من حولك – فَعَلَيْكَ خُوَيْصَّةَ نَفْسِكَ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ عَلَى مِثْلِ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لَلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْل أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ . فقلنا يا رسول الله منا أو منهم؟ قال: بل منكم))**

[ابن ماجه عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ]

هؤلاء الذين يأتون في آخر الزمان، ويواجهون الصعوبات، أجرهم كأجر خمسين منكم، قالوا ولمَ؟ قال:لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون.

## أشياء ثلاثة تطيل العمر:

أيها الأخوة الأكارم ؛ شيء آخر يطيل العمر: يطول عمرك وأنت في الدنيا بكثرة العمل الصالح، يطول عمرك وأنت حي بكثرة العمل الصالح، ويطول العمر وأنت ميت، هكذا قال عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**((إذا مات ابن آدم انقطع إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))**

[ مسلم عن أبي هريرة ]

هذا عمر ثان، إذاً الموضوع موضوعان، كيف يطول العمر وأنت حي؟ وكيف يكتب لك عمر ثان بعد الحياة؟ هذه الأشياء الثلاثة مما تطيل العمر. ورد في بعض الأحاديث الشريفة ومن هذه الأحاديث ما رواه ابن ماجه حيث يقول عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحا تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن سبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته))**

[ ابن ماجه عن أبي هريرة]

هذا كله يجعل للمؤمن عمراً آخر بعد موته، والحديث الشهير الذي تعرفونه جميعاً، والذي رواه الإمام مسلم:

**((من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً))**

[مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي]

أي عمل طيب وفق الشرع نفع المسلمين، لك أجره وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، كتاب الله عز وجل ينطق بالحق، قال:

**﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾**

[ سورة يس: 12]

آثار هذا العمل، آثار هذا المسجد، آثار هذا الكتاب الذي ألفته تدعو به إلى الحق، آثار هذه المدرسة التي أسستها، آثار هذا الميتم الذي أقمته، آثار هذا الدعوة إلى الله، التي دعوت إليها، آثار هذه الأسرة الصالحة التي ربيتها، آثار هذا الطريق الذي شققته.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

[ سورة يس: 12]

﴿الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾

[ سورة القيامة: 13]

حمل بعضهم كلمة أخر على أن العمل الصالح له أثر بعد ممات الإنسان:

**دقات قلب المرء قائلة لـــــــه   إن الحياة دقائق وثـــوانٍ**

**فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمر ثان**

***

## الويل لمن مات و ترك عملاً ضالاً يضلّ الآخرين:

الآن ما يقابل هذا الشيء الخطير :

**((ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))**

[مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي]




من ترك فكرة ضالة، من ترك سنة ضالة، من ترك عملاً ضالاً، من ترك أذًى مستمراً، لذلك قال بعض الصالحين: طوبى لمن مات، وماتت معه ذنوبه، والويل لمن يموت وذنوبه باقية بعده، أسس ملهى ومات، كل معصية في هذا الملهى إلى أن يهدم هذا الملهى في صحيفته، ويعذب بها، طوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه، والويل لمن يموت وذنوبه باقية بعد موته، أي من ترك فكراً ضالاً، أو عملاً ضالاً، أو سنة ضالة، أو عملاً مستمراً له أذى للمسلمين، لم ينقطع به عمله الطالح، عمله الطالح مستمر، هذا شيء خطير جداً، أن يدع الإنسان

ظلامة في عنقه، أن يدع شيئاً سنه وهو باطل، أن يدع ضلالة كما أن الحسنة إذا استمرت استمر أجرها، كذلك الضلالة إذا استمرت استمر وزرها، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

**((كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار))**

[ النسائي عن جابر ومسلم وأحمد والبيهقي ]

**والحمد لله رب العالمين.**

# الفصل الرابع: أسباب زيادة العمر

## 4.1 طول العمر نعمة للمؤمن

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الإنسان، أي إنسان، مفطور على حبّ الحياة، بل يحب أن يطول في هذه الحياة عمره، بل لو استطاع أن يخلد لخلد، ولكن الشيء الذي يعنينا أن الدين نفسه يعد طول العمر نعمة إذا استخدم هذا العمر في نصرة الحق، وعمل الخير، لا يعنيننا ما يتمناه الإنسان، يعنينا أن الدين بنصوصه الصريحة، والصحيحة، يبين أن طول عمر الإنسان، وتوظيف هذا العمر في نصرة الحق، وفي عمل الصالحات نعمة كبرى من النعم التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام. سئل عليه الصلاة والسلام: من خير الناس؟ وفي رواية: أي الناس أفضل؟ فقال عليه الصلاة والسلام:




**((من طال عمره وحسن عمله))**

[الترمذي عن أبي بكرة ]

الحديث معروف، أي الناس أفضل؟ قال:

**((من طال عمره وحسن عمله))**

[الترمذي عن أبي بكرة ]

ولكن كيف يطول العمر والعمر محدود؟ كيف يطيل الإنسان عمره وإن أجل الله عز وجل إذا جاء لا يؤخر؟ كيف نوفق بين دعوة بعضنا لبعض بطول العمر، وبين أن العمر مقصوم ومحدود لا يزيد ثانية واحدة؟ وقد قال ذاك الشاعر:

**حكم المنية في البرية جــــار   ما هذه الدنيا بــــدار قرار**

**بينا يَرى الإنسان فيها مخبراً   حتى يرى خبراً من الأخبار**

***

الإنسان بين لحظة وأختها، بين غمضة عين وانتباهها، في لمح البصر يصبح خبراً، وقد لصقت نعوته على الجدران، لذلك عقب الخطبة الأولى في كل خطبة من سنين طويلة نقول: واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، بين أن يرى الإنسان فيها مخبراً، يتكلم، يتفاصح، يشير بيديه، يغضب، يحزن، يرضى، يزمجر، إذا هو في لحظة واحدة خبراً لصقت تفصيلاته على ورقة، وهذه الورقة لصقت على الجدران، يؤكد هذا النبي عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح:

**((عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ))**

[الشيرازي في الألقاب والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن سهل بن سعد]

## العمر محدود والأيام تمضي:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ تقدم الطب في هذه الأيام تقدماً مذهلاً، ومع ذلك لم يستطع أن يحل مشكلة الموت، العلم الذي أوصل الإنسان إلى القمر، لم يستطع أن يحل مشكلة الموت، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح رواه الإمام البخاري يقول:

**(( ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، إلا السام ))**

[ البخاري عن أبي هريرة ]

هذا ليس له دواء، إذاً العمر محدود، والأيام تمضي، وعقارب الزمن تسير، ولا بد من وقفة بين يدي الله عز وجل، يحاسب فيها الإنسان عن كل موقف، عن كل وضع، عن كل عطاء، عن كل أخذ، عن كل صلة، عن كل منع، عن كل مودة، عن كل غضب، لا بد من أن يحاسب الإنسان، كيف نوفق بين دعوة بعضنا لبعض بطول العمر وبين الآيات والأحاديث القطعية الدلالة التي تؤكد أن عمر الإنسان لا يتقدم ولا يتأخر؟

## العمر يطول بالتضحية و البذل و العمل الصالح:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ يزيد العمر بالعمل الصالح، افتح دكاناً، افتحها شهراً، وبع في هذا الشهر بثلاثين ألفًا، وافتح دكان أخرى عشرة أيام، وبع فيها بمئة ألف، تجد أن محصول الدكان التي فتحت عشرة أيام، وبعت فيها بمئة ألف المحصول أكبر من هذه التي فتحت ثلاثين يوماً، وبعت فيها بثلاثين ألفًا.




إذا العمر يطول طولاً نسبياً لا زمنياً، يطول في المضمون، يطول في العمل الصالح، يطول في العلم، يطول في العمل، يطول في التضحية، يطول في البذل، هكذا إذا دعا بعضنا لبعض بطول العمر، فالمقصود أن يكون هذا العمر غنياً مفعماً بالعمل الصالح، مفعماً بالخير، مفعماً بالهدى، مفعماً بالعلم، مفعماً بما ينفع الناس.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الإمام الشهير ابن عطاء الله السكندري يقول: رب عمر اتسعت آماده وقلّت أمداده.

الإمام الشافعي عاش قرابة خمسين عامًا، ولم يزد عليها، اسمه على كل لسان، ملأ علمه الأفاق، ترك أثراً لا يمحى، وكم من معمر عاش مئة وثلاثين عامًا ولا يعرف بين الناس له ذكر، وليس له عمل، إذاً قيمة الإنسان في الغنى، غنى العمل الصالح، ألم يقل سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حينما سقى للفتاتين، فقال:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

[ سورة القصص: 24 ]

ألم يقل الإمام علي كرم الله وجهه: " الغنى والفقر بعد العرض على الله ".

ويقول ابن عطاء الله السكندري في حكمه المشهورة: رُبَّ عمر اتسعت آماده، وقلت أمداده. فقير إلى العمل، متصحر، لا ينطوي على شيء، عمر تافه، طعام وشراب، ونوم، ولهو، وتفاخر، وتكاثر، من دون

مغزى، رب عمر اتسعت آماده، وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آماده، كثيرة أمداده، ومن بورك له في عمره، أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة.

## الدعوة إلى الهدى:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ الذي يطيل العمر بهذا المعنى الدقيق الذي تم شرحه آنفاً ما جاء في السنة المطهرة في هذا الموضوع، ففي صحيح مسلم عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثاً يقول فيه:

**((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ))**

[مسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة ]

أنت تعمل عملاً صالحاً واحداً، ولكنك إذا دعوت إلى هدى كل هؤلاء الذين استفادوا من هذا الهدى، وعملوا أعمالا طيبة، بتأثير هذا الهدى كلهم في صحيفتك، فيبدو أن أعظم عمل أن تدعو إلى هدى، لأن كل من تبع هذا الهدى، وكل من استفاد من هذا الهدى، وكل من طبق هذا الهدى، وكل من سعد بهذا الهدى، وكل من نشر هذا الهدى فأثر في الآخرين، كل أولئك في صحيفتك، لذلك ما من مسلم على وجه الأرض منذ أن دعا النبي إلى الله عز وجل وإلى قيام الساعة إلا كان ذلك في صحيفة النبي عليه الصلاة والسلام، أخبرنا عن ذلك، حيث قال:




**((تعرض علي أعمالكم ))**

[البزار عن عبد الله بن مسعود ]

هذا في الدعوة إلى الهدى.

## مجاهدة النفس و الهوى:

وأما في مجاهدة النفس والهوى ففي صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

**((إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله))**

[البخاري عن أبي هريرة]




﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[ سورة العنكبوت: 69 ]

الآية صريحة بأن معرفة الله تحتاج إلى جهاد، جهاد النفس والهوى، البحث عن الحقيقة، تطبيق ما جاء في هذه الحقيقة، الالتزام بأوامر الشرع، كبح جماح النفس، مخالفة النفس، هذا كله يحتاج إلى جهاد.

**((إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض))**

[ رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة ]

روى الإمام الطبراني في المعجم الأوسط حديثًا رواه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**(( يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ))**

[الإمام الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عباس]

**((عدل ساعة - كما في بعض الروايات - أفضل من عبادة ستين سنة))**

[ الأصبهاني عن أبي هريرة]

فإذا وضع الله الإنسانَ في عمل وتحت يديه أناس كثيرون، جعله قيماً على مجموعة من الناس، كان العدل فيهم ساعة يفوق عمل ستين عاماً:

**((يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة ))**

[الإمام الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عباس]

## لقطة رائعة من السنة المطهرة:

مرّ رجل من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشعب - أي بوادي - فيه عين من ماء عذب، ماء جارية صافية، فقال هذا الصحابي: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، أتعبد الله - تصور أنه إذا جلس في هذا الشعب حيث الظل الظليل، والماء البارد، وراحة البال، والبعد عن القيل والقال، والسؤال والجواب، إن هذه الحياة تبدو رائعة، أحياناً أحدنا يمر بمقصف جميل، وفيه بناء لطيف، مشرف على وادٍ

جميل يقول: آه لو أكون في هذا البيت، أبتعد عن الناس، أبتعد عن هموم المجتمع، وعن مشكلات البشر – فقال هذا الصحابي: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب أتعبد الله ولن أفعل هذا حتى أستأذن رسول الله، فلما استأذنه قال عليه الصلاة والسلام: لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ ألا تحبون أن تدخلوا الجنة؟ إذاً يجب أن تكون مع الناس، من خالط الناس، وصبر على أذاهم أفضل ممن أعتزلهم ولم يصبر على أذاهم، عملك الصالح في المجتمع، استقامتك، حلمك، توكلك، بذلك، عطاؤك، تواضعك، هذا كله لا يبدو في الانعزال، لا يبدو في التقوقع، ليس الإسلام هروباً من المجتمع، ليس الإسلام هروباً من مشكلات الحياة، إنه خوض في رمالها، ماذا فعل الأنبياء؟ إنهم عاشوا مع الناس، عاشوا مشكلات الناس.

## دليل على أن قيمة العمر ليست بطوله الزمني ولكن بغناه الفعلي:




يا أيها الأخوة المؤمنون: دليل آخر على أن قيمة العمر ليست بطوله الزمني، ولكن بغناه الفعلي، النبي عليه الصلاة والسلام لبث في قومه ثلاثة وعشرين عامًا، أخرج الناس في هذه الأعوام القليلة من الظلمات إلى النور، وغيّر وجه التاريخ البشري، أقام ديناً جديداً، وربى جيلاً فريداً، وأنشأ أمة مثالية، وأسس دولة عالمية، رغم الصعوبات والعقبات، في عمر يسير، الأعمار إما أن تكون تافهة، وإما أن تكون غنية.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ قد يقول أحدكم: هذا رسول الله، هذا نبي الله، أيده الله بالمعجزات أوحى الله إليه، أعطاه القرآن، إن السنن التي طبقت على النبي عليه الصلاة والسلام هي السنن نفسها التي طبقت علينا، واجه الصعوبات، واجه إخراج قومه له من مكة، واجه العداء، واجه تكالب قومه عليه، واجه صد الحق، كله واجهه، وكأنه من بني البشر، أما المعجزة التي جاء بها، بل إن أعظم معجزاته فهي القرآن الكريم، هكذا.

## ما يرفع من قيمة العمل الصالح:

### 1 . اتساع دائرته:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ما الذي يطيل العمر؟ إنه العمل الصالح، ولكن العمل الصالح إما أن تضيق دائرته، وإما أن تتسع دائرته، فمن اعتنى بأهل بيته فقط، فهذا له عمل صالح، لكنه محدود بهذه الزوجة، من اعتنى بأهله وكان له أولاد وأولاده اتسعت هذه الدائرة، كلما اتسعت دائرة العمل الصالح كلما ثمن هذا العمل الصالح، ونال درجة أعلى عند الله عز وجل، وكلما ارتفع مقام الإنسان عند الله اتسع عمله الصالح.

### 2 . الإخلاص فيه:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا يكفي ذلك، بل لابد من الإخلاص، لأن الإخلاص هو الذي يثمن العمل، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المتواتر:

**((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ))**

[ متفق عليه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ]

### 3 . وجود المعوقات:

أيها الأخوة الأكارم، شيء آخر: إن مما يرفع من قيمة العمل الصالح وجود المعوقات، فإن أصحاب النبي الأوائل هم الذين آمنوا به حينما كفر به الناس، وصدقوه حينما كذبه الناس، وأعطوه حينما حرمه الناس، لذلك النبي الكريم حينما خاطب السيدة خديجة قال: آمنت بي إذ كفر بي الناس، صدقتني إذ كذبني الناس، أعطتني إذ حرمني الناس، فهؤلاء الذين يخوضون غمار الحق



وهم فرادى، والمجتمع من حولهم يقف في وجههم، هؤلاء لهم أجر عند الله يفوق أضعاف بل آلاف المرات من الذين لا يفعلون الخير إلا إذا شاع، ولا يهتدون إلى الهدى إلا إذ عمّ، هؤلاء لهم أجر وهؤلاء لهم أجر، والله سبحانه وتعالى يقول:

**﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾**

[ سورة الحديد: 10 ]

## 4 . أن يكون في زمن الفساد والفتن:

هناك شيء آخر؛ الذي يرفع قيمة العمل الصالح، حجمه، اتساع دائرته، والإخلاص، وشيء ثالث هو كثرة المعوقات في سبيله، ويرفع من قيمة هذا العمل الصالح أن يكون هذا العمل الصالح في زمن الفساد والفتن، حينما تفسد المجتمعات، وتضطرب الأحوال، ويتجبر الأقوياء، ويترف الأغنياء، ويداهن العلماء، وتشيع الفاحشة، ويظهر المنكر، ويختفي المعروف، أي حينما تظهر الفتن فللعمل الصالح وقتها أجر كبير كبير، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم والترمذي:

**((عبادة في الهرج والفتنة كهجرة إلي))**

[ مسلم عن معقل بن يسار ]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ:




**(( أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخشَنِيَّ قَالَ: قُلْتُ كَيْفَ تَصْنَعُ فِي هذِهِ الآيَةِ؟ - نحن أمام آية في كتاب الله - قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُركُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَ اهْتَدَيْتُمْ "- من بعض تفسيرات هذه الآية "عليكم أنفسكم " أي طهروا أنفسكم، ألزموا أنفسكم طريق الاستقامة، ألزموها العمل الصالح، ألزموها الإخلاص، عرفوها بربها، هذا من معاني هذه الآية، فإن لم تفعلوا، عندئذ يضركم من ضلّ، يجعل الله علاجكم على يدي هؤلاء الضلال، هذا من معاني هذه الآية، والقرآن**

**حمال الأوجه، يعنينا ما جاء في هذه الآية في السنة النبوية – قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَ اهْتَدَيْتُمْ " قَالَ: سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيراً، سَأَلْتُ عَنْها رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً . شح مطاع من قبل جميع الناس . وَهَوىً مُتَّبَعاً، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً . الدنيا هي كل شيء . وَإِعْجَابَ كَلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْراً لاَ يَدَانِ لَكَ به – لا تستطيع دفعه، ولا جلبه، أنت عاجز – فَعَلَيْكَ خُوَيْصَّةَ نَفْسِكَ – خاصة نفسك أهلك، أولادك، أقرباؤك، من حولك – فَعَلَيْكَ خُوَيْصَّةَ نَفْسِكَ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ علَى مِثْلِ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لَلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْل أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ . فقلنا يا رسول الله منا أو منهم؟ قال: بل منكم))**

[ابن ماجه عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ]

هؤلاء الذين يأتون في آخر الزمان، ويواجهون الصعوبات، أجرهم كأجر خمسين منكم، قالوا ولِمَ؟ قال:لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون.

## أشياء ثلاثة تطيل العمر:

أيها الأخوة الأكارم ؛ شيء آخر يطيل العمر: يطول عمرك وأنت في الدنيا بكثرة العمل الصالح، يطول عمرك وأنت حي بكثرة العمل الصالح، ويطول العمر وأنت ميت، هكذا قال عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**((إذا مات ابن آدم انقطع إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))**

[ مسلم عن أبي هريرة ]

هذا عمر ثان، إذاً الموضوع موضوعان، كيف يطول العمر وأنت حي؟ وكيف يكتب لك عمر ثان بعد الحياة؟ هذه الأشياء الثلاثة مما تطيل العمر. ورد في بعض الأحاديث الشريفة ومن هذه الأحاديث ما رواه ابن ماجه حيث يقول عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحا تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن سبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته))**

[ ابن ماجه عن أبي هريرة]

هذا كله يجعل للمؤمن عمراً آخر بعد موته، والحديث الشهير الذي تعرفونه جميعاً، والذي رواه الإمام مسلم:

**((من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ))**

[مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي]

أي عمل طيب وفق الشرع نفع المسلمين، لك أجره وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، كتاب الله عز وجل ينطق بالحق، قال:

**﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾**

[ سورة يس: 12]

آثار هذا العمل، آثار هذا المسجد، آثار هذا الكتاب الذي ألفته تدعو به إلى الحق، آثار هذه المدرسة التي أسستها، آثار هذا الميتم الذي أقمته، آثار هذا الدعوة إلى الله، التي دعوت إليها، آثار هذه الأسرة الصالحة التي ربيتها، آثار هذا الطريق الذي شققته.

**﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾**

[ سورة يس: 12]

**﴿الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾**

[ سورة القيامة: 13]

حمل بعضهم كلمة أخر على أن العمل الصالح له أثر بعد ممات الإنسان:

**دقات قلب المرء قائلة لـــــــه إن الحياة دقائق وثـــوانٍ**

**فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان**

***

## الويل لمن مات و ترك عملاً ضالاً يضلّ الآخرين:

الآن ما يقابل هذا الشيء الخطير :

**((ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))**

[مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي]




من ترك فكرة ضالة، من ترك سنة ضالة، من ترك عملاً ضالاً، من ترك أذًى مستمراً، لذلك قال بعض الصالحين: طوبى لمن مات، وماتت معه ذنوبه، والويل لمن يموت وذنوبه باقية بعده، أسس ملهى ومات، كل معصية في هذا الملهى إلى أن يهدم هذا الملهى في صحيفته، ويعذب بها، طوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه، والويل لمن يموت وذنوبه باقية بعد موته، أي من ترك فكراً ضالاً، أو عملاً ضالاً، أو سنة ضالة، أو عملاً مستمراً له أذى للمسلمين، لم ينقطع به عمله الطالح، عمله الطالح مستمر، هذا شيء خطير جداً، أن يدع الإنسان ظلامة في عنقه، أن يدع شيئاً سنه وهو باطل، أن يدع ضلالة كما أن الحسنة إذا استمرت استمر أجرها، كذلك الضلالة إذا استمرت استمر وزرها، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

**((كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار))**

[ النسائي عن جابر ومسلم وأحمد والبيهقي ]

**والحمد لله رب العالمين.**

## 4.2 طول العمر نعمةً إذا استُخدم في نصرة الحق

**بسم الله الرحمن الرحيم**

### حبّ الإنسان بفطرته الخلود و الحياة:

أيها الأخوة الكرام ؛ منذ أسابيع عدة بدأت موضوع الوقت في أول العام الميلادي وبقي من هذا الموضوع خطبةٌ واحدة، ننتقل بعدها إن شاء الله تعالى إلى موضوعات الصيام.




الخطبة الأخيرة في الوقت كيف يطيل الإنسان عمره؟ الإنسان أيها الأخوة بفطرته يحب الحياة، و يحب أن يطول عمرُه، بل يحب الخلود لو استطاع، قال تعالى:

**﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾**

[سورة البقرة: 96]

من هذا الباب كما قال علماء التفسير دخل إبليس على أبي البشر آدم عليه السلام فوسوس إليه، قال تعالى:

**﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾**

[سورة طه: 120]

واليوم الأدوية التي توهم الناس أنها تطيل أعمارهم، وتعيد لهم شبابهم تروج رواجاً كبيراً، لأن الإنسان مفطور على حبِّ الحياة، يتمنى أن يطول عمره، يتمنى لو استطاع أن يخلد في الدنيا.

أيها الأخوة الكرام ؛ الدين نفسه يعدّ طول العمر نعمةً إذا استُخدم في نصرة الحق و عمل الخير، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ:

**((يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ))**

[الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ]

لكنكم كما تعملون و كما يعلم كلُّ حيٍّ الموتُ نهاية المطاف، و كل مخلوق يموت و لا يبقى إلا ذو العزة و الجبروت، و الليل مهما طال فلابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر:

**و كل ابن أنثى وإن طالت سلامت ه يوماً على آلة حدباء محمول**

**فإذا حملت إلى القبور جنـــــازة فاعلم بأنك بعدها محمـــــولُ**

***

وملَك الموت تخطَّانا إلى غيرنا، و سيتخطى غيرنا إلينا.

## الموتُ خاتمة المطاف ونهاية الحياة:




يا أيها الأخوة الكرام ؛ إذا كان الموتُ خاتمة المطاف، ونهاية الحياة، فالعمر إذًا جدُّ قصير، قصير جداً مهما طال، العمر الذي يعيشه الإنسان لأنه ينتهي ولأن الموت ينهيه هو جدّ قصير، لكن الإنسان أيها الأخوة بإمكانه أن يطيل عمره إلى ما شاء الله، بإمكانه أن يعيش عمراً ثانياً بعد موته، ما السبيل إلى ذلك؟

أيها الأخوة ؛ يقول عليه الصلاة و السلام مؤكِّداً هذه الحقيقة:

**(( عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه، و اعمل ما شئت فإنك مجزيّ به و مسؤول عنه....))**

[ الشيرازي و الحاكم والبيهقي عن علي ]

فلابد من موت ينهي الحياة، الطب مهما تقدَّم لم يستطع - تقدم الطب كثيراً وزرع قلب مكان قلب - أن يمدَّ العمر الذي أعطاه الله للإنسان، و الإنسان بالعلم وصل إلى القمر، ومع ذلك لم يستطع أن يزيد في عمره، لذلك قال عليه الصلاة و السلام في حديث صحيح رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً))**

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

لا بد من الموت.

## العمر الحقيقي للإنسان هو مقدار الأعمال الصالحة التي فعلها فيه:

الآن دخلنا في الموضوع أيها الأخوة، العمر الحقيقي للإنسان ليس هو مجموعة السنوات التي يقضيها الإنسان بين ولادته و بين دفنه، لكن العمر الحقيقي للإنسان هو مقدار الأعمال الصالحة التي فعلها في هذا العمر، العمر يغتني بالأعمال الصالحة، ويضعف، ويقصر بفقر الأعمال الصالحة، أو بقلة الأعمال الصالحة.

أيها الأخوة الكرام ؛ الإنسان قد يعيش مئة وثلاثين عاماً كشأن معمِّري بعض البلدان في شمال الكرة الأرضية، ومع ذلك ربما لا نعرفهم، ولا نعرف شيئاً عنهم، وقد يعيش عمراً قصيراً مفعماً بالأعمال الصالحة، فبعض الأئمة والعلماء عاشوا أقلَّ من خمسين عاماً، ومع ذلك ملأ علمُهم الآفاق، وسارت بأخبارهم الركبان، فالعبرة في العمر لا بمدته، بل بغنائه بالعمل الصالح.




أيها الأخوة الكرام ؛ ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم يقول: " رُبَّ عمر اتسعت آمادُه و قلَّت أمدادُه، و رب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده، و من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة و لا تلحقه الإشارة " أقرب مثل يوضِّح هذه الحقيقة: إنسان يعمل في التجارة، فتح محلَّه التجاري ساعةً واحدة باع بمليون ليرة، و إنسان فتح محله التجاري عشر ساعات، وباع بمئة ليرة، فقيمة هذا العمل التجاري بمدَّة افتتاح المحل التجاري أم بمقدار الغلَّة التي حصَّلها في هذا العمل؟ هكذا المؤمن، فإذا أردتم أن تنموَ أوقاتُكم، وأن تغتنيَ أعماركم عليكم أن تستغلوها في معرفة الله، ومعرفة منهجه، وفي اتِّباع منهجه، وفي العمل الصالح الذي يدني منه.

أيها الأخوة الكرام ؛ الإنسان بإمكانه أن يطيل عمرَه بمقدار ما يُوفَّق فيه من عبادة لله تعالى متقنة، وخالصة، ومن إحسان إلى خلقه، و كلما توفر لعمله الإخلاص والإتقان كان فضلُه وأجره أعظمَ عند الله، عبادة خالصة متقنة، صلوات، صيام، حج، زكاة، ائتمار بالأمر، وانتهاء عن عملٍ نهى الله عنه، خدمة الخلق، هذه العبادة، وتلك الأعمال المتقنة و الخالصة هي التي تغني العمر، وتجعله مفعماً بالخيرات.

## حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح:

شيء آخر يغتني به العمر، هذه الأعمال الصالحة كلما كانت أشدَّ نفعاً، وأكثر غنى، وأشمل اتِّساعاً كان العمرُ أغنى من عمر آخر، أي إنسان وُفِّق لهداية إنسان واحد، هذا عمل طيِّب لقول النبي عليه الصلاة و السلام عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَهْلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ:

**((لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ فَقَالَ أَيْنَ عَلِيٌّ فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ فَقَالَ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))**

[البخاري عَنْ أَبِي حَازِمٍ]

**((فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى الله بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))**

[متفق عليه عن سهل بن سعد الساعدي ]

**(( خير له مما طلعت عليه الشمس ))**

[الطبراني عن أبي رافع ]

**(( خير لك من الدنيا وما فيها ))**

[أحاديث الإحياء للعراقي ]




إذا الإنسان وُفِّق لهداية عشرة، العدد كثُر، فكيف بالنبي عليه الصلاة و السلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين؟ و كيف بالنبي عليه الصلاة و السلام الذي بدأ وجه الأرض بدعوته؟ و الذي رسَّخ الفضائل و القيم بسيرته؟ وكيف بهؤلاء الصحابة

الكبار الذين فتحوا البلدان ووصلوا إلى مشارق الأرض و مغاربها و نشروا دين الحق في هذه الأرجاء التي كانت تعبد الأوثان؟ إذًا ننتقل إلى فكرة ثانية وهي أن حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، فكلما اتَّسعت رقعةُ هذا العمل الصالح، و كلما كثر عددُ الذين انتفعوا من هذا العمل الصالح، و كلما امتدَّ أمدُ هذا العمل الصالح، و كلما عمُق تأثيرُ هذا العمل الصالح، كلما كان عمرك أغنى و أعظم عند الله.

## العمر يمكن أن يكون وعاء لبطولة الإنسان و سبباً لرفعته عند الله:

أيها الأخوة الكرام ؛ لعلكم تغفلون عن أن الله سبحانه و تعالى أقسم بعمر النبي عليه الصلاة و السلام، قال تعالى:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[ سورة الحجر: 72]

خالق السموات والأرض يقسم بعمر النبي عليه الصلاة و السلام، إذًا أنت أيها الأخ الكريم تتمتع بالحياة، وبإمكانك في هذه الحياة المحدودة أن تكون بطلاً، أن تتعرف إلى الله، وأن تتعرف إلى منهجه، أن تطلب العلم، أن تخلص العمل، فإذا بهذا العمر الذي يعدُّه الناسُ شيئاً مألوفاً هو وعاءٌ لبطولتك، و سبب لرفعتك عند الله عز وجل.

أيها الأخوة الكرام ؛ مرة ثانية: العمل كلما اتسعت رقعته، و كثر عدد المنتفعين به، و امتد أمده، و قوي أثرُه، كان أدعى لأن يرفع شأنك عند الله، وكان أدعى لأن يكون هذا العمر ثميناً جدًّا، حيث أن المؤمن يعرف قيمة الوقت، يعرف أن الوقت الذي يعيشه سوف يمضيه، ويعرف أنه ما مضى فات، والمؤمل غيبٌ، وله الساعة التي هو فيها.

## الدعوة إلى الله و إسداء الخير للبشر في قمة الأعمال الصالحة:

يا أيها الأخوة الكرام ؛ كما قال علماء التفسير: الدعوة إلى الله عز وجل بعد معرفته حقَّ المعرفة، ومعرفة منهجه حق المعرفة، و التطبيق، والإخلاص، هي في قمة الأعمال الصالحة، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[ سورة فصلت: 33 ]

مرة ثانية: حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[سورة الأحقاف: 19]




روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))**

[ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

أي هذا الذي دعوته إلى الله، و تعبت في دعوته إليه، أجهدت نفسك، و بذلت الليالي الطويلة من أجل أن تدلَّه على الله، أعماله كلها في صحيفتك، من دون أن ينقص الله من أعماله شيئاً. ومن الأعمال الجليلة فضلاً عن الدعوة إلى الله الخالصة و المخلصة، من الأعمال الجليلة كما قال بعض الأئمة و الولاة لما فيه من إسداء الخير لمجموعات كبيرة من البشر، قال عليه الصلاة و السلام:

**((يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة))**

[فضيلة العادلين من الولاة لأبي نعيم عن ابن عباس]

وقد ورد في الأثر أن العدل حسن، لكن في الأمراء أحسن، و أن الورع حسن، لكن في العلماء أحسن، و أن السخاء حسن، لكن في الأغنياء أحسن، و أن الصبر حسن، لكن في الفقراء أحسن، وأن الحياء حسن، لكن في النساء أحسن، و أن التوبة حسن، لكن في الشباب أحسن.

أيها الأخوة الكرام ؛ كم من أناس وُفِّقوا لأعمال كبيرة في أزمنة يسيرة حتى لتحسب إنجازاتهم ضرباً من الخوارق، لكنها البركة، والتوفيق، قد يعجب الإنسان فلان كيف يوزِّع وقته رغم أعماله الجليلة؟ إنه التوفيق، و أن الله سبحانه و تعالى وضع البركة في أوقاته، أي أن الإنسان حينما يطع الله عز وجل، و يخلص له، اللهُ سبحانه و تعالى يبارك له في أوقاته، أي يلهمه إنجازات كبيرة في وقت يسير، و بجهد قليل، هناك من العلماء من أحصوا صفحات مؤلَّفاتهم وقسَّموها على أيام حياتهم فكانوا قد كتبوا في اليوم الواحد ما يزيد عن تسعين صفحة، وهل بإمكان واحد منا أن يقرأ تسعين صفحة كل يوم بشكل مستمر؟!

أيها الأخوة الكرام ؛ قدوتنا في هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي أخرج الناسَ من الظلمات إلى النور، و غيَّر وجه التاريخ البشري إلى اليوم، و إلى ما شاء الله، في ثلاث و عشرين سنة أقام دنيا جديدة و ديناً جديداً، ربَّى عليه جيلاً فريداً، و أنشأ أمَّة مثالية، و أسَّس دولة عالمية في زمن يسير على الرغم من كل الصعوبات والمعوّقات.

## عوامل ترفع من قيمة العمل:

أيها الأخوة الأكارم ؛ موضوع الوقت موضوع دقيق جداً، وهناك شيء آخر: يزداد ثقلُ العمل في ميزان الحق، و تتضاعف قيمته ومثوبته عند الله عز وجل كلما كثرت المعوّقاتُ فيه، وعظمت الصوارفُ والمغريات عنه، وقلَّ المعينُ عليه، من هنا كان فضل الصحابة على من بعدهم كبير لأنهم صدَّقوا رسول الله حينما كذَّبه الناس، و آووه حينما أخرجه الناس، ونصروه حينما خذله الناس، فليسوا سواء من آمن من قبل، والذي آمن بعد الفتح، ليس هناك نسبة تجمعهم، قال تعالى:

**﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾**

[سورة الحديد: 10]




شيء آخر مما يرفع قيمة العمل أيضاً أن يكون عند فساد المجتمعات، و اضطراب الأحوال، حين يجور الأمراءُ، ويترف الأغنياء، ويتجبَّر الأقوياء، ويداهن العلماء، وتشيع الفاحشة، ويظهر المنكر، ويختفي المعروف، في هذا الظرف الصعب تزداد قيمة العبادة، و يزداد أجر الدعوة إلى الله، ويزداد فضلُ الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر.

أيها الأخوة الكرام ؛ في صحيح مسلم و الترمذي حديث قدسي، فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((قَالَ الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ – أي في الفتن – كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))**

[مسلم عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ]

و:

**(( عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ، قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ))**

[الترمذي عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ]

رواه ابن ماجه و الترمذي وقال حديث حسن، و زاد عليه أبو داود، قالوا:

**(( يا رسول الله مثل أجر خمسين منا أم منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم، و في زيادة ثالثة قال: لأنكم تجدون على الخير أعواناً و لا يجدون ))**

إذًا:

**(( الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ ))**

[مسلم عَنْ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ثلاثة عوامل إذًا ترفع من قيمة العمل؛ أن تتَّسع رقعتُه، و أن يمتدَّ أمدُه، و أن يظلَّ عدداً كبيراً من الناس، و أن تعمق جذورُه، و أن تكثر المعوّقاتُ والصوارف، و أن يقلَّ المعين عليه، و أن يكون في زمن الفساد و الفتن، من استطاع في زمن الفساد و الفتن أن يحفظ دينه، و أن يحفظ جوارحه، وأن يأتمر بما أمر الله، وأن ينتهي عما عنه نهى، فقد كان من النخبة الذين نوَّه عنهم النبيُّ عليه الصلاة والسلام حينما وصفهم بأنهم أحبابه، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ))**

[الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

## تعريف بالعمر الثاني للإنسان:

أيها الأخوة الكرام؛ هذا عن العمر الذي يحياه الإنسان، فماذا عن العمر الثاني؟ هناك عمر ثانٍ، الإنسان إذا عرف ربَّه و عرف سرَّ وجوده، وعرف حقيقة الحياة الدنيا، و أخلص في طلب العلم و العمل، بإمكانه أن يطيل عمره، وأن يمدَّ حياته، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))**

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عن أبي هُرَيْرَة]

فيحيا وهو ميّت، و يؤدِّي رسالته للأحياء، وهو تحت أطباق الثرى، كيف؟ إذا ترك بعد موته ما ينتفع الناسُ به من علم نافع، أو من عمل صالح، أو من أثر طيِّب، أو من حسنة تنفع الناسَ، أو من سنة يُقتدى بها، أو من مؤسَّسة خيرية تؤتي ثمارها من بعده، أو من ذرية صالحة أحسن تربيتها، فكانت امتدادًا لحياته من بعد موته، إذا تركت مثل هذه الأشياء فلك عمرٌ ثانٍ بعد موتك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))**

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عن أبي هُرَيْرَة]

و في حديث أكثر تفصيلاً من هذا الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:




**((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ))**

[ابن ماجه عن أبي هُرَيْرَة]

كل هذه الأعمال تلحق صاحبها بعد موته، و الذي يؤكِّد هذه الحقيقة قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ﴾

[سورة يس: 12]

الآثار المترتبة على أعمالهم هذه تلحقهم بعد موتهم، والآية الثانية قال تعالى:

﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾

[سورة القيامة: 13]

أي بما ترك من عمل صالح بعد موته، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

**((جَاءَ نَاسٌ مِنْ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))**

[مسلم عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

والمقصود بالسنة الحسنة هنا المعنى اللغوي، أي فعلَ شيئاً لم يكن عليه في عهد النبي، لكنه يتوافق مع مقاصد الشريعة، أما البدعة المتعلقة بالدين فهذه البدعة مردودة كليًا، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَقُولُ:

**((مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ نَذِيرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ ثُمَّ قَالَ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ أَوْ عَلَيَّ وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ))**

[النسائي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ]

أيها الأخوة الكرام ؛ اتفق العلماء على أن الذكر الحسن بعد الموت هو عمر ثان، لأن ألسنة الخلق أقلام الحق، و البيت الشعري الذي يقول:

دقَّاتُ قلب المرء قائلة لــــــه: إن الحيــاة دقائق و ثوان

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

***

يا أيها الأخوة؛ دقِّقوا في هذا الكلام، أجلُّ الأعمال – و عليك أن تقبل عليها – ما تجدَّد ثوابها بعد موتك، ولد صالح، علم منشور، عمل خيري عظيم، مؤلَّف يؤكِّد الحقيقة التي جاء بها النبي عليه الصلاة و السلام، أجلُّ الأعمال عند الله ما تجدَّد ثوابها ونفعها بعد الموت، و أخطر هذه الأعمال التي تودي بصاحبها إلى قعر جهنم ما تجدَّد إثمها بعد الموت، أنشأ ملهى، هذا الملهى يُرتكب فيه كلَّ يوم معصية، و تُوفِّي صاحب الملهى، هذا العمل يتجدَّد إثمُه بعد الموت.

## أمراض الوقت:

### 1 . الغفلة:

بقي علينا من موضوع الوقت آفاتٌ ثلاث، الآفة الأولى هي الغفلة، أخطر شيء يقع فيه الإنسان أن يغفل عن الموت، أن يغفل عن ربِّه، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

[سورة الأعراف: 179]




غافل عن ساعة الموت، غافل عن حقيقة الدين، غافل عن الأمر و النهي، قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

[سورة الروم: 6-7]

وقال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ

مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾

[سورة الأعراف: 205]

وقوله تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[سورة الكهف: 28]

الإنسان حينما يغفل عن حقيقة وجوده، و عن سر وجوده، وعن مصيره المحتوم، عن حقيقة الحياة الآخرة، وعن حقيقة رسالته في الدنيا فقد خسر نفسه، و أشدُّ خسارةِ هي أن يخسر الإنسانُ نفسه، والصدّيق رضي الله عنه من أدعيته كان يقول: " اللهم لا تدعنا في غمرة، و لا تأخذنا على غِرَّة، ولا تجعلنا من الغافلين".

## 2 . التسويف:

مرضٌ آخر من أمراض الوقت التسويف، قال بعض العلماء: احذروا سوف "، وقال بعضهم: سوف جندٌ من جنود إبليس " أكثر الناس إن دعوته إلى التوبة يقول لك: حتى أؤدي الامتحان، أو حتى أؤسّس هذا العمل، أو على أول الصيف، أو على أول الشتاء، أو بعد هذه السفرة، أو بعد الزواج، هذا التسويف جند من جنود الشيطان، الحسن البصري يقول: " إياك و التسويف فإنك بيومك و لستَ بغدِك، فإن يكن لك غدٌ فكن في غدك كما كنت في يومك، و إن لم يكن لك غدٌ لم تندم على فرَّطت في اليوم "، فالتسويف أحد آفات الزمان، شيء آخر من أخطار التسويف أنك لا تضمن أن تعيش إلى الغد:

**تزوَّد من التقوى فإنك لا تـــدري إذا جنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجـــر**

**فكم من سليم مات من غير علَّةٍ وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر**

***

ومن عدَّ غدًا من أجله فقد أساء صحبة الموت، من قال: غدا أفعل كذا، من عدَّ غدًا من أجله فقد أساء صحبة الموت.

الشيء الثالث في التسويف لا تضمن أن يأتي غدٌ، و الشيء الثاني: لا تضمن أن يخلو الغدُ من معوِّقات، لقول النبي عليه الصلاة و السلام:

**((اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وحياتك قبل موتك، وصحتك قبل مرضك، وفراغك قبل شغلك....))**

[الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما]

قد تأتي معوِّقات لم تكن في الحسبان، أنت الآن صحيح، أنت الآن لا تشكو من شيء، لو جاء مرضٌ – لا سمح الله و لا قدَّر– هذا يشغلك عن الله عز وجل، ما دمت صحيحا فانتهز هذه الصحة، اغتنمها، مادمت قوياً اغتنم هذه القوة، ما دمت شاباً اغتنم هذا الشباب، ما دام القلبُ يخفق اغتنم هذا الخفقان، فإذا توقَّف الخفقانُ انتهت حياةُ الإنسان، و خُتِم عملُه، و انقضى أجله.

## 3 . سبّ الزمان:

أيها الأخوة الكرام ؛ آخر آفة يقع فيها الإنسان هناك من يكيل السباب كثيراً للساعة التي وُلِد فيها، وللساعة التي عرف فيها، هذا كلام أهل الجاهلية، ربُّنا سبحانه و تعالى يقول:

**﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾**

[سورة آل عمران: 165]




وفي الحديث القدسي عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:

**((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا**

**نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ))**

[مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ]

إياك أن تسبَّ الزمان، إياك أن تسبَّ جهة أخرى لا علاقة لها بك، أنت وحدك المسؤول عن أعمالك، أنت وحدك المسؤول عن اختيارك، هذا الذي جاء لسيدنا عمر و قد شرب الخمر، فقال: يا أمير المؤمنين لأن الله قدَّر عليَّ ذلك، قال: أقيموا عليه الحدَّ مرتين ؛ مرة لأنه شرب الخمر و مرة لأنه افترى على الله، قال: ويحك يا هذا، إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار.

**والحمد لله رب العالمين.**

# الفصل الخامس: الوقت من خلال القرآن والسنة

# 5.1 الإنسان هو الوقت

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

## الزمن شيء مصيري في حياة الإنسان:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ نعود إلى موضوع الوقت، والوقت أخطر شيء في حياة الإنسان لأن الإنسان هو وقت، بضعة أيام، كلما انقضى منه يوم انقضى بضع منه.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ينبغي للمؤمن الصادق الحق أن يشعر بقيمة الوقت، يجب أن يشعر بقيمته حتى يغتنمه، لن يغتنمه إلا إذا شعر بقيمته، الله سبحانه وتعالى يقسم ويقول:

**﴿وَالْعَصْرِ﴾**

[ سورة العصر: 1 ]




قال بعض علماء التفسير: العصر مطلق الزمن، لأن الزمن شيء مصيري في حياة الإنسان، فينبغي للمؤمن أن يشعر بقيمة الوقت، حتى يستطيع أن يملأ هذا الوقت بالخير، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

**((خيركم من طال عمره – فيه إشارة إلى طول الوقت– وحسن عمله ))**

[الترمذي في السنن عن أبي بكرة]

بالمقابل هناك من لا يشعر بقيمة الوقت، لا يعرف له قيمة، يستهلكه استهلاكاً رخيصاً، يسوف، يؤجل، يباعد، يعجز، يتكاسل، فالعجز، والكسل، والتسويف، هذا من صفات غير المؤمن، الذي لا يعرف قيمة الوقت، والذي يستهلكه استهلاكاً رخيصاً.

بماذا دعا النبي عليه الصلاة والسلام، دعا دعاءً فيه إشارة دقيقة إلى قيمة الوقت، قال: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل. العجز والكسل، يمضي الوقت بلا فائدة، بلا جدوى، في كلام فارغ، في مزاح رخيص، في مناقشات عقيمة، في عمل لا يرضي الله، في عمل لا يعود عليه بالخير، لا في دنياه، ولا في أخراه، هذا الذي يستهلك الوقت لا يعرف قيمته، وإذا عرف الإنسان نفسه عرف لماذا هو في هذه الدنيا، وعرف قيمة الوقت فاغتنم هذا الوقت.

## المؤمن العاقل ينظم وقته:




يا أيها الأخوة المؤمنون؛ لو أن واحدًا منا في سفر، وهناك موعد محدد دقيقٌ دقيق لإقلاع الطائرة، وعنده قائمة من الحاجات لابد من أن ينجزها، لماذا تجده يسرع في إنجازها؟ لماذا تجده لا يصرف وقتاً تافهاً؟ لماذا يعرض عن كل لغو؟ عن كل سفسفة؟ عن كل عمل لا شأن له؟ إذا كنت في سفر، وإقلاع الطائرة له وقت محدد لا يزيد ولا يتأخر، وعندك قائمة من الأعمال راقب نفسك كيف تستهلك الوقت، ترسم خطة، تضع هذه الفقرة قبل هذه الفقرة، من أجل أن تنجز كل هذه الأعمال في هذا الوقت المحدد، إذا كنت في سفر، وإذا كان إقلاع الطائرة على موعد دقيق، وإذا كانت أمامك جملة أعمال لابد من إنجازها، هكذا ينبغي للمؤمن أن يكون في الدنيا، إذا كنت في امتحان، وهذا الامتحان له وقت محدود، والأسئلة كثيرة، هل تستهلك الوقت في شيء لا علاقة له بالامتحان؟ إطلاقاً. المؤمن العاقل هو الذي ينظم وقته، ويستهلكه كما لو كان في امتحان، أو كما لو كان في سفر، وموعد إقلاع الطائرة لا يتبدل، أما إذا كان الإنسان في بيته، ومع أهله، فقد يرجئ إنجاز عمل سنوات وسنوات، لماذا؟ لأن الوقت لا قيمة له، وهو مقيم في بلده، أقول: هذه أنجزها غداً، أو بعد غدٍ، أو بعد شهرٍ، أو في الصيف المقبل، أو في الشتاء المقبل، إذا كنت مقيماً في بلد لا تشعر بقيمة الوقت، إذا كنت مسافراً وهناك أعمال ضخمة لابد من إنجازها عندئذ تشعر بقيمة الوقت.

## إشارات في القرآن الكريم إلى الوقت واغتنامه:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ سؤال دقيق: هل في القرآن الكريم إشارات إلى الوقت وإلى اغتنامه؟ لا شك، لكن من أولى هذه الآيات قوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

[ سورة البقرة: 148 ]




هو، هذه الآية أصل في حرية الاختيار، لكل منكم يا عبادي وجهة، هو تعود عليه، هو موليها، لك أن تذهب يميناً أو شمالاً، لك أن تذهب إلى المسجد أو إلى الحانة، لك أن تصلي أو لا تصلي، لك أن تأكل مالاً بالمعروف أو بغير معروف، لك أن تطلق بصرك في الحرام أو أن تغض بصرك:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

لك أن تقف إلى جانب الحق، أو إلى جانب الباطل، لك أن تفعل شيئاً يرضي الله، أو لا يرضي الله، لك أن تقف هذا الموقف، لك أن تعطي، لك أن تمنع، لك أن تصل، لك أن تقطع، هذا لك، هذا هو الكسب.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[ سورة البقرة: 286 ]

## المبادرة إلى استباق الخيرات:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

ما الذي جاء بعد هذه الآية؟ جاء قوله تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

أي هذه الوجهة التي يملكها الإنسان، هذا الاختيار الذي ملكه الله إياه، هذه الحرية في أن يفعل أو لا يفعل، التي منحه الله إياها، إنما هي مؤقتة، إنما هي تنتهي بانتهاء الأجل، لذلك:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾




ما دامت هذه الحرية التي تكسب بها العمل الصالح، هذه الحرية التي يثمن بها عملك، هذا الاختيار الذي يكسبك رضوان الله، هذا ليس معك إلى الأبد، هذا مؤقت، هذا الاختيار ينتهي بالموت، ينتهي بانتهاء الأجل، ينتهي بالانتقال إلى الدار الآخرة، ما دام هذا الاختيار ينتهي

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

وفي قوله تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

إشارة إلى قيمة الوقت، والدليل:

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

هذا هو الموت، إن كنت في بلدك، أو كنت مسافراً، إن كنت في صحة تامة، أو كنت في مرض، أو كنت في بحبوحة، أو كنت في فقر، كنت شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً، في عملك، في نزهتك، في بيتك.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾

هذه الآية أيها الأخوة فيها ثلاث إشارات، إشارة إلى أن الإنسان مخير، وأن هذا الاختيار هو الذي يثمن عملك، وإشارة إلى أن الوقت ضيق جداً، فبادروا في استباق الخيرات، وإلى أن الموت حق، ما من مخلوق إلا وسوف يموت، كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت.

**الليل مهما طال فلابد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلابد من نزول القبر**

***

## آيات أخرى تشير إلى قيمة الوقت:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ آية ثانية تشير إلى قيمة الوقت:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

[ سورة آل عمران: 133 ]

سَارِعُوا، المسارعة تعني أن هناك وقتًا محدودًا، لابد من أن تفعل فيه الشيء الكثير، فإذا استهلكته استهلاكاً رخيصاً، ضاع عليك خير كثير.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[ سورة آل عمران: 133-134]

آية ثالثة يصف الله بها الأنبياء صلوات الله عليهم:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

[ سورة الأنبياء: 90 ]

## تبديد الوقت و إضاعته من قِبل المنافقين:

يا أيها الأخوة المؤمنون؛ أما المنافقون فهم يبددون الوقت، يستهلكونه، يضيعونه، يتلفونه، لا يعرفون قيمته، وصف الله عز وجل فقال:

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾

[ سورة النساء: 142 ]




في آية ثانية:

﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

[ سورة التوبة: 54 ]

النبي عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح رواه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حديث حسن، قال عليه الصلاة والسلام:

((بادروا بالأعمال الصالحة))

[الترمذي عن أبي هريرة ]

بادروا، تسابقوا، تنافسوا، انطلقوا.

**((فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟))**

[الترمذي عن أبي هريرة ]

هذه الدنيا ماذا فيها؟ لو أن الإنسان ترك العمل الصالح، لو أنه كفر بالآخرة، لو أنه قال: الدنيا هي كل شيء، ولا شيء بعد الدنيا، كما يفعل عامة أهل الغرب، الدنيا هي كل شيء، هي الجنة والنار، قال:

**((بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟))**

[الترمذي عن أبي هريرة ]

## توضيح مضي الوقت:

ماذا يعني مضي الوقت؟ ماذا يعني مضي الزمن؟ ماذا يعني أن تودع عاماً وتستقبل عاماً؟ أن تودع أسبوعاً وتستقبل أسبوعاً؟ ماذا يعني أن تودع الصيف وتستقبل الشتاء؟ ماذا يعني أن تودع الشتاء وتستقبل الربيع؟ ماذا يعني مضي الوقت؟ ماذا يعني؟ ماذا يخبئ الوقت للمعرض؟ ماذا يخبئ للكافر؟ ماذا يخبئ لمن أعرض عن الآخرة؟ ماذا يخبئ الوقت لمن جعل القرآن وراء ظهره؟ ماذا يخبئ الوقت لمن قال: إن الدين وهم وخرافة؟ ماذا يخبئ الوقت لمن قال: الإنسان هو سيد قدره؟ ماذا يخبئ الوقت لمن قال: الدنيا هي كل شيء؟ ماذا يخبئ الوقت له؟ قال:

**((بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا))**

[الترمذي عن أبي هريرة ]

ماذا ينتظر أحدكم:




**((هل تنتظرون إلا غنى مطغياً))**

مال وفير وعلم هزيل، هذا المال الوفير مع العلم الهزيل يطغي، يحمل صاحبه على الطغيان، على المعصية والعدوان، يحمله على أكل أموال الناس بالباطل، يحمله على الكبر، يحمله عن البعد عن الله عز وجل، يحمله على أن يستغني عن الله عز وجل.

**((ماذا ينتظر أحدكم من الدنيا، هل تنتظرون إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً))**

[الترمذي عن أبي هريرة ]

فقر مدقع ينسيك كل شيء، حاجة ماسة إلى الدرهم، لا تجد في جيبك قوت يومك، ماذا يخبئ الوقت لمن ترك الدين؟ لمن ترك الإيمان بالله؟ لمن ترك الآخرة؟ لمن ترك منهج ربه ماذا يخبئ له الوقت؟

**((هل تنتظرون إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً ))**

مرض عضال، يصيب أجهزة في الإنسان حساسة، تصبح الحياة جحيماً، ماذا يخبئ الوقت للمعرضين؟

**((أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً ))**

شيخوخة سماها القرآن الكريم أرذل العمر، تضعف ذاكرته ويثقل ظله، ويعيد الحديث آلاف المرات، ويصبح حشرياً، يحشر أنفه في كل شيء، يتمنى الناس موته.

**((أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً ))**

يأتي الموت بغتة، وهو بين أهله وأولاده، وهو في قمة نشوته، وهو في قمة سعادته المزعومة، يأتيه الموت ليأخذ منه كل شيء، وليأخذه إلى لا شيء، ماذا ينتظر أحدنا من الدنيا؟ إن لم يستقم على أمر الله، إن لم يعمل الصالحات، إن لم يقم أمر الله في بيته، إن لم يؤدِ زكاة ماله، إن لم يغض بصره عن محارم الله، إن لم يحرر دخله، إن لم يربِّ أولاده، إن لم يحجب زوجته، ماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ ماذا يخبئ الوقت؟ ماذا يخبئ مضي الوقت؟ ماذا يعني مضي الليالي والأيام؟

**((هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر ))**

هل بعد هذا الحديث الحسن الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل بعد هذا الحديث من حديث يوضح قيمة الوقت؟

أيها الأخوة المؤمنون ؛ قال عليه الصلاة والسلام:

**((من خاف أدلج ))**

معنى أدلج أي سار في أول الليل، إذا خاف المرء ظلمة الليل، ووحشة الليل، والسباع في الليل، والضياع في الليل، أدلج.

**((من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة ))**

[ الترمذي عن أبي هريرة ]

هذا الحديث أيضاً يشير إلى قيمة الوقت.

## الليل والنهار يبليان كل جديد:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الليل والنهار يبليان كل جديد، المنزل الجديد الذي تسكنه أول مرة خرج منه الدهان لتوه، وخرج منه الذي زينه لتوه، وفرش بالأثاث الفخم، الليل والنهار يبليان كل جديد، هذا الزواج في أوله، يظن الزوج أنه سيغمر بالسعادة، الليل والنهار يبليان كل جديد، هذه المركبة التي يركبها يظن أنها ستغمره بالسعادة، الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، قد يقول قائل: أنا عمري صغير، أين الموت مني؟ ويقربان كل بعيد، أيام وسنوات تمضي فإذا هو في الأربعين، هو في الخمسين، هو في الستين، وإذا بنعيه يوضع على الجدران، الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويطويان الأعمار، ويرشدان الصغار، ويفنيان الكبار، لذلك في القرآن الكريم إشارة إلى مضي الليل والنهار، قال تعالى:

**﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**

[ سورة آل عمران: 190 ]

الاختلاف له معنيان، إما تفاوت الليل والنهار في الطول والقصر والإضاءة والظلمة، أو أن الاختلاف أن يأتي الليل بعد النهار والنهار بعد الليل، وهكذا دواليك، حتى تقوم الساعة.

**﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**

[ سورة آل عمران: 190 ]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ أرض تحيا، حبة تنبت، نبات يزهر، زهر يثمر، ثمر يقطف، زرع يصبح هشيماً تذروه الرياح، أليس هذا يعني مضي الوقت؟ جنين يتكون، طفل يولد، وليد يشب، شاب يكتهل، كهل يشيخ، شيخ يموت، أليس معنى هذا أن الوقت يمر سريعاً؟ يسر وعسر، الوقت يكفي ليبدل العسر يسراً، واليسر عسراً، كل حال يزول، والوقت يكفي ليبدل الغنى فقراً، والفقر غنًى، والصحة سقماً، والسقم صحةً، والسرور حزناً، والحزن سروراً، والشدة رخاءً، والرخاء شدةً، والسراء ضراء، والضراء سراء، الوقت يبدل.




﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

[ سورة آل عمران: 140]

هذا أيضاً يشعر بمضي الزمن.

## تنظيم الوقت من ثمار معرفة قيمته:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ آية ثانية تشير إلى قيمة الوقت:

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

[ سورة النور: 44 ]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إذا اعتبرت بمضي الوقت، وإذا عرفت قيمة الوقت، وإذا أدركت خطورة الوقت، وإذا أيقنت أنك وقت، وأن هذا الوقت محدد، مؤقت، إذا أدركت كل ذلك، لا بد من أن تنظم وقتك، لا بد من وقت لله تعالى تتعرف إليه، يتمثل هذا في حضور مجالس العلم، في معرفة تفسير كتابه الكريم، في معرفة تفسير سنته الشريفة، سنة النبي عليه الصلاة والسلام في معرفة سير الصحابة والتابعين، لا بد من وقت تعرف فيه منهجك، ومنهجك التطبيق وهو السنة النبوية، لا بد من وقت تكسب فيه رزقك، لا بد من وقت تؤدي فيه واجبك تجاه أهلك، لا بد من وقت تمضي فيه حوائجك، العاقل لا يسمح لفقرة من هذه الفقرات أن

تطغى على أختها، كما لا يسمح لك الشرع الحنيف أن تنمي جهة على حساب جهة، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

**((ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعاً، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة، ولا تكونوا كلاً على الناس))**

[رواه ابن عساكر والديلمي عن أنس بهذا اللفظ]




لا بد من وقت تعرف فيه ربك، تعرف فيه المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه، لابد من تأمل في الكون حتى تعرفه، ولابد من أن تعرف الشرع حتى تعبده، إذاً هذا الوقت الذي تقتطعه من زبدة وقتك لمعرفة الله هو أهم أوقات حياتك، إذا صحّ هذا الوقت وصح ما فيه صحت حياتك، ولا بد من أن تكسب رزقك، لا بد من أن تكون يدك هي العليا، لا بد من أن تكون محسناً، لا بد من أن تكفي أهلك وأولادك، لذلك لابد من وقت تكسب فيه رزقك، ولكن الوقت الذي تكسب فيه رزقك يمكن أن يكون وقت عبادة، إذا كانت حرفتك مشروعة في الأصل، ومارستها بطريقة مشروعة، وابتغيت بها وجه الله، وخدمة المسلمين، وكفاية نفسك، ولم تلهك هذه الحرفة عن طاعة الله، ولا عن أداء واجباتك الدينية، إذا كانت كذلك انقلبت هذه الحرفة عبادة، هذا الوقت الثاني، ولا بد من وقت تهتم فيه بأهلك وأولادك، لأن لأهلك عليك حقاً، ولا بد من وقت تقضي بها حوائجك الخاصة هذا التنظيم من ثمار معرفة قيمة الوقت.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ مما رواه النبي عليه الصلاة والسلام عن صحف إبراهيم أنه قد جاء فيها: " ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوباً على أمره، أن يكون له أربع ساعات؛ ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيه بصنع الله عز وجل، وساعة يخلو بها لحاجاته من المطعم والمشرب ".

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ أصحاب الأعمال الضاغطة، أصحاب المسؤوليات الكبرى، الذين ينجحون في الحياة هم أشدّ الناس حاجة لتنظيم الوقت، لأن نجاحهم في الحياة قد يجعل جانباً من حياتهم يطغى على جانبٍ آخر، ينجحون في الدنيا، ويضيعون الآخرة، ينجحون في علاقاتهم العامة، ويضحون بعلاقاتهم

الخاصة، ينجحون في كسب المال ويخفقون في كسب رضوان الله عز وجل، هؤلاء المثقلون بالأعمال، هؤلاء الذين تزاحمت عليهم الحاجات، هؤلاء أحوج الناس إلى تنظيم الوقت.

## إعطاء كلّ ذي حق حقه لمتابعة الطريق بهمة و نشاط:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ شيء خطير في موضوع الوقت هو أنك إذا عرفت لماذا أنت في الدنيا، وما أفضل شيء تفعله في الدنيا، هذه المعرفة تجعلك تقيم كل شيء في ضوء هذه الحقيقة، تعرف هذا الشيء، علاقته بهدفك، علاقته بالدنيا، علاقته بالآخرة، علاقته بالأهداف المشروعة، علاقته بالمصالح الحقيقية، هذا الشيء يجعلك أقرب إلى الله، تفعله، هذا يبعدك عن الله، تتجنبه، إذا عرفت لماذا أنت في الدنيا عندئذ تستطيع أن تقوم كل شيء في حياتك.




أيها الأخوة المؤمنون ؛ نقل عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه قال: " روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت " أي إذا كنت في صحراء، والطريق طويلة، والحر شديد، والرمال لافحة، والماء قليل، لابد من واحة من حين إلى آخر، تستريح بها، لتستعيد النشاط على السير الجديد، روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت. النبي عليه الصلاة والسلام كان يتخول أصحابه بالموعظة، وكان يمزح مع أصحابه، ولا يمزح إلا حقاً، وكان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً كان يقول: " أكرموا النساء، فإنهن المؤنسات الغاليات " فشيء من المرح، وشيء من الطلاقة، وشيء من اللهو البريء الذي يرضي الله عز وجل، هذا يعينك على متابعة الطريق بهمة ونشاط.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ يقول عليه الصلاة والسلام:

**((يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل))**

[البخاري عن عائشة رضي الله عنها]

وفي حديث آخر:

**((إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا ))**

[البخاري والنسائي عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الأكارم ؛ إن لبدنك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، وفي ختام هذا الموضوع يقول عليه الصلاة والسلام:

**((إنما أنا أخشاكم لله وأتقاكم، ولكني أنام وأقوم، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، هذه سنتي، فمن رغب عنها فليس من أمتي ))**

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

# 5.2 العصر مطلق الزمن

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

## الوقت أخطر شيءٍ في حياة الإنسان:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ نعود إلى موضوع الوقت، والوقت أخطر شيءٍ في حياة الإنسان، لأن الإنسان هو وقتٌ، بِضْعَة أيّام، كلما انقضى منه يومٌ انقضى بضعٌ منه.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ينبغي للمؤمن الصادق الحق أن يشعر بقيمة الوقت، يجب أن يشعر بقيمته حتى يغتنمه، لن يغتنمه إلا إذا شعر بقيمته، الله سبحانه وتعالى يقسم ويقول:

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾

[ سورة العصر: 1]

قال بعض علماء التفسير: العصر مُطْلَق الزمن، لأن الزمن شيءٌ مصيريٌ في حياة الإنسان، فينبغي للمؤمن أن يشعر بقيمة الوقت حتى يستطيع أن يملأ هذا الوقت بالخَيْر، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

**(( خيركم من طال عمره – فيه إشارة إلى طول الوقت– وحسن عمله ))**

[الترمذي في السنن عن عبد الله بن بسر]




بالمقابل هناك من لا يشعر بقيمة الوقت، لا يعرف له قيمةً، يستهلكه استهلاكاً رخيصاً، يسوّف، يؤجّل، يباعد، يعجَز، يتكاسل، فالعجز والكسل والتسويف هذا من صفات غير المؤمن الذي لا يعرف قيمة الوقت، والذي يستهلكه استهلاكاً رخيصاً.

بماذا دعا النبي عليه الصلاة والسلام؟ دعا دعاءً

فيه إشارةٌ دقيقةٌ إلى قيمة الوقت فقال:

**(( اللهمَّ إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل ))**

[ أبو داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

العجز والكسل، يمضي الوقت بلا فائدة، بلا جدوى، في كلامٍ فارغ، في مزاحٍ رخيص، في مناقشاتٍ عقيمة، في عملٍ لا يرضي الله، في عملٍ لا يعود عليه بالخير لا في دنياه ولا في أخراه، هذا الذي يستهلك الوقت لا يعرف قيمته، وإذا عرف الإنسان نفسه، عرف لماذا هو في هذه الدنيا، وعرف قيمة الوقت، فاغتنم هذا الوقت.

## قيمة الوقت في حياة الإنسان:




أيها الأخوة المؤمنون؛ لو أن واحداً منَّا في سَفَر، وهناك موعدٌ محددٌ دقيقٌ دقيق لإقلاع الطائرة، وعنده قائمةٌ من الحاجات لابدَّ من أن ينجزها، لماذا تجده يُسْرِع في إنجازها؟ لماذا تجده لا يصرف وقتاً تافهاً؟ لماذا يعرض عن كل لغوٍ، عن كل سَفْسَفَةٍ، عن كل عملٍ لا شأن له؟ إذا كنت في سَفَر، وإقلاع الطائرة له موعدٌ محددٌ لا يزيد ولا يتأخَّر، وعندك قائمةٌ من الأعمال، راقب نفسك، راقب نفسك كيف تستهلك الوقت ؛ ترسم خطة، تضع هذه الفقرة قبل هذه الفقرة، من أجل أن تنجز كل هذه الأعمال في هذا الوقت المحدد.

إذا كنت في سفر، وإذا كان إقلاع الطائر على موعدٍ دقيق، وإذا كانت أمامك جُملة أعمالٍ لابدَّ من إنجازها، هكذا ينبغي للمؤمن أن يكون في الدنيا.

إذا كنت في امتحان، وهذا الامتحان له وقتٌ محدود، والأسئلة كثيرة، هل تستهلك الوقت في شيءٍ لا علاقة له بالامتحان؟ إطلاقاً، المؤمن العاقل هو الذي يُنَظِّم وقته ويستهلكه كما لو كان في امتحان، أو كما لو كان في سفرٍ، وموعد إقلاع الطائرة لا يتبدَّل.

أما إذا كان الإنسان في بيته ومع أهله فقد يرجئ إنجاز عملٍ سنواتٍ وسنوات، لماذا؟ لأن الوقت لا قيمة له وهو مقيمٌ في بلده، أقول: هذه أنجزها غداً، أو بعد غدٍ، أو بعد شهرٍ، أو في الصيف المُقبل، أو في الشتاء المُقبل. إذا كنت مقيماً في بلدٍ لا تشعر بقيمة الوقت، أما إذا كنت مسافراً وهناك أعمالٌ ضخمة لابدَّ من إنجازها، عندئذٍ تشعر بقيمة الوقت.

## إشارات في القرآن الكريم إلى الوقت:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ سؤالٌ دقيق: هل في القرآن الكريم إشاراتٍ إلى الوقت؟ وإلى اغتنامه؟ لاشكَّ، لكن من أولى هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

" هو " هذه الآية أصلٌ في حرية الاختيار، لكل منكم يا عبادي وجهةٌ " هو " –تعود عليه–

﴿هو موليها﴾

لك أن تذهب يميناً أو شمالاً، لك أن تذهب إلى المسجد أو إلى الحانة، لك أن تصلي أو لا تصلي، لك أن تأكل مالاً بالمعروف أو بغير معروف، لك أن تُطْلِقَ بصرك في الحرام أو تغض بصرك..

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

لك أن تقف إلى جانب الحق أو إلى جانب الباطل، لك أن تفعل شيئاً يرضي الله أو لا يرضي الله، لك أن تقف هذا الموقف، لك أن تعطي، لك أن تمنع، لك أن تَصِل، لك أن تَقْطَع، هذا لك، هذا هو الكَسْب..

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

[ سورة البقرة: 286 ]

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

ما الذي جاء بعد هذه الآية؟ جاء قوله تعالى:

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]




أيْ هذه الوِجْهَة التي يملكها الإنسان، هذا الاختيار الذي ملَّكه الله إيَّاه، هذه الحُرِّيَة في أن يفعل أو لا يفعل التي منحه الله إياها ؛ إنما هي مؤقَّتة، إنما هي تنتهي بانتهاء الأجل، لذلك:

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

مادامت هذه الحرية التي تكسب بها العمل الصالح، هذه الحرية التي يثمَّن بها عملك، هذا الاختيار الذي يكسبك رضوان الله، هذا ليس معك إلى الأبد، هذا مؤقَّت، هذا الاختيار ينتهي بالموْت، ينتهي بانتهاء الأجل، ينتهي بالانتقال إلى الدار الآخرة، ما دام هذا الاختيار ينتهي..

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

وفي قوله تعالى: فاستبقوا الخيرات إشارةٌ إلى قيمة الوقت، والدليل:

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

هذا هو المَوْت، إن كنت في بلدك، أو كنت مسافراً، إن كنت في صحةٍ تامة أو كنت في مرضٍ، أو كنت في بحبوحةٍ أو كنت في فقرٍ، كنت شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً، في عملك، في نزهتك، في بيتك..

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

هذه الآية أيها الأخوة فيها ثلاث إشارات ؛ إشارةٌ إلى أن الإنسان مخيَّر، وأن هذا الاختيار هو الذي يثمِّن عمله، وإشارةٌ إلى أن الوقت ضيقٌ جداً فبادروا في استباق الخَيْرات، وإلى أن الموت حَق، ما من مخلوقٍ إلا وسوف يموت، " كل مخلوقٍ يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت "..

**الليل مهما طال فلا بدَّ مِن طلوع الفجر**

**والعمر مهما طال فلابدَّ من نزول القبر**

*   *   *

أيها الأخوة المؤمنون ؛ آيةٌ ثانية تُشير إلى قيمة الوقت..

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[ سورة البقرة: 148 ]

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

[ سورة آل عمران: 133 ]

سارعوا المسارعة تعني أن هناك وقتاً محدوداً لابدَّ من أن تفعل فيه الشيء الكثير، فإذا استهلكته استهلاكاً رخيصاً ضاع عليك خيرٌ كثير..

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[ سورة آل عمران: 133 -134]

آيةٌ ثالثة يصف الله بها الأنبياء صلوات الله عليهم:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: 90]

## تبديد الوقت و إتلافه من قِبل المنافقين:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ أما المنافقون فهم يبددون الوقت، يستهلكونه، يضيّعونه، يتلفونه، لا يعرفون قيمته، وصفهم الله عزَّ وجل فقال:

﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[سورة النساء: 142]

في آيةٍ ثانية:

﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾

[سورة التوبة: 54]

## أهمية الوقت في حياة كل إنسان:

النبي عليه الصلاة والسلام في حديثٍ صحيحٍ رواه الترمذي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حديثٌ حسن، قال عليه الصلاة والسلام:

**(( بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ ))**

[الترمذي عن أبي هريرة ]

بادروا، تسابقوا، تنافسوا، انطلقوا، هذه الدنيا ماذا فيها؟ لو أن الإنسان ترك العمل الصالح، لو أنه كفر بالآخرة، لو أنه قال: الدنيا هي كل شيء، ولا شيء بعد الدنيا – كما يفعل عامَّة أهل الغَرْب– الدنيا هي كل شيء، هي الجنة والنار. قال:

**(( بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ ))**

[الترمذي عن أبي هريرة ]




ماذا يعني مضيُّ الوقت؟ ماذا يعني مضيُّ الزمن؟ ماذا يعني أن تودِّع عاماً وأن تستقبل عاماً؟ أن تودع أسبوعاً وأن تستقبل أسبوعاً؟ ماذا يعني أن تودع الصيف وتستقبل الشتاء؟ ماذا يعني أن تودع الشتاء وتستقبل الربيع؟ ماذا يعني مضيُّ الوقت؟ ماذا يخبِّئ الوقت للمعرض؟ الوقت ماذا يخبِّئ للكافر؟ ماذا يخبئ لمن أعرض عن الآخرة؟ ماذا يخبئ الوقت لمن جعل القرآن وراء ظهره؟ ماذا يخبئ الوقت لمن قال: إن الدين وهمٌ وخرافة؟ ماذا يخبئ الوقت لمن قال: الإنسان هو سيد قدره؟ ماذا يخبئ الوقت لمن قال: الدنيا هي كل شيء؟ ماذا يخبئ الوقت له؟ قال:

**(( بادروا بالأعمال الصالحة فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ هل تنتظرون إلا غنىً مطغياً...))**

[الترمذي عن أبي هريرة ]

مالٌ وفير وعلمٌ هزيل، هذا المال الوفير مع العلم الهزيل يُطْغي، يحمل صاحبه على الطُغيان، على المَعصية والعدوان، يحمله على أكل أموال الناس بالباطل، يحمله على الكِبْر، يحمله على البُعد عن الله عزَّ وجل، يحمله على أن يستغني عن الله عزَّ وجل.

**((ماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ هل تنتظرون إلا غنىً مطغياً، أو فقراً منسياً..))**

[الترمذي عن أبي هريرة ]

فقرٌ مدقِع يُنسيك كل شيء، حاجةٌ ماسَّة إلى درهمٍ، لا تجد في جيبك قوت يومك، ماذا يخبئ الوقت لمن ترك الدين؟ لمن ترك الإيمان بالله؟ لمن ترك الآخرة؟ لمن ترك منهج ربه ماذا يخبئ له الوقت؟..

**(( هل تنتظرون إلا غنىً مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً..))**

مرضٌ عضال يصيب أجهزةً في الإنسان حسَّاسة، تصبح الحياة جحيماً، ماذا يخبئ الوقت للمعرضين؟..

**((أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنِّداً... ))**

شيخوخةٌ سمَّاها القرآن الكريم: أرذل العُمُر، تضعف ذاكرته، ويثقل ظله، ويعيد الحديث آلاف المرَّات، ويصبح حشرياً ؛ يحشر أنفه في كل شيء، يتمنى الناس موته..

**((أو هرماً مفنِّداً، أو موتاً مجهزاً..))**

يأتي الموت بغتةً وهو بين أهله وأولاده، وهو في قمة نشوته، وهو في قمة سعادته المزعومة يأتيه الموت ليأخذ منه كل شيء، وليأخذه إلى لا شيء، ماذا ينتظر أحدنا من الدنيا إن لم يستقمْ على أمر الله؟ إن لم يعمل الصالحات؟ إن لم يُقِم أمر الله في بيته؟ إن لم يؤدِّ زكاة ماله؟ إن لم يغضَّ بصره عن محارم الله؟ إن لم يُحَرِّر دخله؟ إن لم يربِّ أولاده؟ إن لم يُحَجِّب زوجته؟ ماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ ماذا يخبئ الوقت؟ ماذا يخبئ مضيُّ الوقت؟ ماذا يعني مضيُ الليالي والأيام؟..

**(( هل تنتظرون إلا غنىً مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائبٍ يُنتَظَر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر ))**

[الترمذي عن أبي هريرة ]

هل بعد هذا الحديث الحَسَن – الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم – من حديثٍ يوضِّح قيمة الوقت؟

## الليل والنهار يبليان كل جديد ويقرِّبان كل بعيد:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ قال عليه الصلاة والسلام:

**((من خاف أدلج ))**

معنى أدلج أيْ سار في أوَّل الليل، إذا خاف المرء ظلمة الليل، ووحشة الليل، والسِباع في الليل، والضياع في الليل أدلج..

**((من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا وإن سلعة الله غالية، ألا وإن سلعة الله الجنة ))**

[ رواه الترمذي وحسّنه عن أبي هريرة]




هذا الحديث أيضاً يشير إلى قيمة الوقت.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ الليل والنهار يُبليان كل جديد، المنزل الجديد الذي تسكنه أول مرة خرج منه الدّهَّان لتوّه، وخرج منه الذي زينه لتوّه، وفُرِشَ بالأثاث الفَخم، الليل والنهار يبليان كل جديد. هذا الزواج في أوَّله يظن الزوج أنه سيغمس بالسعادة، الليل والنهار يبليان كل جديد.

هذه المَركبة التي يركبها يظن أنها ستغمره بالسعادة، الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقرِّبان كل بعيد.

قد يقول قائل: أنا عمري طويل، أين الموت مني؟ ويقرِّبان كل بعيد، أيامٌ وسنوات تمضي فإذا هو في الأربعين، هو في الخمسين، هو في الستين، وإذا نعوته وُضِعَت على الجدران.

الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقرِّبان كل بعيد، ويطويان الأعمار، ويُشيبان الصغار، ويفنيان الكبار. لذلك في القرآن الكريم إشارة إلى مُضِيّ الليل والنهار، قال تعالى:

**﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾**

[ سورة آل عمران: 190]

الاختلاف له معنيان: إما تفاوت الليل والنهار في الطول، والقصر، والإضاءة، والظلمة. أو أن الاختلاف أن يأتي الليل بعد النهار، والنهار بعد الليل، وهكذا دواليك حتى تقوم الساعة..

**﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾**

[ سورة آل عمران: 190]

## التنظيم من ثمار معرفة قيمة الوقت:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ أرضٌ تحيا، حبةٌ تَنْبُت، نباتٌ يزهر، زهرٌ يُثْمِر، ثمرٌ يُقْطَف، زرعٌ يصبح هشيماً تذروه الرياح، أليس هذا يعني مضيّ الوقت؟ جنينٌ يتكوّن، طفلٌ يولَد، وليدٌ يَشِب، شابٌ يكتَهْل، كهلٌ يشيخ، شيخٌ يموت، أليس معنى هذا أن الوقت يمر سريعاً؟

يسرٌ وعُسر، الوقت يكفي لتبديل العُسر يسراً، واليُسر عسراً، كل حالٍ يزول، والوقت يكفي لتبديل الغنى فقراً والفقر غنىً، والصحة سقماً والسقم صحةً، والسرور حزناً والحزن سروراً، والشدة رخاءً والرخاء شدةً، والسرَّاء ضرَّاء والضرَّاء سرَّاء، الوقت يبدِّل..

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

[ سورة آل عمران: 140]

هذا أيضاً يُشْعِرُ بمضي الزمن.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ آيةٌ ثانية تشير إلى مضي الوقت..

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

[ سورة النور : 44]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ إذا اعتبرت بمضي الوقت، وإذا عرفت قيمة الوقت، وإذا أدركت خطورة الوقت، وإذا أيقنت أنك وقت، وأن هذا الوقت مُحَدد مؤقَّت، إذا أدركت كل ذلك لابدَّ من أن تنظِّم وقتك، لابدَّ من وقتٍ إلى الله تعالى تتعرَّف إليه، يتمثل هذا في حضور مجالس العلم، في معرفة تفسير كتابه الكريم، في معرفة تفسير سُنَّته الشريفة - سُنَّة النبي عليه الصلاة والسلام - في معرفة سير الصحابة والتابعين، لابدَّ من وقتٍ تعرف فيه منهجك، ومنهجك التطبيقي هو السُنَّة النبوية، لابدَّ من وقتٍ تكسب فيه رزقك، لابدّ من وقتٍ تؤدّي فيه واجبك تجاه أهلك، لابدَّ من وقتٍ تُمضي فيه حوائجك.

العاقل لا يسمح لفِقْرَةٍ من هذه الفقرات على أن تطغى على أختها، لا يسمح لك الشرع الحنيف أن تُنَمِّي جهةً على حساب جهة، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

**(( ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعا، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ))**

[ كنز العمال عن أنس ]




لابدَّ من وقتٍ تعرف فيه ربك، تعرف فيه المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه، لابدَّ من تأمُّلٍ في الكون حتى تعرفه، ولابدَّ من أن تعرف الشرع حتى تعبده.

إذاً هذا الوقت الذي تقتطعه من زُبدة وقتك لمعرفة الله هو أهم أوقات حياتك، إذا صَحَّ هذا الوقت وصحَّ ما فيه صحَّت حياتك.

ولابدَّ من أن تكسب رزقك، لابدَّ من أن تكون يدك هي العُليا، لابدَّ من أن تكون محسناً، لابدَّ من أن تكفي أهلك وأولادك، لذلك لابدَّ من وقتٍ تكسب فيه رزقك، ولكن الوقت الذي تكسب فيه رزقك يمكن أن يكون وقت عبادة إذا كانت حرفتك مشروعةً في الأصل، ومارستها بطريقة مشروعة، وابتغيت بها وجه الله، وخدمة المسلمين، وكفاية نفسك، ولم تلهك هذه الحرفة عن طاعة الله، ولا عن أداء واجباتك الدينية، إذا كانت كذلك انقلبت هذه الحرفة عبادة، هذا الوقت الثاني.

ولابدَّ من وقتٍ تهتم فيه بأهلك وأولادك، لأن لأهلك عليك حقاً، ولابدَّ من وقتٍ تقضي به حوائجك الخاصّة، هذا التنظيم من ثمار معرفة قيمة الوقت.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ مما رواه النبي عليه الصلاة والسلام عن صحف إبراهيم أنه قد جاء فيها: " ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوباً على أمرِه أن يكون له أربع ساعات: ساعةٌ يناجي فيها ربه، وساعةٌ يحاسب فيها نفسه، وساعةٌ يتفكر فيها بصنع الله عزَّ وجل، وساعةٌ يخلو بها لحاجاته من المطعم والمشرب ".

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ أصحاب الأعمال الضاغِطَة، أصحاب المسؤوليات الكُبرى الذين ينجحون في الحياة هم أشدّ الناس حاجة إلى تنظيم الوقت، لأن نجاحهم في الحياة قد يجعل جانباً من حياتهم يطغى على جانبٍ آخر، ينجحون في الدنيا ويضيِّعون الآخرة، ينجحون في علاقاتهم العامَّة، ويضحون بعلاقاتهم الخاصة، ينجحون في كسب المال، ويخفقون في كسب رضوان الله عزَّ وجل، هؤلاء المُثْقَلون بالأعمال، هؤلاء الذين تزاحمت عليهم الحاجات هم أحوج الناس إلى تنظيم الوقت.

## ما يعين الإنسان على متابعة الطريق بهمةٍ ونشاط:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ شيءٌ خطيرٌ في موضوع الوقت هو أنك إذا عرفت لماذا أنت في الدنيا، وما أفضل شيءٍ تفعله في الدنيا، هذه المعرفة تجعلك تقيّم كل شيءٍ في ضوء هذه الحقيقة، تعرف هذا الشيء، علاقته بهدفك، علاقته بالدنيا، علاقته بالآخرة، علاقته بالأهداف المشروعة، علاقته بالمصالح الحقيقية، هذا الشيء يجعلك أقرب إلى الله فتفعله، هذا يبعدك عن الله فتتجنَّبه، إذا عرفت لماذا أنت في الدنيا، عندئذٍ تستطيع أن تقوِّم كل شيءٍ في حياتك.

أيها الأخوة المؤمنون ؛ نُقِلَ عن الإمام عليٍّ كرَّم الله وجهه أنه قال: " روِّحوا القلوب ساعةً بعد ساعة فإن القلوب إذا كلَّت عَمِيَت ".




أيْ إذا كنت في صحراء، والطريق طويلة، والحرُّ شديد، والرمال لافِحَة، والماء قليل، لابدَّ من واحةٍ من حينٍ إلى آخر تستريح بها، لتستعيد النشاط على السير الجديد. " روِّحوا القلوب ساعةً بعد ساعة فإن القلوب إذا كلَّت عَمِيَت ".

النبي عليه الصلاة والسلام كان يتخوَّل أصحابه بالموْعِظَة، وكان يمزح مع أصحابه ولا يمزح إلا حقاً، وكان إذا دخل بيته دخل بسَّاماً ضَحَّاكاً، وكان يقول:

**((لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات))**

[ شرح الجامع الصغير عن عقبة بن عامر ]

فشيءٌ من المرح، وشيءٌ من الطلاقة، وشيءٌ من اللهو البريء الذي يرضي الله عزَّ وجل، هذا يعينك على متابعة الطريق بهمةٍ ونشاط.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ يقول عليه الصلاة والسلام:

**((خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ))**

[ الجامع لأحكام القرآن عن عائشة ]

وفي حديثٍ آخر:

**((إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا ))**

[ الجامع الصغير عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الأكارم؛

**(( صم وأفطر، وقم ونم، فإن لبدنك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً))**

[متفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ]

وفي ختام هذا الموضوع يقول عليه الصلاة والسلام:

**((إنما أنا أخشاكم لله وأتقاكم، ولكني أنام وأقوم، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، هذه سنتي فمن رغب عنها فليس من أمتي ))**

[ سنن النسائي عن أنس ]

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم فيا فوز المستغفرين.

# الفصل السادس: أسباب ضياع الوقت

# 6.1 عدم تنظيم الوقت

**بسم اللـه الرحمـن الرحيم**

## الوقت أثمن شيء يملكه الإنسان:

أيها الأخوة الكرام، إن أثمن شيء نملكه على الإطلاق هو الوقت، إنه وعاء عملنا، إنه إذا انقضى لا يعود، إنه يمر سريعاً، بل إننا في حقيقتنا العميقة وقت كلما انقضى يوم انقضى بضع منا، و أكثر المسلمين غافلون عن هذه الحقيقة، حقيقة أن الوقت أثمن شيء يملكونه.




يا أخوة الإيمان، حجم استغلال الوقت و الاستفادة منه من أهم العلامات الفارقة بين الأمم، حتى في المقاييس الحضارية المادية، حتى في مقاييس التقدم المادي فقط، إن حجم استغلال الوقت و الاستفادة منه من أهم العلامات الفارقة بين الأمم المتخلفة و الأمم المتقدمة بمقياس العصر، بمقياس المادة، و إن حجم استغلال الوقت و حجم الاستفادة منه علامة فارقة بين الأشخاص الناجحين و الأشخاص العاديين الذين هم عبء على الأمة.

مرحلة ثالثة: إن حجم استغلال الوقت والاستفادة منه من أهم العلامات الفارقة بين المؤمن و الشارد.

يا أيها الأخوة الكرام، ليس هناك إنسان ناجح على نحو ما لا يهتم بوقته، أهم رأسمال نملكه هو الوقت، أثمن ما نملك هو الوقت، إننا في الحقيقة وقت، كلما انقضى وقت انقضى بضع منا، ربنا جل جلاله أقسم بالعصر، و أقسم بالليل و النهار، و أقسم بالفجر، و أقسم بالليالي العشر، و أقسم بالضحى، و هذه كلها أوقات، شيء ثمين، يقول عليه الصلاة و السلام في الحديث الصحيح، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ ))**

[ البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ]

معك وقت، لك أن تطلب فيه العلم، لك أن تحضر مجلس علم، لك أن تحضر مجلساً فيه خير، لك أن تفكر في خلق السموات و الأرض، لك أن تعمل صالحاً، إنه وعاء العمل.

يا أيها الأخوة الكرام، استمعوا إلى أقوال بعض الصحابة، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: " ما ندمت على شيء مثل ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي و لم يزد فيه عملي".

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول: "الليل و النهار يعملان فيك، فاعمل فيهما".

والحسن البصري يقول: " إنما أنت بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، ما من يوم ينشق فجره إلا و ينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة " و يقول أيضاً:" أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم و دنانيركم".

## استثمار الوقت:

أيها الأخوة الكرام، ما هو الأطول والأقصر في وقت واحد؟ إنه الوقت، قد يطول العمر إلا ساعة، ساعة اللذة دقيقة، و دقيقة الألم ساعة، يطول و يقصر و هو واحد، يسرع، ويبطئ، أيام السرور تنقضي سريعاً كلمح البصر، وأيام الألم لا تنقضي، وكأنها سنوات، وكأنها دهور، ما الشيء الأسرع والأبطأ في وقت واحد؟ إنه الوقت، ما الشيء الذي نهمله جميعاً و نتحسر عليه جميعاً؟ إنه الوقت.




أيها الأخوة الكرام، الوقت ليس بيدنا، الوقت لا ينتظر أحداً، ليس بإمكانك أن تتحكم فيه إطلاقاً لكنك تستطيع أن تستغله، و تستطيع أن تنتفع به، و تستطيع أن تنفقه إنفاقاً استثمارياً، قد ينفق الوقت إنفاقاً استهلاكياً كما يفعل معظم الناس، يأكلون، و يشربون، و ينامون، ويستمتعون، ويسمرون، ويمضون أوقاتاً طويلة في كلام فارغ، و في متابعة أعمال قذرة، وفي متابعة أشياء سخيفة، أيام

تمضي، شهور تمضي، سنوات تمضي، عقود تمضي، فإذا هو في لحظة نسي فيها كل شيء إلا الحساب:

﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾

[ سورة المدثر: 9-10]

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

[ سورة الزخرف: 83]

يا أيها الأخوة الكرام، قضية الوقت من أخطر القضايا، حركة الوقت لا يمكن أن نتحكم بها، لكننا نستطيع أن نستغله، وأن نوظفه فيما ينفعنا، هناك من لا يعصِ الله لكنه يأكل، ويشرب، ويتمدد، ويستلقي ليس له هدف، إنه يستهلكه في المباحات، هذا الذي يستهلكه في المعاصي والآثام موضوع آخر، هو ليس معنا إطلاقاً و لا علاقة لنا به، و لا يأتي إلى هذه الأمكنة يقف خارج المساجد، هذا الذي لا يعرف كيف ينفق الوقت إنسان غافل ينبغي أن نذكره.

## تعلق إنفاق الوقت بأهدافنا ومعتقداتنا:

أيها الأخوة الكرام، لكن المشكلة أن إنفاق الوقت متعلق بمفهوماتنا عن الحياة، إنفاق الوقت متعلق بأهدافنا، إنفاق الوقت متعلق بعقيدتنا، إنفاق الوقت متعلق بمعرفة سر وجودنا، إنفاق الوقت متعلق بمعرفة حقيقة الحياة الدنيا، إن عرفت ربك، إن عرفت فلسفة الحياة، إن عرفت سرّ وجودك، إن عرفت غاية وجودك، إن عرفت مهمتك في الأرض، يمكن أن تستغل الوقت، يمكن أن تنتفع به، يمكن أن توظفه في العمل الصالح، يمكن أن تستهلكه استهلاكاً استثمارياً لا استهلاكاً نفعياً.




أيها الأخوة الكرام، لابد من أن نعرف ربنا و نعرف لماذا جيء بنا إلى هذه الدنيا؟ حتى نحسن استغلال الوقت، أما هؤلاء الشاردون عن الله عز وجل فما عندهم هدف، لا يعلمون لماذا هم على وجه الأرض؟ شاردون تائهون، كلكم يعلم أيها الأخوة أن هناك فقراً سببه الكسل، هناك فقر الكسل، و هناك فقر القدر، و هناك فقر الإنفاق، فقر الكسل مذموم، و فقر الإنفاق محمود، و فقر

القدر معذور، لاشك أننا جميعاً لنا أعمال، هناك وقت عمل، و هناك وقت فراغ، وقت العمل قسمان: وقت إنتاج ووقت ضائع، فكلما نظمت وقتك رفعت مستوى الإنتاج، و قللت الوقت المهدور، واستمتعت بالحياة، و كلما عشت سبهللة كما يقولون بلا تخطيط، ولا تنظيم أضعت وقتاً كبيراً في إنتاج قليل، من هو الناجح؟ من هو المتفوق؟ هو الذي يبذل جهداً محموداً، ويقطف ثماراً يانعة، أما الذي ينفق جهداً كبيراً جداً، ويقطف ثماراً ضئيلة جداً فهذا إنسان لم يخطط لوقته، ولم يستغل وقته.

## ضرورة تنظيم وقت العمل:

أيها الأخوة الكرام، ينبغي أن تنظم وقت العمل كي يبقى لك وقت تتفرغ فيه لتأكيد ذاتك، قالوا وأقول هذا كثيراً: الذي ليس عنده وقت فراغ لا يعد من بني البشر، لأن أي عمل مهما درّ عليك من الخير، من المادة، من المال، إذا استغرق كل وقتك فهو أخطر الأعمال، و أشدها خسارة لك، لأنه ألغى وجودك، ألغى سرّ وجودك، ألغى مهمتك في الحياة، ألغى رسالتك




لا تبحث عن عمل يأكل كل وقتك، إنك تضيع كأب، تضيع كزوج، تضيع كمؤمن، تضيع كطالب علم، تضيع كإنسان، هناك من يفتخر و يقول: أنا أعمل عشرين ساعة، هذه كلمة تعد كلمة مدح أحياناً إذا كنت تعمل عشرين ساعة فيما يرضي الله، و فيما يعود عليك خيره بعد الموت، و فيما ينفعك في الدار الآخرة، أما إذا كنت تعمل عشرين ساعة من أجل الدنيا فما تجمعه في عمر مديد تخسره في ثانية واحدة، و كل ما يملكه الإنسان منوط بقطر شريانه التاجي في قلبه، و القطر ميليمتر واحد وربع، و كل ما يملكه الإنسان الذي جمعه في عمر مديد يخسره حينما يتجلط الدم في شرايينه، وكل ما يملكه الإنسان في عمر مديد يخسره إذا تفلتت الخلايا في نموها، فهذا الذي يغامر و يقامر و لا ينتبه أن هناك ساعة يغادر فيها الإنسان الدنيا إنسان خاسر.

يا أيها الأخوة الكرام، لابد من تنظيم الوقت، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، و إن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل؟ رسول عامله على أذربيجان، جاء المدينة ليلاً، وكره أن

يطرق باب الأمير في ساعة متأخرة من الليل، دخل إلى المسجد فسمع رجلاً يناجي ربه و يقول: ربي هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي أم رددتها فأعزيها؟ فسأله و ليس هناك إضاءة واضحة قال: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عمر، قال: أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل؟ قال: أنا إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي، و إن نمت نهاري أضعت رعيتي.

الوقت أنا أخاطب من عرف الله، من طلب العلم، من عرف سرّ وجوده، من عرف غاية وجوده، أنا أخاطب رواد المساجد، هؤلاء الذين حسبوا على الإسلام، نظموا أوقاتكم، أثمن شيء تملكه هو الوقت.

## أسباب ضياع الوقت:

### 1 . الكسل:

أيها الأخوة الكرام، الموضوعات المتعلقة بالوقت لا تنقضي في سنوات، و لكن اخترت لكم في هذه الخطبة موضوعاً محدداً، أسباب ضياع الوقت.




أول سبب في ضياع الوقت هو الكسل، انظر إلى هؤلاء الناس الشاردين كيف يمضون أوقاتهم على أبواب منازلهم؟ يمضون أوقاتهم وهو مضجعون في أسرتهم، يمضون أوقاتهم وهم يتابعون سهرة فارغة تافهة سخيفة، موضوعات سخيفة، لقاءات غير ذات معنى، نوم مديد، وقوف أمام البيت على الشرفة، تجول في الطرقات، هم يقتلون الوقت قتلاً، مرة أحد كبار علماء الشام أمام مقهى، فقال: يا سبحان الله لو أنّ الوقت يُشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم، يمكن أن تكون بطلاً في الوقت، يمكن أن تحفظ كتاب الله في الوقت، يمكن أن تفهم كتاب الله في الوقت، يمكن أن تكون أكبر محسن في الوقت، يمكن أن تكون أكبر عالِم في الوقت، وأكبر داعية في الوقت، يجب أن تعدّ الوقت عدّاً دقيقاً، شيء طريف ورد معي برنامج في الكومبيوتر تعطيه سنة ميلادك، وشهر ميلادك، ويوم ميلادك يعطيك العمر بالشكل التالي: عمرك كذا سنة، و كذا شهر، و كذا يوم، و كذا ساعة، و كذا دقيقة، و كذا ثانية، العمر يُعد

بالثواني، لك عند الله سنوات محدودة، و أشهر محدودة، و أيام محدودة، و ساعات محدودة، و دقائق محدودة، وثوان معدودة.

**دقات قلب المرء قائلة له   إن الحياة دقائق و ثواني**

***

أيها الأخوة الكرام، الكسل، النوم المديد، التأجيل، اللا مبالاة، هدر للوقت، كلام فارغ، سهرة لا معنى لها، لقاء ساذج، مشي في الطرقات، متابعة مسلسلات، هكذا يضيع وقت الناس، يفاجؤون بعلة في أجسامهم تتفاقم هذه العلة، ثم النعي على جدران بيوتهم، ماذا قدمت يا علي؟

**إلى متى أنت باللذات مشغول   وأنت عن كل ما قدمت مسؤول**

***

**تعصي الإله وأنت تُظهر حب  ه ذاك لعمري في المقال شنيع**

**لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع**

***

لو نظمت وقتك، ضع برنامجاً للقاءاتك، لمطالعتك، لحضور دروس العلم، للدعوة إلى الله، لكسب المال، للجلوس مع الأهل، لابد من برنامج، لابد من تنظيم، الوقت لا ينتظر أحداً، الوقت يمضي، ما مضى فات، و المؤمل غيب، و لك الساعة التي أنت فيها، لا تملك إلا هذه الساعة، ما مضى فات، و المؤمل لا تملكه، الوقت ثمين جداً، أنت بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منك.

أيها الأخوة الكرام، أول سبب هو الكسل، و الكسل من نتائجه الفقر، و هذا الفقر مذموم، هذا فقر الكسل، لا تقل لي: أنا صابر، هذا صبر الحمقى، يوجد كسل، عندك مهمات، عندك أولاد، لك زوجة، عندك متطلبات، حينما تنظم وقتك، و تسأل الله الرزق الحلال، و تخرج من بيتك في وقت مبكر الله عز وجل يتولى أن يرزقك رزقاً حلالاً طيباً.

الكسل من صفات الشعوب المتخلفة، كسل، جلوس، استلقاء، كلام فارغ، ثرثرة، المؤمن وقته ثمين.

دعي النبي عليه الصلاة و السلام للعب و كان طفلاً صغيراً، فقال في سن مبكرة: أنا لم أُخلق لهذا، هناك ألعاب تستهلك وقتاً كثيراً، معظم الناس يلعبون الشدّة و النرد و هذه الألعاب إلى الساعة الثانية أو الثالثة يجلسون ويلعبون، أي شيء لا يصدق، هؤلاء أشقى الناس.

## 2 . عدم وجود هدف للإنسان في الحياة:

يا أيها الأخوة الكرام، هناك سبب كبير جداً في ضياع الوقت، إنه عدم وجود هدف لك في الحياة، ليس له هدف، هدفه أن يعيش، وأن يأكل، وأن ينام، وأن يجلس مع زوجته، وأن يجلس مع أولاده، لا يوجد هدف، لا يعلم لماذا هو في الدنيا؟ يقول لك: هذا قدرنا.

**جئـــــت لا أعلم من أيـــن و لكني أتيـــــــت**

**و لقــــــد أبصرت قدامـــــي طريقاً فمشــــــيت**

**كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقـي؟ لســـت أدري؟**

**ولمـاذا لســـــــــت أدري؟ لســـــــــت أدري؟**

***

هذا إنسان سخيف يعيش على هامش الحياة، إنسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً، الذي لا يعرف لماذا هو في الدنيا، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[ سورة الذاريات: 56]

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾

[ سورة هود: 119]




ولذلك خلقهم، خلقك ليرحمك، اسأله موجبات الرحمة، تب إلى الله من ذنوبك، أدِّ الصلوات الخمس، اقرأ القرآن، ابتهل إلى الله، اجلس مجلس العلم، صاحب المؤمنين، عدم وجود هدف هو أحد أكبر أسباب ضياع الوقت.

الآن قد يقول لك قائل، وقد يقول لك طالب علم: أنا أعرف لماذا خُلقت؟ أنا خُلقت لمعرفة الله، و لطاعته، و للجنة، هل عندك خطة تفصيلية لهذا الهدف؟ العلماء قالوا: الأهداف من دون خطط أحلام و أمنيات، و الله جل جلاله لا يتعامل معنا بالأماني:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾

[ سورة النساء: 123]

أبداً، كل واحد منا يتمنى أن يكون مؤمناً كبيراً، و تاجراً ناجحاً، و موظفاً مهماً، و زوجاً سعيداً، كل واحد، التمنيات بضاعة الحمقى و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها، هناك حركة:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾

[ سورة الإسراء: 19]

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

[ سورة الأنفال: 72]

لابد من أن تتحرك، ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن حتى تعبر عن ذاتها بحركة نحو الخلق، الوضع السكوني، تأجيل، إرجاء، مواعيد غير صحيحة، قابع في البيت، يستلقي، ينام، يتابع ما على الشاشة، ليس هذا من صفات الذي عرف الله، و لا الذي عرف سر وجوده و غاية وجوده، لابد من خطة، لابد من وقت تتعرف فيه إلى الله، لابد من وقت تقرأ كلامه، لابد من وقت تعمل فيه عملاً صالحاً، لابد من وقت تطلب فيه العلم، لابد من وقت تجلس فيه مع أهلك و أولادك، لابد من وقت تكسب فيه المال، لابد من تنظيم الأوقات.

## 3 . سوء التنظيم:




أيها الأخوة الكرام، وأحد أسباب ضياع الوقت سوء التنظيم، هناك إنسان مركزي يفعل كل شيء بنفسه، و لا يثق بأحد، هذا ما حاله؟ يستهلك وقتاً كبيراً جداً لإنجاز قليل جداً، هذا العمل قد يقوم به ابنك دعه له، قد تقوم به زوجتك دعه لها، لابد من أن تعمل عملاً بمستوى إمكاناتك، أما إذا عملت عملاً يقوم به من هو دونك بكثير فهذا من سوء التنظيم، و سوء التخطيط، معنى ذلك يمكن أن يضيع وقت كثير بإنتاج قليل، إذاً: لابد من مدافعة الكسل، و لابد من وجود هدف كبير يستقطب جهدك و اهتماماتك، و لابد من وجود خطة لتحقيق هذا الهدف، و لابد من حسن تنظيم هذه الخطة.

## 4 . تطفل الآخرين:

وهناك شيء آخر يضيع الوقت ليس من قبلك، من قِبل الآخرين، هذا الذي يعيش حالة الملل فيأتي لزيارتك من دون موعد، ليس عنده شيء، ما عنده ما يقول إطلاقاً، لكن يريد أن يمضي الوقت معك، و ينسى أنك على موعد، أو على إنجاز مهمة، أو على إنجاز عمل، فلا بد من أن ننتبه أنني إذا كنت فارغاً، إذا كنت بحالة ملل و سأم، لا ينبغي أن أُضيع أوقات الآخرين، الذي عليهم مهمات ينبغي أن ينجزوها، فتطفل الآخرين أيضاً من أسباب ضياع الوقت، مكالمة أحياناً ساعة، هذا الهاتف معطل ساعة، و الكلام فارغ، لا يوجد فيه شيء أبداً، حوادث يومية تافهة تُذكر في هذه المكالمة، فأنت مضطر إلى أن تتصل به مكالمة طويلة، كلام فارغ، هذه حالة بعض المسلمين.

يا أيها الأخوة الكرام، أسباب ضياع الوقت الكسل، و عدم وجود هدف كبير، و عدم وجود خطة لهذا الهدف، و سوء التنظيم، و تطفل الآخرين، هذا مما يضيع الوقت.

## حفظ الله وقت الإنسان إن أنفقه في العبادات والطاعات:




الآن من زاوية إيمانية: أنت حينما تزكي على وقتك كيف أنك تزكي مالك، كيف أنك تنفق بعضاً من مالك، والرد الإلهي يحفظ الله لك بقية مالك، أنت إذا أنفقت بعض وقتك فيما أُمرت، يحفظ الله لك بقية وقتك، إذا أدَّيت الصلوات فأنت تزكي وقتك، إن أديت العبادات فأنت تزكي وقتك، إن عملت عملاً صالحاً في وقت يبارك الله لك في بقية وقتك، يحفظ الله لك بقية وقتك، أي أن الله عز وجل قادر أن يتلف لك وقتاً طويلاً بلا سبب، الإنسان إذا ضنّ على ربه أن يؤدي العبادات، وأن يعمل الصالحات، و أن يتعلم القرآن، إذا ضنّ على ربه أن يستهلك وقته فيما خلق له أدبه الله عز وجل بأن يتلف له وقتاً مديداً بلا فائدة، ترتفع حرارة الابن، يقول لك الطبيب خطأ: التهاب سحايا، من مخبر إلى مخبر، و من طبيب إلى طبيب، و من تصوير إلى تصوير، و ساعة مرنان، و ساعة إيكو، ثم يزول هذا المرض و قد دفعت عشرة آلاف ليرة، ومضى من وقتك مدة طويلة جداً، و النتيجة عاد ابنك كما كان، هذا الذي ينفق وقته في طلب العلم، و في حضور مجالس العلم، و في عمل الصالحات، و في قراءة القرآن، الله جل جلاله يتولى صون وقته، يتولى حفظه، يتولى تيسير أموره، يتولى نصره، يتولى توفيقه، أنت حينما تنفق وقتاً لطلب العلم، أو لأداء الصلاة، أو لحضور مجلس علم، أو لقراءة القرآن، أو لعمل صالح، الذي في السماء ربنا جل جلاله يتولى بذاته العلية صون وقتك.

أيها الأخوة الكرام، زكوا عن أوقاتكم بعبادات، و أعمال صالحة، و طلب للعلم، و دعوة إلى الله، و نصح للآخرين، هذه كلها من زكاة أوقاتكم، هذا يعرفه أصحاب المعامل، يمكن قطعة تنكسر يتعطل المعمل أسبوعين، والأجرة مرتبة عليك، والإنتاج واقف، لا تضن بوقتك على عمل صالح، و لا على خدمة، و لا على تلبية حاجة، و لا على عبادة، و لا على طلب علم.

## إطالة العمر باستغلال الوقت:

شيء آخر أيها الأخوة، هناك قاعدة دقيقة جداً: إطالة العمر باستغلال الوقت.




أي محل تجاري فتح ساعة ربح مئة ألف، محل فتح عشر ساعات ربح مئة ليرة، الساعات ليس لها قيمة، العبرة بالغلة، لذلك أئمة كبار عاشوا أقل من خمسين سنة، تركوا آثاراً علمية لا تنقضي فائدتها إلى يوم القيامة، الإمام الشافعي عاش أقل من خمسين سنة، الإمام النووي عاش أقل من خمسين سنة، ترك رياض الصالحين، و شرح الإمام مسلم، و بغية المحتاج، ترك كتباً بالفقه، و الحديث، و التفسير لا يعلمها إلا الله، هناك أناس عرفوا الله فبارك الله لهم في أوقاتهم، بعض العلماء يُقال أنه ترك مؤلفات عدد صفحاتها لو قسمت على عمره لكان كل يوم يكتب تسعين صفحة، أنت لا تملك أن تقرأ هذه التسعين في اليوم، هناك إنجازات مذهلة قام بها بعض العلماء بسبب أن الله وفقهم، و يسرهم لليسرى، وطرح البركة في أوقاتهم، لذلك حينما تستغل الوقت يطول العمر، العمر الزمني عمر تافه جداً، عاش تسعين سنة، مئة وعشر سنوات، ثمانين، سبعين، ستين، العبرة ماذا فعلت في هذا العمر؟ ماذا قدمت للمسلمين؟ ما الأثر الذي تركته؟

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ ﴾

[ سورة يس: 12]

ماذا فعلت؟ هل علمت العلم؟ هل أنفقت المال؟ هل رعيت الأيتام؟ ماذا فعلت في الدنيا؟ و لكن يا عبدي ماذا فعلت من أجلي؟ يا ربي أكلت و شربت و تنعمت في الحياة الدنيا، تزوجت، أنجبت أولاداً أصبحوا أطباء، و مهندسين، و لكن لا يوجد فيهم دين يا رب، لكن أنا درستهم، هذا كلام لا يقال يوم القيامة، ينبغي أن تُسأل عن عملك، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ،وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ،وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاهُ ))**

[ الترمذي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ]

## الوقت أخطر موضوع في حياة الإنسان:

أيها الأخوة الكرام، موضوع الوقت و الله يمكن أن يعالج بخطط كثيرة جداً، و أنا أرى أن هذا الموضوع أخطر موضوع على الإطلاق، إنه أنت، الوقت أي نحن، أنت بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، سيدنا عمر يقول: و اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، و سيتخطى غيرنا إلينا، كل يوم يوجد من ستين إلى سبعين نعيًا على الجدران، و قد نقرأ معظمها، لكن لابد من يوم يقرأ الناس فيه نعينا شئنا أم أبينا، كل يوم نخرج من بيوتنا بشكل عامودي لابد من أن نخرج يوماً بشكل أفقي أبداً، كل يوم نخرج و نعود، في يوم نخرج ولا نعود، كل يوم ندخل ونخرج، يوجد يوم ندخل ولا نخرج، هكذا الدنيا، إنها بضعة أيام كلما انقضى يومٌ انقضى بضع منك، ما من يوم ينشق فجره إلا و ينادي يا بن آدم أنا خلق جديد و على عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة، و سأعالج إن شاء الله بعض موضوعات الوقت التفصيلية في درس الأحد إن شاء الله.

**والحمد لله رب العالمين.**

## 6.2 سرعة انقضاء الوقت

**بسم الله الرحمن الرحيم**

### الوقت:

أيها الأخوة الكرام: خطب الجمعة في رمضان لها موضوعات مناسبة، و هذه الجمعة هناك عدة موضوعات تناسب هذه الجمعة من رمضان، و لكن الذي لفت نظري انقضاء الوقت، نظرت إلى التقويم فإذا نحن نقترب من العشرين من رمضان، كيف مضت هذه الأيام العشرون وسوف تمضي أيام العمر كلها؟ لذلك أيها الأخوة اخترت موضوع الخطبة موضوع الوقت، الله عز وجل يقول:

**﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾**

[سورة المؤمنون: 112-116]

أيها الأخوة، الزمن يمضي سريعاً، و بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال، ولو أن الإنسان سأل نفسه هذا السؤال المحرج: كم بقي لي من عمري؟ من تجاوز الأربعين في الأعم الأغلب الذي بقي أقل مما مضى، فإذا مضى الذي مضى كلمح البصر ففي الأعم الأغلب أيضاً أن الذي بقي يمضي كلمح البصر.

أيها الأخوة: ما من تعريف جامع مانع للذكاء كهذا التعريف، الذكاء هو التكيف، والتكيف يكون مع المستقبل، و أخطر حدث في المستقبل مغادرة الدنيا، فكيف نتكيف مع هذا الحدث الذي لابد منه؟ لا يدع كبيراً ولا صغيراً ولا صحيحاً ولا مريضاً ولا غنياً ولا فقيراً ولا ملكاً ولا عملاقاً ولا نبياً إلا والموت ينتظره، فكل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت.

**والليل مهما طــال فلا بد من طلوع الفــجر**

**والعمر مهما طــال فلابد من نـــزول الـــقبر**

* * *

**وكل ابن أنثى وإن طالت سلامت ه يوماً على آلة حدباء محمول**

**فـإذا حملت إلى القبور جنـــازة فـــــاعلم أنك بعدها محمول**

* * *

## معاني النذير:

أيها الأخوة الكرام: في آية ثانية يقول الله عز وجل:

**﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾**

[سورة فاطر: 37]




هذا النذير أين هو؟ يقول الله عز وجل:

**﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾**

[سورة فاطر: 37]

لعل النذير هو النبي عليه الصلاة و السلام، هذا معنى من معاني النذير، ولكن هناك معان أخرى، النذير هو القرآن الكريم، ففيه مشاهد من يوم القيامة، فيه مشاهد مما سيكون، فالنذير هو القرآن الكريم:

**﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾**

[سورة فاطر: 37]

بالفعل الماضي، والنذير أيها الأخوة سن الأربعين، فمن دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، و النذير سن الستين، و النذير الشيب، عبدي كبرت سنك، و ضعف بصرك، و انحنى ظهرك، و شاب شعرك فاستحِ مني، فأنا أستحي منك.

**إلى متى وأنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول**

***

والنذير المصائب إنها رسائل من الله، أن يا عبدي قد اقترب اللقاء فهل أنت مستعد له؟ المصائب رسائل من الله عز وجل، بدليل أن الله عز وجل يقول:

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾

[ سورة القصص: 47]

المصيبة رسول معه رسالة:

﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾

[سورة طه: 134]

أيها الأخوة: و النذير موت الأقارب، هذه كلها نذر من أجل أن يستعد الإنسان لهذه الساعة التي لابد منها، فالوقت يمضي سريعاً.

## الإنسان عند الموت أمام خيارين لا ثالث لهما:

أيها الأخوة الأركام: كان من الممكن أن يبقى الإنسان شاباً إلى نهاية الحياة، و لكن شاءت حكمة الله أن يضعف بصر الإنسان، و أن ينحني ظهره، و أن يشيب شعره، و أن يشعر بتبدلات في جهازه الهضمي، و أن يشعر بتبدلات في جهاز القلب والدوران، وأن يشعر بمتاعب في مفاصله، هذه الأعراض التي تعتور الإنسان إذا تقدمت به السن لها معنى دقيق، أن يا عبدي قد اقترب اللقاء بيننا فهل أنت مستعد له؟ يقول الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

[ سورة الأنعام: 94]




الإنسان في الدينا قد يكون له جماعة كبيرة، قد يكون حوله أتباع كثيرون، قد يكون قوياً، قد يغضب لغضبته مئة ألف سيف، قد يشير إشارة كي ينهي حياة إنسان:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

[ سورة الأنعام: 94]

أيها الأخوة الكرام: يقول الله عز وجل:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾

[سورة الملك: 2]

بدأ بالموت، لأن أمام الإنسان عند الموت خيارين لا ثالث لهما، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، لذلك قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

[ سورة آل عمران: 106]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ ))

[ البخاري عن ابن عباس ]

هذا الفراغ الذي تنعم به، أتيت إلى البيت الساعة الثانية والربع ماذا تفعل حتى صبيحة اليوم القادم؟ هذا الفراغ سوف تُسأل عنه، كيف أمضيته؟ في معصية أم في طاعة؟ في طلب علم أم في طلب لهو؟ كيف أمضيت هذا الفراغ؟ في عمل صالح أم في شهوة.

﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

[ سورة التكاثر: 8]

بل إن بعض العلماء يقول: لتسألن عن الماء البارد، لتسألن عن نعمة الصحة، لتسألن عن نعمة الفراغ، لتسألن عن نعمة الأمن، لتسألن عن نعمة الكفاية.

## إدراك الوقت من صفات الموفقين في الحياة:

أيها الأخوة الكرام: من أدق الأحاديث المتعلقة بالزمن:

(( اِغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ))

[الحاكم والبيهقي عن ابن عباس وأحمد عن عمرو بن ميمون ]

البطولة في الإنسان ألا يندم، فإذا ندم فمعنى ذلك أنه فرط أو أفرط.

أيها الأخوة الكرام: سيدنا عمر رضي الله عنه يقول:" عجبت لثلاث: لمؤمل والموت يطلبه ". قد تضع خطةً لعشرين عاماً قادمة ويكون الأجل بعد غد، وقد تشتري بيتاً ولا تسكنه، وقد تقتني مركبةً ولا تركبها، وقد تتزوج امرأةً ولا تدخل بها، من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت.




يقول سيدنا عمر بن الخطاب: " عجبت لثلاث: " لمؤمل والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط عنه الله أم راض؟".

**أتيــت القبور فناديتهــــا   أين المعظـم والمحتــــقر؟**

**تفانوا جميعاً فما مخبــــــر   وماتوا جميعاً ومات الخبــر**

**تروح وتغدو بنات الثـــرى   فتمحو محاسن تلك الصور**

**فيا سائلي عن أناس مضوا   أمالك فيما تـــرى معتبــــر**

***

سئل سفيان الثوري: اجلس معنا نتحدث، فقال: كيف نتحدث والنهار يعمل عمله؟ ما طلعت الشمس إلا كانت شاهدةً على العباد فيما فعلوا. وقال بعضهم لأحد العلماء: اجلس معنا فقال: احبسوا الشمس لأجلس معكم.

إدراك الوقت من صفات الموفقين في الحياة، إدراك قيمة الوقت من صفات المؤمنين، إدراك قيمة الوقت من صفات الموفقين، الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما.

**دقات قلب المرء قائلة له   إن الحياة دقائق وثوان**

***

اعمل عملاً صالحاً يكن لك ذخراً يوم القيامة.

## أسعد الناس من لا يحمل أوزار الآخرين يوم القيامة:

أيها الأخوة الكرام: قيل للجنيد وقد حضرته الوفاة، فأخذ يقرأ القرآن في سكرات الموت، ويبكي فقالوا له: تقرأ القرآن وأنت في سكرات الموت؟ قال: سبحان الله من أحوج مني إلى قراءة القرآن وقد أصبحت لحظات تعد عليّ؟ يروى أن سكرات الموت جاءت عبد الملك، فأخذ يتجرع كأس الموت، ويذوق الموت، ويشرب الموت، ويأكل الموت، وهو في تلك الساعة التي يذل فيها الجبار، ويذعن فيها المتكبر، ويفتقر فيها الغني، سمع غسالاً بجانب قصره في الوادي يغسل ملابسه، وينشد نشيداً، وما علم هذا الغسال بموت عبد الملك، وما أدراه بموت عبد الملك، فأخذ عبد الملك يقول وهو يبكي: يا ليتني كنت غسالاً، يا ليتني ما عرفت الخلافة، يا ليتني ما توليت الملك، هذا الخفيف الذي لم يحمل أوزاراً هو أسعد الناس:




**((إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا))**

[البخاري عن عبد الله بن محصن ]

فخذ من الدنيا ما شئت، وخذ بقدرها هماً، وخذ بقدرها مسؤوليةً، وخذ بقدرها حسباً، وخذ بقدرها عقاباً.

**﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**

[ سورة الحجر: 92-93]

دخلت زوجة عمر بن عبد العزيز إلى مصلاه فرأته يصلي ويبكي تقول له: ما أبكاك؟ فقال: دعيني وشأني، فلما ألحت عليه قال: علمت أن الله سيسألني عن المسكين، وعن الفقير، وعن ابن السبيل، وعن الشيخ الكبير، وعن ذي العيال الكثير والدخل القليل، وعن المريض، وعن الأرملة، وعن اليتيم، فعلمت أن الله سيسألني عنهم جميعاً، وأن حجيجي دونهم رسول الله، فلهذا أبكي، دعيني وشأني.

أيها الأخوة الكرام: قضية الموت قضية مخيفة، يروى أن الوليد بن عبد الملك الذي تولى الملك والخلافة لما حضرته الوفاة نزل عن كرسي الملك، ومرغ وجهه في التراب، وأخذ يبكي، ويقول: ما أغنى عني

ماليَه، هلك عني سلطانيَه. أما هارون الرشيد الذي ملك الدنيا من المشرق إلى المغرب، والذي كان يقول للسحابة: اذهبي أينما شئت يأتني خراجك، فهذا الخليفة بنى قصراً، وقال لبعض الشعراء: انظم في هذا أبياتاً، فقال هذا الشاعر الذي عرف بموضوع الزهد:

**عش ما بدا لك سالماً  في ظل شاهقات القصور**

**يجري عليك بما أردت  مـــع الـغدو مـع البكور**

**فإذا النفوس تغلغلـت  بزفير حشرجــت الصدور**

**فهناك تـعلـم موقنـــاً ما  كنـــت إلا في غرور**

***

الدنيا ساعة اجعلها طاعة، والنفس طماعة عودها القناعة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾

[ سورة فاطر: 5]

فبكى، ونزل عن كرسيه، وما لبث أياماً إلا وقد فاجأه الموت.

**لا تأمن الموت في طرف ولا نفس  وإن تمنـعت بالحراس والحجـــــب**

**فما تزال سهـام المـــوت نافذةً  في جنـب مدرع منها ومتـــــرس**

**أراك لسـت بوقـــــاف ولا حذر  كالحاطب الخابط الأعواد في الغلس**

**ترجو النجاة ولم تسلك مسالكـها  إن السفينة لا تجري على اليبـــس**

***

## الدنيا دار بلاء وامتحان:

أيها الأخوة الكرام: مادمنا أحياء، مادام القلب ينبض، مادام في عمرنا بقية، يقول الله عز وجل:

**﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾**

[ سورة آل عمران: 135-136]

**﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾**

[ سورة الزمر : 53]

**((أيها الناس، لا خير في العيش إلا لعالم ناطق، أو مستمع واع، أيها الناس إنكم في زمن هدنة))**

[الأربعون الودعانية الموضوعةعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]




أرأيتم إلى العام الدراسي، هذا زمن هدنة، الطالب يغدو ويروح، طالب يدرس، وطالب لا يدرس، متى الخزي؟ في ساعة الامتحان، فالعام الدراسي زمن هدنة، لا ترى فرقاً بين الطالب الكسول، والطالب المجد، كلهم يرتدي الثياب التي كلفوا أن يرتدوها، ويغدو، ويروح، لكن الذي يدرس يفوز، وينجح، ويبيض وجهه، والذي يتكاسل يخسر، ويرسب، ويسود وجهه.

**((أيها الناس، لا خير في العيش إلا لعالم ناطق، أو مستمع واع، أيها الناس إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم لسريع، وقد رأيتم الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فقال له المقداد: يا رسول الله وما الهدنة؟ قال دار بلاء وانقطاع))**

[الأربعون الودعانية الموضوعة عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

دار بلاء وامتحان، تمتحن بالمال، تمتحن بالوسامة، تمتحن بالذكاء، تمتحن بزوجتك، تمنحن بأولادك، تمتحن بمنصبك، تمتحن باختصاصك، تمتحن بفقد المال، تمتحن بفقد الصحة، الامتحان مواده الأشياء التي أنالك الله إياها، والأشياء التي زواها عنك، امتحان إيجابي، وامتحان سلبي، تمتحن بالقوة وتمتحن بالضعف، وتمتحن بالغنى وتمتحن بالفقر، وتمتحن بالصحة وتمتحن بالمرض، وتمتحن قبل الزواج وتمتحن بعد الزواج.

**((أيها الناس، لا خير في العيش إلا لعالم ناطق، أو مستمع واعٍ، أيها الناس إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم لسريع، وقد رأيتم الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فقال له المقداد: يا رسول الله وما الهدنة؟ قال دار بلاء وانقطاع))**

[الأربعون الودعانية الموضوعة عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

دار امتحان، وسوف تنقطع، الغني يموت، والفقير يموت، والصحيح يموت، والمريض يموت، والقوي يموت، والضعيف يموت، انقطاع، دار بلاء وانقطاع.

**((...فإذا التبست عليكم الأمور ))**

[الأربعون الودعانية الموضوعة عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

كما هي الآن فتن كقطع الليل المظلم، شبهات، وترهات، وضلالات، وفكر، ونظريات، ومقولات، وطروحات ضلالات، وفتن بعضها فوق بعض.

**((... فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن ))**

[الأربعون الودعانية الموضوعة عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

## القرآن نور وذكر:

القرآن نور أيها الأخوة، القرآن ذكر،" فإنه شافع مشفع، وشاهد مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل ".

إذا التبست عليكم الأمور، فكر غربي، وفكر شرقي، وفكر إلحادي، وفكر إيماني، و شرائع لا يعلمها إلا الله، وطروحات لا تنتهي في هذه الزحمة، في زحمة الضلالات، في زحمة الشبهات، في زحمة الطعن بالدين، في زحمة تزوير الدين، في زحمة تفجير الدين من داخله، في زحمة اصطناع مذاهب دينية ما أنزل الله بها من سلطان، في زحمة هذه الضلالات عليكم بالقرآن.

## الإنسان مخير:

أيها الأخوة الكرام: يقول الله عز وجل:

**﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾**

[ سورة البقرة: 148]




أنت مخير، (هو) تعود على الإنسان، بدليل: فاستبقوا الخيرات، الآن أن تكون حيًّا ترزق، وأن ينبض قلبك، وأن يكون لك متسع في حياتك، لم يأت الأجل بعد، وأنت مخير من خلال اختيارك، بإمكانك أن تتوب أو لا تتوب، بإمكانك أن تصلي أو لا تصلي، بإمكانك أن تكون صادقاً أو أن تكون كاذباً، بإمكانك أن تخلص:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

[ سورة البقرة: 148]

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾

[ سورة الإسراء: 84]

ولأنك حي ترزق، ولأن في العمر بقية، ولأن القلب ينبض، ولأن الأجل لم يأت بعد، قال تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[ سورة البقرة: 148]

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

[ سورة آل عمران: 133]

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾

[ سورة البقرة: 148]

في أي مكان كنتم، في حصن حصين، في طائرة عملاقة، في بارجة، في حاملة طائرات، في بيت مريح، أينما تكونوا، وقال بعض علماء التفسير: في أي مكان كنتم، وفي أي مكانة أنتم، ملك الملوك لابد من أن يموت، أغنى أغنياء الأرض لابد من أن يموت، أقوى أقوياء الأرض، أينما تكونوا يأتي بكم الله جميعاً، قال تعالى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾

[ سورة الغاشية: 25-26]

## آيات كثيرة تصور وضع الإنسان عند الموت:

أيها الأخوة الكرام: الإنسان متى يعرف قيمة الوقت؟ متى يتقطع وقته حيث أمضى وقته بالعبث؟ متى يعتصر قلبه؟ حينما يأتيه ملك الموت، الله عز وجل يقول:




﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة المنافقون: 9-11]

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾

[ سورة إبراهيم: 44]

آيات كثيرة تصور وضع الإنسان عند الموت.

﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾

[ سورة الفجر: 24]

﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾

[ سورة الفرقان: 27]

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾

[ سورة الفرقان: 28]

ويذكر الموت مرةً ثانية، ويذكر الوقت مرةً ثانية يوم القيامة، قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

[سورة يونس: 45]

## نقاط متعلقة بالوقت:

أيها الأخوة الكرام: نقاط دقيقة متعلقة بالوقت، ما مضى منه لا يعود ولا يعوض، فما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة، ما دام الوقت لا يعوض، ولا يدخر، ولا يجمع، ولا يشترى بالمال، ما دام الوقت لا يعوض، ولا يجمع، ولا يشترى، ولا يعوض، لذلك كان الوقت أثمن شيء نملكه، وأنفس شيء نملكه، هو وعاء العمل، هو رأس مال الإنسان الحقيقي، إن الحياة من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة هي الوقت، لذلك يا أيها الإنسان أنت بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، مَن جهل قيمة الوقت فسيأتي عليه حين يعرف قيمته ونفاسته.

أيها الأخوة الكرام: ساعة الاحتضار حينما يودع الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو منح مهلة من الزمن، وأجلاً قريباً يدرك فيه ما فاته، ليصلح ما فسد، وليتدارك ما فات، قال تعالى:

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**

[سورة المنافقون: 9-11]

## الغفلة عن قيمة الوقت:

أيها الأخوة الكرام: القرآن الكريم يحذر من الغفلة، الآن ماذا يقابل إدراك قيمة الوقت؟ الغفلة، الموضوع الإيجابي في الوقت إدراك قيمته، والموضوع السلبي الغفلة عن قيمة الوقت، قال تعالى:

**﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾**

[ سورة الأعراف: 179]

**تزود من التقوى فإنـــك لا تـدري    إذا جـــن ليل هل تعيش إلى الفجر؟**

**فكم من سليم مات من غير علة    وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر**

**وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً وقــــد نسجت أكفانه وهو لا يدري**

***

**والحمد لله رب العالمين.**

# 6.3 الغفلة عن الوقت

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

## الوقت ينفق استهلاكاً أو استثماراً:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في الموضوع المتعلق بالوقت، وهذا الموضوع من أخطر الموضوعات، لأن الإنسان وقت، لأن الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه.




الحقيقة الأولى: أن هذا الوقت الذي هو أنت، أن هذا الوقت الذي هو رأسمالك، أن هذا الوقت الذي هو أثمن شيءٍ تملكه، إما أن ينفق استهلاكاً، أو أن ينفق استثماراً، ينفق استهلاكاً كما يفعل أهل الأرض، نأكل، ونشرب، ونتمتع بالحياة الدنيا، ثم يفاجأ الإنسان بتطور خطير في صحته، ينتهي به إلى الموت، وأحياناً يأتي الموت بغتةً، من دون أي مقدمات، وهناك قصص لا تعد ولا تحصى، لا يشكو من شيء، خلال ثوان أصبح من أهل القبور، كان شخصاً فأصبح خبراً، فلذلك إنفاق الوقت إنفاق استهلاكي قضية سهلة جداً.

**(( إن عمل النار سهل بشهوة ))**

[ أخرجه إسحاق بن راهوية عن عبد الله بن عباس ]

استرخاء، عدم مبالاة، عدم انضباط، هذا إنفاق الوقت إنفاق استهلاكي، وينفق الوقت إنفاقاً استثمارياً، حينما تفعل في الوقت الذي سينقضي عملاً ينفعك بعد انقضاء الوقت.

## حجم الإنسان عند ربه بحجم عمله الصالح:




الحقيقة هناك ضابط لهذا الموضوع دقيق:

أي شيء من أعمالك الصالحة يدخل معك في القبر، هذا العمل الذي يعد إنفاقاً استثمارياً للوقت، أما الإنسان إذا مات يترك كل شيء في البيت، مقتنياته، خزانته، حساباته، أشياء ثمينة يملكها، البيت نفسه، أثاث البيت، مكتبه الخاص، لكن أهله يمشون في الجنازة إلى شفير القبر، حتى أقرب الناس إليه يودعه عند القبر، ما الذي يدخل معه في القبر؟ عمله الصالح:

**(( يا قيس! إن لك قريناً تدفن معه وهو حي، ويدفن معك وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ألا وهو عملك ))**

[ صحيح عن قيس بن عاصم]

فأنت حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، هذه الحقيقة الأولى.

إذاً استهلاك الوقت خطأ، استثماره صواب، استثماره أن تفعل في الوقت الذي سينقضي عملاً يدخل معك في قبرك، طلبت العلم، دعوت إلى الله، ربيت أولادك، عملت الصالحات، أنفقت من مالك، رعيت يتيماً، رعيت أرملةً، أطعمت فقيراً، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

## لا خير في العيش إلا لعالمٍ ناطق أو مستمعٍ واع:

الشيء الثاني: يقول عليه الصلاة والسلام في بعض خطبه:" أيها الناس! لا خير في العيش إلا لعالمٍ ناطق أو مستمعٍ واع ".

**(( الناس رجلان عالم ومتعلم هما في الأجر سواء ولا خير فيما بينهما من الناس ))**

[ أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود ]




" أيها الناس! لا خير في العيش إلا لعالمٍ ناطق أو مستمعٍ واع، أيها الناس! إنكم في زمن هدنة".

الآن العام الدراسي زمن هدنة، الطلاب كلهم جميعاً واحد، هذا كسول لكن لم يظهر، هذا مجتهد لكن لم يظهر، طوال العام الدراسي الطلاب لا فرق بينهم، يأتي الامتحان يفرزون، ناجح، متفوق، الأول، الوسط، المقبول، الراسب مع الخزي والعار:" أيها الناس! إنكم في زمن هدنة".

الآن كل الناس ساكن ببيت، يأكل، يشرب، عنده مركبة، يعمل نزهة، يعمل لقاء، يزوج ابنته، لم يتبين شيء، لكن بعد الموت:

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾

[ سورة يس ]




أصبح هناك مسلم ومجرم، مؤمن وكافر: " إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم لسريع، وقد رأيتم الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فقال المقداد يا رسول الله: وما الهدنة؟ فقال: دار بلاءٍ وانقطاع "

دار امتحان ثم انقطاع، الموت ينهي غنى الغني، ترك ثلاثة وثمانين مليوناً، الموت أنهى هذه الثروة، ينهي قوة القوي، كان طاغية كبيراً، ترتعد

منه المفاصل، صار خبراً، ينهي غنى الغني، قوة القوي، ضعف الضعيف، وسامة الوسيم، دمامة الدميم، ذكاء الذكي، محدودية المحدود:" إنكم في زمن هدنة، قال يا رسول الله: وما الهدنة؟ قال: دار بلاءٍ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الأمور".

صار هناك ضلالات، شبهات، طروحات فكرية ضالة، تسفيه للدين: " فإذا التبست عليكم الأمور فعليكم بالقرآن، فهو شافعُ مشفع، وشاهدٌ مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، هو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه".

قال بعضهم: إنه رأى الصديق في منامه، فقال له: أوصني، قال: كن ابن وقتك، فسر بعضهم هذه الكلمة، في وقت الفجر أنت في المسجد، يوم الجمعة ظهراً أنت في الجامع، في النهار أنت في العمل، في الليل أنت في بيتك، كل وقت له عبادة مناسبة، كن ابن وقتك.

## من خصائص الوقت أنه نسبي يطول و يقصر:

أخواننا الكرام، الوقت من خصائصه أنه نسبي، يطول ويقصر، هو في الحقيقة لا يطول ولا يقصر، الوقت وقت، الستون دقيقة ستون دقيقة بالعالم كله، لكن يطول على المعذب.

**إن يطول بعدك ليلي فلكم بتُ أشكو قصر الليل معك**

* * *




قالوا: دقيقة الألم ساعة، وساعة اللذة دقيقة.

نحن كنا طلاباً في الجامعة، الامتحان ثلاث ساعات، والله أيها الأخوة، كيف يمضي الوقت لا أعرف؟ أكتب انقضت ساعة، مرة ثانية انقضت ساعتان، الثالثة انتهى الوقت، أصبحت أستاذاً في الجامعة، ثلاث ساعات مراقبة قدر ثلاث سنوات، راقب، انتظر، اقلب الساعة للوراء، أقول: مضى نصف ساعة، أفتح أجد

دقائق مضوا، بقي أمامي ثلاث ساعات، يمكن أصعب شيء في حياة أستاذ الجامعة المراقبة، هذه الثلاث ساعات ثلاث سنوات، لأنه لا يوجد عمل و الطالب منهمك في العمل.

فالوقت يطول ويقصر.

## الوقت يخف على المؤمنين ويثقل على الكافرين:

الآن تطبيق هذا الكلام؛ الوقت يخف على المؤمنين، ويثقل على الكافرين، قال تعالى:

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

[ سورة غافر ]




ستة آلاف سنة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين كل سنة ضرب اثنين

﴿ غُدُوّاً وَعَشِيّاً ﴾

والخير للأمام، لذلك القبر حفرة من حفر النيران، أو روضة من رياض الجنة، لكن هناك شيء يبشر:

(( أَنَّ أعرابيا قال: يا رسولَ الله، مَنْ خَيْرُ الناس؟

قال: مَنْ طال عمره، وحَسُنَ عمله ))

[ أخرجه الترمذي عن عبد الله بن بسر ]

كان في الشام شيخ، بدأ بالتعليم، أنشأ مدرسة خاصة إسلامية، بدأ بالتعليم في الثامنة عشرة من عمره، وتوفاه الله في الثامنة والتسعين، علّم ثمانين سنة، كان يرى الشاب في الطريق، يقول له: يا بني أنت كنت تلميذي، وكان أبوك تلميذي، وكان جدك تلميذي، وكان منتصب القامة، حاد البصر، مرهف السمع، أسنانه في فمه، حينما يُسأل يا سيدي ما هذه الصحة التي حباك الله بها؟ يقول: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً.

زرت والد صديقي، قال لي: عمري ست وتسعون سنة، عملنا البارحة تحليلات كاملة كله طبيعي، قال لي: والله لم آكل قرشاً حراماً بحياتي، ولا أعرف الحرام الثاني، حرام النساء.

## سرعة انقضاء الوقت:

أيها الأخوة، هناك شيء ثان في الوقت، سرعة انقضائه، أي كل واحد منا له عمر، كيف مضى هذا العمر؟ كلمح البصر، يمر الوقت مرّ السحاب، يجري جري الرياح، إن كنت في مسرة، أو في فرح، أو في اكتئاب وترح، إن كانت الأيام أيام سرور، أو أيام أخرى، الوقت يمضي، يمضي سريعاً.




فلذلك الوقت لا يرجع إلى الوراء أبداً، قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ﴾

[ سورة يونس الآية: 45 ]

عاش ثمان وثلاثين سنة، أو ثمان وتسعين سنة، أو ثمان وسبعين سنة، ساعة من نهار:

﴿ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾

[ سورة المؤمنون ]

أيها الأخوة، من خصائص الوقت أنما ما مضى منه لا يعود، لذلك الأغبياء يتحدثون عن الماضي، الحديث عن الماضي لا يجدي، إلا إن أخذت العبرة منه فقط، أما التحسر، والتأسف فكلامٌ فارغ، ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها.

قال الإمام الحسن البصري: ما من يومٍ ينشق فجره إلا وينادي: ابن آدم أنا خلقٌ جديدٌ، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

## موقفان يندم فيهما الإنسان أشد الندم:

الآن، من جهل قيمة الوقت لم يعبأ بالوقت، سيأتي عليه حين يعرف قيمته ونفاسته، ولكن بعد فوات الأوان، وقد ذكر القرآن موقفين اثنين يندم فيهما الإنسان أشد الندم، الموقف الأول في قوله تعالى عند ساعة الاحتضار:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ* وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[ سورة المنافقون ]




هذا الموقف الأول، الرد الإلهي:

﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

الوقف الثاني: في الآخرة حيث:

﴿ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَت ﴾

[ سورة النحل الآية: 111]

وتجزى ما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون إلى الدنيا، إلى دار التكليف، ليعملوا عملاً صالحاً، ولكن هيهات، فقد انتهى زمن العمل، وجاء زمن الجزاء، يقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ* وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾

[ سورة فاطر الآية: 36-37 ]

## من أدق ما قاله العلماء في كلمة النذير:

### 1 . النذير هو النبي عليه الصلاة والسلام:

الآن دقق:

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾

[ سورة فاطر الآية: 37 ]

قفوا عند كلمة نذير:

﴿ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾

الإمام القرطبي . رحمه الله تعالى . مفسر كبير، فسر كلمة نذير بتفسيرات عديدة رائعة،




﴿ النَّذِيرُ ﴾

هو رسول الله:

**﴿ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾**

[ سورة الأحزاب ]

لأنه قال:

**((عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ))**

[ أخرجه الحاكم عن سهل بن سعد أو عبد الله بن عمر ]

قال:

**(( إن أكيس الناس أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً ))**

[ أخرجه الحارث عن زيد بن علي ]

**(( ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور ))**

[ورد في الأثر]

**(( الكَيّس مَنْ دانَ نفسَه ))**

[ أخرجه الترمذي عن شداد بن أوس ]

ضبطها:

**(( وعَمِلَ لما بعد الموت، والعاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وتمنَّى على الله الأماني ))**

[ أخرجه الترمذي عن شداد بن أوس ]

فالنبي عليه الصلاة والسلام بأحاديثه الشريفة الصحيحة هو

﴿ النَّذِيرُ ﴾

## 2 . أو القرآن:

والقرآن هو:

﴿ النَّذِيرُ ﴾

قال:




﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ* قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ* مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ* خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ *إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾

[ سورة الحاقة ]

فالقرآن هو النذير، والنبي هو النذير.

## 3 . أو سن الأربعين:




قال: وسن الأربعين هو النذير، من دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، أنت سافرت سفرة لمدة عشرة أيام، باليوم الثامن تنعكس الخطة تقطع تذاكر العودة، تشتري الهدايا، تفكر في العودة، فمن بلغ الأربعين، من دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، و:

**((من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار))**

[أبو الفتح الأزدي عن ابن عباس]

أربعين سنة، لذلك:

**(( أبغض ثلاثاً، وبغضي لثلاثٍ أشد، أبغض العصاة، وبغضي للشيخ العاصي أشد ))**

هذه مراهقة متأخرة.

﴿ النَّذِيرُ ﴾

هو القرآن الكريم، و:

﴿ النَّذِيرُ ﴾

هو النبي عليه أتم الصلاة والتسليم، و:

﴿ النَّذِيرُ ﴾

هو سن الأربعين.

## 4 . أو سن الستين:




وقالوا:

﴿ النَّذِيرُ ﴾

سن الستين، إذا بلغ الإنسان سن الستين صار أقرب إلى الموت منه إلى الحياة، هذه حقيقة.

## 5 . أو الشيب:

قال و:

﴿ النَّذِيرُ ﴾




هو الشيب، ورد في الأثر:

**((أن عبدي كبرت سنك، وضعف بصرك،**

**وانحنى ظهرك، وشاب شعرك، فاستحِ مني فإنا**

**أستحي منك ))**

**إلى متى وأنت في اللذات مشغول وأنت عن كل**

**ما قدمت مسؤول**

* * *

**تعصي الإله وأنت تظهر حبـه ذاك لـعمري في المقال بديعُ**

**لو كان حبك صادقاً لأطعتــه إن الـمحب لمن يحب مطيع**

* * *

أيها الأخوة، هذا هو:

**﴿ النَّذِيرُ ﴾**

**﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾**

## 6 . أو المصائب:

الآن

**﴿ النَّذِيرُ ﴾**

المصائب، المصيبة رسالة من الله، الآية الكريمة:

**﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا ﴾**

[ سورة القصص الآية: 47 ]

ما قال: مصيبة، قال:



﴿ رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آَيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[ سورة القصص ]

فسمى الله المصيبة رسالة، الآن هناك رسائل يقول لك: عرض عسكري، رسالة للدولة المجاورة، هناك رسائل ليست كتابية، أحياناً هناك حركة هي رسالة، اعتقد يقيناً أن المصيبة رسالة، إنسان غافل، ساه، لاه، تأتي مشكلة في صحته ينتبه، فالمصائب نذير.

## 7 . أو التطور الصحي السلبي:




كذلك هناك شيء آخر، التطور الصحي السلبي، كان من الممكن أن يتمتع الإنسان بشباب دائم حتى الموت، ضغطه إحدى عشرة سبعة، نبضه ثمانون، التحليلات كلها كاملة، و هو في التسعين، لكن شاءت حكمة الله من بعد الخمسين أن يكون هناك تطورات، يشيب شعره، يضعف بصره، يضع نظارات، يصلح أسنانه، يقول لك: آلام في الظهر، معي أسيد أوريك، معي شحوم ثلاثية، هذه الأكلة ممنوع عنها، هناك مجموعة أعراض صحية سلبية بعد سن معين تصيب جميع الخلق، هي رسائل لطيفة من الله، رسائل، أن يا عبدي قد اقترب اللقاء، هل أنت مستعدٌ له؟ اقترب اللقاء.

## 8 . أو موت الأقارب:

أيها الأخوة، يناقض معرفة قيمة الوقت الغفلة، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

[ سورة الأعراف ]

لذلك:

﴿ النَّذِيرُ ﴾

بحث دقيق جداً، ومن:

﴿ النَّذِيرُ ﴾

موت الأقارب، إنسان له هيبته، له مكانته، وقد يكون محبوباً، مات، يخافون أن يدخلوا إلى غرفته بعد موته وبعد تشييعه، غرفته تخوف، ما الذي حصل؟ لذلك موت الأقارب أيضاً نذير.

## التسويف من أخطر آفات الوقت:




أيها الأخوة، من أخطر آفات الوقت التسويف، الإمام الحسن البصري يقول: "إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غدٌ لك، فكن في غدك كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غدُ لن تندم على ما فرطت في هذا اليوم، لا تقل غداً، لا تقل سوف".

إنسان وعد النبي أن يتوب غداً، قال له: ويحك، أو ليس الدهر كله غداً.

**(( هلك المسوفون ))**

[ورد في الأثر]

قيل لعالم: أوصنا، قال: احذروا سوف فهي جند إبليس، كلمة سوف من جند إبليس، قال:

**تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليلٌ هل تعيش إلى الفجر**

**فكم من سليمٍ مات من غير علةٍ وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر**

**وكم من فتىً يمسي ويصبح أمناً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري**

* * *

## قيمة العمر بالعمل الصالح:

أيها الأخوة، عمر الإنسان الحقيقي هو عمر عمله الصالح، إنسان فتح دكاناً وداوم عشر ساعات، باع بخمسمئة ليرة، وإنسان فتح دكاناً وداوم ساعة، وباع بمليون، الزمن لم يعد له قيمة، القيمة بالغلة، مجموع المبيعات، فقيمة العمر لا بأمده، بل إن الأمد الزمن العمر أتفه أعمار الإنسان، العمر يطول بالعمل الصالح، ويقصر بقلة العمل الصالح.

أيها الأخوة، لذلك قال صاحب الحكم العطائية: "ربَّ عمرٍ اتسعت آماده، وقلّت أمداده، وربَّ عمرٍ قليلةٌ آماده، كثيرةٌ أمداده، ومن بورك له في عمره أدرك في يسيرٍ من الزمن من المنن ما لا يدخل تحت دائرة العبارة، ولا تلحقه ومضة الإشارة".

إذاً العمر قيمته بالعمل الصالح، لذلك ورد في بعض الأدعية: "لا بورك لي في طلوع شمس يومٍ لم أزدد فيه من الله علماً، ولا بورك لي في طلوع شمس يومٍ لم أزدد فيه من الله قرباً ".




والإنسان بإمكانه أن يطيل عمره بكثرة أعماله الصالحة، قيمة العمر بالعمل الصالح، لا بالأمد الزمني المحدود.

أيها الأخوة، أعظم عمل صالح الذي يستمر بعد وفاة الإنسان.

**(( إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَعُ به، أو ولد صالح يدعو له ))**

[ أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ]

وأخطر عمل سيئ الذي يستمر بعد وفاة الإنسان، أسس ملهى ومات والملهى مفتوح، فكل ما فيه من موبقات في صحيفته، أسس عملاً صالحاً ومات، كل الأعمال الصالحة التي تستمر من خلال هذا العمل في صحيفته.

فالبطولة أيها الأخوة، أن يكون الإنسان عاقلاً يعرف كيف يتحرك في هذا الوقت المحدود.

# الفصل السابع: أهمية الوقت

## 7.1 الوقت البعد الرابع للإنسان

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

### الوقت أثمن شيء في حياة الإنسان:




أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثلاثين وهو الدرس الأخير من سلسلة موضوعات حقائق الإيمان والإعجاز، والموضوع اليوم هو الوعاء الذي يكون فيه العمل ألا وهو الوقت، والإنسان في أدق أدق تعاريفه بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، وحينما يدرك الإنسان أنه وقت والوقت يمضي، ومضي الوقت وحده يستهلك الإنسان، هذا الفهم الدقيق الذي يعد أصلاً في حقيقة الإنسان، الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.




لذلك الموفقون في الدنيا يحافظون على أوقاتهم، بل إن المؤمنين يعدون الوقت أثمن شيء في حياتهم، لأنه وعاء عملهم، أي شيء لا يحقق إلا بالوقت، فالوقت من أجل طلب العلم، والوقت من أجل العبادة، والوقت من أجل كسب الرزق، والوقت من أجل تربية الأولاد، والوقت من أجلّ

الأعمال الصالحة، فهذا الوقت أثمن شيء تملكه، بل هو رأسمالك الوحيد، بل هو أنت، ومن علامات البعد عن الله تضييع الوقت، وإضاعة الوقت من المقت، والمتخلفون بأفكارهم، وعقيدتهم، وسلوكهم، وأنماط حياتهم، يضيعون أوقاتهم، بل إن الوقت يعد أكبر عنصر في الحياة، الأشياء تحتاج إلى مكان وزمان، ومادة وعمل، لكن أثمن عنصر في العمل هو الإنسان، والإنسان بلا وقت لا قيمة له، لذلك السورة التي تعد من أخطر السور التي يتعامل معها الإنسان والتي كان الصحابة الكرام لا يتفرقون إلا عليها، إنها السورة التي قال عنها الإمام الشافعي: " لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم ". إنها سورة العصر.

## الوقت هو البعد الرابع للإنسان:

لكن قد يسأل سائل ما حقيقة الوقت؟ أخوتنا الكرام، النقطة إذا تحركت شكلت خطاً، ائت بقلم ومسطرة وورقة وحرك هذا القلم على المسطرة، هذا القلم يرسم خطاً، فإذا حركت هذا الخط يرسم سطحاً، فإذا حركت هذا السطح شكّل حجماً، عندنا بعدان سطحيان، عندنا بعد حجمي، أحياناً عمق أو ارتفاع، أحياناً بعد ثالث، صار عندنا النقطة إذا تحركت شكلت خطاً، والخط إذا تحرك شكل سطحاً، والسطح إذا تحرك شكل حجماً، والحجم إذا تحرك كان وقتاً، لولا حركة الأرض حول نفسها هل هناك ليل أو نهار؟ لو ألغي الليل أو النهار ألغي الوقت، ألغي اليوم، ألغي الأسبوع، ألغي الشهر، ألغي الفصل، ألغي العام، ومن حركة الأرض حول الشمس تكون الفصول الأربعة، إذاً الوقت هو البعد الرابع للإنسان.

العالم الفيزيائي الكبير الذي جاء بالنظرية النسبية، والتي قلبت مفاهيم الفيزياء أينشتاين، هذا العالم اكتشف أن السرعة المطلقة في الكون هي سرعة الضوء، وأن أي جسم مشى مع الضوء أصبح ضوءاً، فصار حجمه لا نهائياً، أجروا تجربة أنهم بنوا رصيفاً على طول قطار بالتمام والكمال، وهذا القطار مشى بأعلى سرعة صنعها الإنسان، وصوروا هذا القطار مع الرصيف فكان هذا القطار أطول من الرصيف مع حركته السريعة، فلو بلغت حركته سرعة الضوء لأصبح حجمه لا نهائياً.

أي جسم تحرك مع الضوء أصبح ضوءاً، وإذا سرنا مع الضوء توقف الزمن، هذا الدرس العلمي يصدر منه موجات ضوئية إلى الفضاء الخارجي، مادامت الموجات ضوئية سرعتها ثلاثمئة ألف كيلو متر بالثانية، لو تمكن إنسان افتراضاً أن يمشي مع هذه الموجات هذا المنظر يراه إلى أبد الآبدين، يكون أخواننا الكرام كبروا وأصبحوا أصحاب أعمال كبيرة، وجميعاً وافتنا المنية بعد مئة عام أو أكثر، وهذا الذي يمشي مع

الموجات الضوئية يرى هذا المجلس كما هو، فإذا سار الإنسان مع الضوء توقف الزمن، فإذا سبق الضوء تراجع الزمن، هذا المسجد قبل أن يبنى بني على ماذا؟ كان بستاناً من بساتين الصالحية، للتقريب لو أمكن أن نسبق الضوء لرأينا موقعة بدر بأم أعيننا، فالجسم إذا سار مع الضوء توقف الزمن، إذا سبق الضوء تراجع الزمن، إذا قصر عن الضوء تراخى الزمن.

## بطولة الإنسان أن يستفيد من الوقت لأنه أثمن شيء يملكه:

أيها الأخوة، أنت زمن، بضعة أيام، وبضعة ساعات، وبضعة دقائق، وبضعة ثوان، أي الإنسان له عند الله مثلاً ثلاث وثمانون سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أسابيع، وأربعة أيام، وخمس ساعات، وأربع دقائق، وثمان ثوان، انظر إلى الساعة كل حركة ثانية هذه تقتطع من عمرك، بالثانية، فأنت بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، أنت زمن، أو أن الزمن رأسمالك، أو أن الزمن أثمن شيء تملكه، البطولة إدارة الوقت، البطولة أن تستفيد من الوقت، لو سألتكم من هو أعظم إنسان على الإطلاق استفاد من الوقت؟ إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك أقسم الله بعمره الثمين فقال له:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

( سورة الحجر )




والإنسان يوم القيامة لا يندم إلا على ساعة مرت لم يذكر الله فيها، وكلما تفوق الإنسان وكلما وفق الإنسان أدار وقته إدارة صحيحة، ونظم وقته. كنت في ماليزيا حدثونا أن رئيسهم سبب نجاحه الكبير . ماليزيا دولة لا يزيد سكانها عن ثلاثة وعشرين مليوناً، كانوا في الغابات قبل خمس وعشرين سنة، والآن صادراتها إلى العالم يفوق صادرات العالم العربي بأكمله بما فيه النفط، قبل سنوات عندهم فائض ستين مليار دولار . أنه يحمل دفتراً في جيبه، وأي شيء خطر في باله يسجله فيه، أن تستخدم دفتراً أي خاطر، أي فكرة، أي مشروع، أي عمل، أي اتصال، أي إنجاز سجلته، أنت دائماً أمام

قائمة أعمال، يمكن أن ترفع إنتاج أعمالك إلى عشرة أضعاف عن طريق التسجيل، أضرب لكم مثلاً، قد تحتاج إلى شيء في البيت لا تكتبه تنسى أن تشتريه، تظهر هذه الحاجة عند إرادة استعمالها، لا يوجد شمع عندنا، الكهرباء انطفأت يجب أن أشتري شمعاً، يمكن أن يمضي العام بأكمله وتنسى أن تشتري، لأن الحاجة تظهر عند انطفاء الكهرباء فقط، أما لو كتبت شراء شمع، ثاني يوم يكون عندك شمع، وقس على ذلك كل شيء.

## تنظيم الوقت أهم شيء في حياة أي إنسان:

قالوا: أسوأ قلم أفضل من أقوى ذاكرة، فالوقت إدارته، هناك وقت لأهلك، ووقت لعملك، ووقت لربك، ووقت لعباداتك، ووقت لقراءة القرآن، ووقت للعمل الصالح، ووقت لصلة الرحم، اكتب برنامجاً، برنامج أسبوعي من الساعة كذا إلى الساعة كذا في البيت، من الساعة كذا إلى الساعة كذا في المسجد، من الساعة كذا إلى كذا في كذا، اكتب، إما أن تخطط وإما أن يخطط لك، إما أن تكون رقماً صعباً وإما أن تكون رقماً تافهاً عند أصحاب الأرقام الصعبة، لذلك أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل أقسم بعمر هذا الإنسان الذي هو المخلوق الأول، أقسم له بمطلق الزمن، بالعصر، وجاء جواب القسم:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾




خاسر، والله مرة فتحت كتاباً مصدراً بأربعة أدعية إن قرأتها يقشعر جلدك، من هذه الأدعية: " اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني "، أي أنت تقرأ حديثاً، تقرأ معاني كلماته، تقرأ سنده، تقرأ رواياته، تقرأ شرحه، تحلله، تستنبط منه استنباطات عديدة، وتلقيه درساً، والذين استمعوا لهذا الدرس انتفعوا به فطبقوه فقطفوا ثماره، وهذا الذي حدثهم به لم يطبقه، فيأتي يوم القيامة وقد انتفع الناس بعلمه وشقي هو بعلمه، اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني.

الدعاء الثاني: " اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك، ألتمس به أحداً سواك ".

أحياناً إنسان يشعر أن مصلحته أن يتحدث بالدين، يتحدث بالدين أمام إنسان بيده دنيا عريضة، وهذا الحديث بالدين يملك قلب هذا الإنسان، هو يريد ماله بالحديث عن الله عز وجل، اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك، ألتمس به أحداً سواك.

الدعاء الثالث: "اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك ".

يمكن أن ترتدي يوم الجمعة ثياباً بيضاء، أنيقة، مكوية، وعطر مسك، ومسبحة تركواز، شيء رائع أين أمضيت ليلة الجمعة؟ اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك.

آخر دعاء:" اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك ".

## من كان مستقيماً فهو في ظلّ الله عز وجل:




أيها الأخوة الكرام، المسرح فيه خشبة وفيه مقاعد للمشاهدين، فالمستقيم له مقعد مع المشاهدين، وغير المستقيم يجر إلى خشبة المسرح ويصبح قصة، لذلك قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾

( سورة المؤمنون الآية: 44 )

كنت مرة في متحف في القاهرة، المماليك دعي قادتهم إلى وليمة فخمة جداً، وفي أثناء الوليمة تحت المقاعد يوجد سيوف قطعت رؤوسهم جميعاً، ونجا واحد منهم أخبر بما حصل، فكلما زار وفد سياحي هذه القاعة الكبيرة ذكرت هذه القصة، هؤلاء المماليك أصبحوا أحاديث، لذلك: " اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك ". أن أكون أنا قصة، فإذا كنت مستقيماً فأنت في ظل الله، أنت في ستر الله، أنت في رعاية الله، أنت في حفظ الله، أنت في توفيق الله.

## مضي الوقت وحده يستهلك الإنسان:




أيها الأخوة الكرام، لذلك الله عز وجل أقسم بالعصر، بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن، فقال تعالى:

**﴿ وَالْعَصْرِ (1) ﴾**

( سورة العصر )

جواب القسم:

**﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) ﴾**

( سورة العصر )

أي مضي الوقت وحده يستهلك الإنسان، هناك بناء بأرقى أحياء دمشق، البيت الواحد ثمنه مئة وثمانون مليوناً فما فوق، الشيء الذي لا يصدق أن كل من اشترى بيتاً في هذا البناء لم يسكنه مات قبل أن يسكنه إلا واحداً أتيح له أن يغسل فيه فقط، موعظة.

كنت مرة في حلب أطلعوني على حي اسمه حي الشهباء في أرقى أبنية حلب، أبنية بمئات الملايين، أشير إلى بناء على النمط الصيني جميل جداً، صاحبه توفي في الثانية والأربعين، وكان مديد القامة، ولحكمة أرادها الله القبر الذي سيدفن فيه كان أقصر من قامته فلما وضعه الحفار في القبر دفعه من صدره فصار شكله قائماً، أين القصر؟ تركه ومشى.

**كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والـجبروت**

**والليل مهما طـال فلا بد من طلوع الفـجر**

**والعمر مهما طـال فلابد من نزل الـقبر**

* * *

**وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول**

**فـإذا حملت إلى القبور جنازة فـاعلم أنك بعدها محمول**

* * *

## الإيمان بالله و العمل الصالح و التواصي بالحق و الصبر من أركان النجاة الأساسية:




﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) ﴾

( سورة العصر )

هذا جواب القسم، خسر لأن مضي الزمن وحده يستهلك الإنسان، قوي، ضعيف، غني، فقير، وسيم، دميم، ذكي، محدود، صحيح، مريض، هذا الإنسان بأي حال الوقت يستهلكه وهناك موت، الخسارة محققة، ماذا نفعل يا رب؟ جاء الجواب الإلهي:

﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) ﴾

( سورة العصر )

سماها الإمام الشافعي أركان النجاة، مثل للتقريب، طالب في مرحلة التخرج، وهناك مادة أساسية جداً وهي آخر مادة، فإذا نجح نال شهادة عليا، وهناك وزارة تنتظره ليكون موظفاً كبيراً فيها، ومع هذه الوظيفة الكبيرة دخل كبير، ومع هذا الدخل الكبير خلال سنوات سابقاً يشتري بيتاً وبعدها يخطب فتاة، أي على نجاحه بهذه المادة وعلى نيل الشهادة سيبنى وظيفته، ودخله، وبيته، وزواجه، فملأ حوض الحمام ماء فاتراً، وجلس واسترخى، هل ينجح؟ هل يأخذ الليسانس؟ لكن الماء رائع جداً، ماء فاتر، ريح أعصابه، هذا العمل ليس له أثر مستقبلي، استهلاكي، وهذا شأن الناس جميعاً، يأكلون، يشربون، يتابعون الأخبار، لهم تعليقات رائعة وكأنهم فوق البشر، ثم يأكلون وينامون، ويستيقظون صباحاً ليذهبوا إلى العمل، يأتي الظهر يأكلون ثم ينامون بعد الظهر، هكذا حتى يحس بنخزة بقلبه، ثم إلى العناية المشددة، ثم تظهر نعوته، هل يوجد غير هذا؟

## إنفاق الوقت استهلاكاً أو استثماراً:




هذا الذي يستهلك الوقت لا يستثمره، هذا الوقت هو أنت، هذا الوقت رأسمالك الوحيد، هذا الوقت أثمن ما تملك، إما أن تنفقه استهلاكاً، يأكلون ويشربون ويتمتعون كما تتمتع الأنعام والنار مثوى لهم:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12) ﴾

( سورة محمد)

أو أن تستثمره فتؤمن بالله، كيف تؤمن؟ أنت بحاجة إلى درس علم، مكان العلم في الجامع، تأتي إلى المسجد هناك درس تفسير، درس فقه، درس حديث، درس عقيدة، درس إيمان، خطبة، ابنك يحفظ القرآن في معهد شرعي:

﴿ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾

( سورة الفتح الآية: 29 )

تنفق من مالك، تربي أولادك، تصل جيرانك، تطعم المساكين:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

( سورة العصر ).

سمعت خطبة رائعة جداً أخذت شريطاً تسمعها لأخيك، تسمعها لابن عمك، كله له أجر:

(( من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ))

[ الترمذي عن زر بن حبيش]

أنت بدوما والدرس بعد ساعتين، هيأت نفسك تتوضأ، ثم تركب أول باص والثاني والثالث، لتأتي إلى الجامع، ثم صليت المغرب، سمعت الدرس، صليت العشاء ورجعت، هذا طريق الجنة والدليل:

(( من سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ))

[ رواه الترمذي عن أبي هريرة ]

**﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾**

( سورة العصر )

لا تصدق مؤمناً ليس له عمل صالح.

## ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن حتى تعبر عن ذاتها بعمل صالح:


العمل الصالح هو تعبير عن حقيقة الإيمان في قلب المؤمن

ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن حتى تعبر عن ذاتها بعمل صالح، لا تصدق مؤمناً سكونياً، سلبياً، أخي الإسلام عظيم، خير إن شاء الله وإذا كان عظيماً؟ أي إذا شخص فرضاً له أب عالم كبير وهو أمي أمضى كل حياته في مدح أبيه هل يصبح عالماً؟ لا يبقى أمياً: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾. صبر على طلب العلم، وصبر على العمل وفق العلم، هناك موقف حرج النبي صلى الله عليه وسلم لم يصافح النساء قال:

**((إني لا أصافح النساء ))**

[ رواه الترمذي وقال حسن صحيح عن أميمة بنت رقيقة]

هناك دخل مشبوه لم يرضَ أن يأخذه، صفقة مشبوهة رفضها، قال: الله هو الغني، وظيفة فيها فساد أخلاقي، قال: لا أقبل بوظيفة دخلها أقل لكن أضمن ديني بها:

**﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾**

**والحمد لله رب العالمين.**

# 7.2 الزمن هو البعد الرابع للأشياء

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الواحد والثلاثين من دروس العقيدة والإعجاز.

## من مقومات التكليف:

### الوقت:

قد تحدثنا في هذه الدروس عن مقومات التكليف، بدأنا بالكون ثم بالعقل ثم بالفطرة ثم بالشهوة ثم بالاختيار، وها نحن ننتقل إلى الوقت، أحد مقومات التكليف أن الله عز وجل أعطانا وقتاً نستطيع فيه أن نحقق الهدف الذي خلقنا من أجله، لكن ما الوقت؟ الوقت هو الزمن بعضهم يقول: إذا حركنا نقطة بشكل مستقيم رسمت خطاً مستقيماً، فإذا حركنا هذا المستقيم رسم سطحاً، فإذا حركنا هذا السطح شكّل حجماً، فالحجم له طول وعرض وارتفاع أو طول وعرض وعمق، والإنسان بعينيه يدرك الطول والعرض والبعد الثالث العمق، لكن هذا الحجم إذا تحرك قال شكّل زمناً، فمن تعريفات الزمن أنه البعد الرابع للأشياء، بشكل أدق كل مادة الله عز وجل خلقها صممها بطريقة أن الزمن له أثر فيها، ضع شيئاً تحت أشعة الشمس لأمد طويل يضعف لونه ويزيل بريقه، معنى ذلك أن هذه المدة التي وضع فيها هذا الشيء تحت أشعة الشمس غيّر من لونه البراق إلى لون غير براق، نقول التغير الذي أصاب الشيء بفعل الزمن هو البعد الرابع للأشياء.

### 1 – الزمن هو البعد الرابع للأشياء:

أحد أكبر علماء الفيزياء اينشتاين، طبعاً جاء بالنظرية النسبية التي قلبت مفهومات الفيزياء، هو اكتشف أن هذا الكون العظيم أعلى سرعة فيه هي سرعة الضوء، هي السرعة المطلقة، ويؤكد هذا العالم الفيزيائي أن أي جسم سار بسرعة الضوء أصبح ضوءاً، وأن أي جسم افتراضاً سار بأسرع من الضوء تراجع

الزمن، أي يمكن نظرياً أننا إذا ركبنا مركبة باتجاه الفضاء الخارجي وسرنا بها أسرع من الضوء لرأينا بأم أعيننا موقعة بدر وأحد والخندق واليرموك والقادسية، لأن هذه المعارك عليها ضوء الشمس وأجسام المتقاتلين عُكست هذه الأشعة على شكل موجات إلى الفضاء الخارجي، وهذه الموجات سرعتها ثلاثمئة كيلو متر في الثانية، افتراضاً لو ركبنا مركبة أسرع من الضوء لوصلنا على هذه الموجات ولرأينا المعركة رأي العين، وهذا ما يحدث في التلفاز، المشهد يصور لو فرضنا وجه المذيع عليه إضاءة شديدة هو عاكس لهذه الإضاءة على شكل موجات، تلقتها آلة التصوير هنا في عملية معقدة جداً وضعت هذه الصورة على لوحة، وهذه اللوحة عبارة عن نقاط ضوئية متفاوتة في الشدة وجاء مدفع إلكتروني مسح هذه النقاط، حينما مسح هذه النقاط رمم الفراغ، لما رمم الفراغ اختلفت شدة التيار، هذا التيار الذي اختلفت شدته يعاد بثه إلى الفضاء، وهناك جهاز عكس آلة التصوير يستقبل هذا التيار المتفاوت الشدة، والذي تعد الشدة المتفاوتة هي الصورة يبث على الشاشة هذا ما يحدث في العين بالضبط، حينما ينطبع الخيال على الشبكية هناك مئة وثلاثين مليون عصية ومخروط في ميليمتر وربع، هذه العصيات تستقبل الصورة تتفاعل معها تفاعلاً كهربائياً ينشأ تيار متفاوت الشدة يشحن إلى الدماغ بمركز الرؤية في الدماغ ترى الشيء، العملية معقدة جداً.

نحن نريد أن نصل إلى أن الزمن هو البعد الرابع للأشياء.

## 2 – الإنسان زمن:

أما الإنسان والله أيها الأخوة الكرام، ما وجدت تعريفاً جامعاً مانعاً لهذا الإنسان كهذا التعريف الضوئي هو بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

هذه الحقيقة ينبغي أن تكون ماثلة في أذهاننا جميعاً، أنت أيها الإنسان زمن، أنت بضعة أيام للتقريب، هذا الإنسان خلقه الله عز وجل، له عنده زمن محدد ثلاثة وثمانين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أسابيع وأربعة أيام وسبع ساعات وخمس دقائق وثمان ثوان، بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، ما من يوم ينشق فجره إلا و ينادي يا بن آدم أنا خلق جديد و على عملك شهيد فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

تعريف الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

## الوقت أثمن من المال:

الآن وقفة متأنية بربكم لو أن إنساناً لا سمح الله ولا قدر أصابه مرض عضال، و يوجد الآن بلاد بعيدة الطب فيها متطور تطوراً شديداً، وقيل له: إن عملية جراحية يمكن أن تكون سبب شفائك لكنها باهظة التكاليف، وقد تساوي ثمن بيتك، هل يتردد المريض ثانية واحدة في بيع البيت والسفر إلى هناك وإجراء هذه العملية؟ لا يتردد لماذا؟ لأنه مركب في أعماق أعماقه أن الوقت أثمن من المال، لذلك ضحى بالمال من أجل الوقت حتى يعيش عدة سنوات إضافية، ضحى بالمال من أجل الوقت، طبعاً هذه مقدمة، ثابتة، لا يوجد إنسان يعرض عليه بيع بيته لإجراء عملية جراحية تنقذه من مرض عضال، ربما ساهمت هذه العملية في فهم هذا الإنسان إلى أن يعيش بضع سنوات أخرى كان بهذا المرض محروماً منها لا يتردد.

## من عرف قيمة الوقت استفاد من كل ثانية:

الآن لو وقف إنسان وأمسك بخمسمئة ألف ليرة وأحرقها أمامكم، وحاولتم جهدكم أن تثنوه عن ذلك فلم يقبل وتمّ إحراقها بماذا تحكم عليه؟ بأنه مجنون، وبالتعبير الشرعي سفيه:

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ (5) ﴾

(سورة النساء)

إذا كان إتلاف الأموال يعدّ سفهاً، فكيف يكون إتلاف الوقت والوقت أثمن من المال؟ لذلك أذكى الأذكياء يحسن إدارة الوقت، أنا كنت في فرنسا ركبت قطاراً سريعاً سرعته ثلاثمئة وخمسين كيلو في الساعة كأنه طائرة، لكن لفت نظري أن كل ركاب القطار إما أن الواحد منهم يقرأ أو أمامه كومبيوتر محمول لقيمة الوقت، وكلما ارتقيت تحرص على وقتك، إما أنه يقرأ من دون استثناء أو يعالج موضوعاً في الكومبيوتر وهو يركب القطار، وهيؤوا لكل مقعد طاولة ومأخذ كهربائي للكومبيوتر، فأنت حينما تعرف قيمة الوقت تستفيد من كل وقتك.

## العاقل من أحسن إدارة الوقت:

المؤمن أيها الأخوة، أعيد هذه الفكرة مئات المرات حينما يختار هدفاً لا نهائياً يرى أثمن شيء يملكه هو الوقت، الوقت هو أنت، أنت وقت، أنت بضعة أيام لذلك أقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول

الذي هو في حقيقته زمن أنه خاسر، يعتني بدنياه، يمضي ساعات طوال لترفيه نفسه، يرتب بيته، يرتب شؤون حياته، يسعى إلى أن يستمتع إلى أعلى درجة من الاستمتاع، ثم يفاجأ بملك الموت يأخذ منه كل شيء في ثانية واحدة، الذكاء كل الذكاء، والنجاح كل النجاح، والفوز كل الفوز، والبطولة كل البطولة، والتفوق كل التفوق أن تحسن إدارة الوقت.

أحياناً في انتظار ساعة أحاول أن أهيئ عملاً في هذه الساعة، أحياناً تأتي من مدينة من أوربا إلى دمشق عن طريق حلب، في انتظار ساعة بمطار حلب، ساعة يمكن أن تقوم بعمل، بتأليف، بكتابة موضوع، بمطالعة موضوع.

## المسارعة والمسابقة:

البطولة أن تستغل الوقت، لذلك في مفهومات حضارية لها أصول في الإسلام كبيرة جداً، مفهوم الوقت:

﴿ وَسَارِعُوا (133) ﴾

(سورة آل عمران)

المسارعة تعني أن الوقت يمضي:

﴿ سَابِقُوا (21) ﴾

(سورة الحديد)

المسابقة تعني أن الوقت يمضي.

(( بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا؟ ))

[ أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ]

فجأة الأسعار ارتفعت، النشاطات ضعفت، في زراعات استأصلت ثمن الوقود أعلى من أرباح المشروع كله صار، هذا فقر منسي فجأة، قلت منذ أيام إن ارتفاع الأسعار عشرة أضعاف، يوجد شيء مفتعل بالعالم غير طبيعي، بالمنطق السليم ترتفع الأسعار عشرة أضعاف بإحدى حالتين: أن يزداد المستهلكون عشرة أمثال أو أن تقل المواد إلى العشر، أما لا المواد قلت ولا البشر ازدادوا بهذه النسبة فلماذا كل شيء ارتفع إلى عشرة أضعاف؟

(( بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا؟ أَوْ غِنًى مُطْغِيًا؟ أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا؟ أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا؟ أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا؟ أَوْ الدَّجَّالَ؟ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ؟ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ))

[ أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ]

## الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه:

لذلك أحد مقومات التكليف أنك أنت أعطاك الله الكون، كل شيء في الكون ينطق بوجوده ووحدانيته وكماله، ثم أعطاك العقل كأداة لمعرفة الله عز وجل وفق مبادئه الثلاث مبدأ السببية والغائية وعدم التناقض، ثم أعطاك الله الفطرة مقياساً نفسياً يكشف لك خطيئتك، ثم أعطاك الشهوة كقوة دافعة، ثم أعطاك الاختيار كقيمة مثمنة لعملك، ثم أعطاك الوقت، كغلاف لعملك، الوقت غلاف العمل، فيا أيها الأخوة الكرام، الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

الآن كل ذكائك وكل توفيقك وكل بطولتك وكل فلاحك في إدارة الوقت، والسورة الأصل في هذا الموضوع هي سورة العصر هي سورة الوقت.

## إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ:

الله عز وجل أقسم، وإذا أقسم الله بشيء فهم بالنسبة إلينا شيء عظيم، الوقت هو كل شيء عندنا، بلا وقت لا يوجد شيء، قال تعالى:

﴿ والْعَصْرِ (1) ﴾

( سورة العصر ).

أقسم بمطلق الزمن، لمن أقسم؟ لهذا الإنسان، من هو هذا الإنسان؟ هو الزمن، أقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن فقال له:

﴿ والْعَصْرِ (1) ﴾

( سورة العصر ).

جواب القسم:

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) ﴾

( سورة العصر ).

خاسر:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(25﴾

( سورة الدخان).

## الموت أكبر واعظ للإنسان:

تجد الإنسان يسعى، ويجتهد، ويسهر الليل، ويعمل في النهار، ويخاصم، ويتزلف، ويرجو، ويتضعضع، ويعترض أحياناً، ويتوسل إلى أن اشترى هذا البيت زينه، اشترى مركبة، ثم اشترى مزرعة، حينما يأتيه ملك الموت ينخلع قلبه من كل شيء إلى لا شيء، من أربعمئة متر مع إطلالة ومركبتين، عدة مراكب على الباب،ومكتب تجاري فخم، وطعام نفيس، ومكانة اجتماعية عالية، وسهرات، ونزهات، ولقاءات، وسفر سياحي، إلى قبر، بربكم والله أتكلم بالواقع أنا، في عندنا مقابر في الشام ادخل على أحد المقابر ظهراً وانظر كيف يأتي الميت في نعش هذا كان إنساناً، كان له غرفة نوم، يوجد حمام في البيت، يوجد زوجة، يوجد أولاد، يوجد بنات، يوجد أكلات يحبها كثيراً، له علاقات اجتماعية طيبة، له أذواق عالية، جمع خبرات متنامية، بكفن، انظر إلى القبر، إن في الموت موعظة، بل الموت أكبر موعظة.

## التفكر بالموت يدفع الإنسان إلى الله بسرعة و يمنعه من المعاصي:

مرة شيّعت أحد الأخوة الكرام حينما وضع في القبر، والله يا أيها الأخوة ما وجدت على وجه الأرض أعقل ممن يعد إلى هذه الساعة التي لا بدّ منها، أحد علماء دمشق حدثني أحد إخوانه المقربين اشترى قبراً قبل خمس سنوات في الدحداح وكان يزور هذا القبر كل خميس، يزور قبره هذا ليس تشاؤماً، هذا منتهى العقل، حتى أحد الصالحين حفر في صحن داره قبراً، وصار يضطجع فيه كل يوم خميس، ويتلو قوله تعالى:

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

(سورة المؤمنون)

فيخاطب نفسه ويقول: قومي لقد أرجعناك، أنا والله أتمنى أنت طالب مدرسة، طالب جامعة، وعندك عمل، وعندك أولاد، ما في مانع الموت لا يعيق عملك، أنا أذكر مرة في مطار في أمريكا وجدت شريطاً متحركاً على يمينه حاجز وعلى يساره حاجز، طبعاً الطريق طويل وهذا الشريط وضع كي يسهل على المسافرين الحركة في المطار، وقفت عليه مشى أعجبني، أنا واقف لكني ماشٍ، سرت عليه السرعة

مضاعفة، أسير على شريط متحرك وعن يمين هذا الشريط حاجز وعن يساره حاجز، كيف لمع في ذهني أن هذا الشريط المتحرك مع الحاجزين يشبه التفكر بالموت، بمعنى أن التفكر بالموت يدفعك إلى الله بسرعة أسرع، ويمنعك أن تعصي الله في حاجزين، يسرع الخطا إلى طاعة الله، ويمنع من معصية الله، من هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( أكثروا ذكر هادم اللذات ))**

[ رواه الديلمي عن أنس ].

مفرق الأحباب، مشتت الجماعات.

**(( عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ))**

[ أخرجه الشيرازي والبيهقي، عن سهل بن سعد البيهقي عن جابر ].

الميت حينما يموت هكذا ورد في بعض الآثار: إن روح الميت ترفرف فوق النعش، تقول: يا أهلي، يا والدي، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال مما حلّ وحرم، فأنفقته في حله وفي غير حله، فالهناء لكم والتبعة علي.

## التفكر بالموت يجعل أهداف الإنسان نبيلة:

والله أعرف مجموعة كبيرة جداً من القصص تعد مأساوية أطلعني أخ من أخواني الكرام على بيت بأشهر مصايف دمشق، قال تعال وانظر هذا البيت، بالتعبير الذي يستخدمه من يعمل في هذه الحرفة بر وبحر، صالونات، شرفات، إطلالات جميلة، غرف نوم متعددة، غرف استقبال، مطبخ كبير (المطبخ وحده يساوي بيت صغير)، قال لي صاحب هذا البيت يتمتع بأذواق عالية جداً جداً، وكل شيء أفضل شيء، كل مادة أحسنها، كل جهاز أفضله، قال له: أنا إن شاء الله سأنقل الأغراض إلى البيت يوم الخميس، لكن أحتاج إلى منظم كهربائي، أمن لي هذا المنظم، قال هيأت له هذا المنظم، الخميس ما جاء، الجمعة عطلة، اتصلت السبت سمعت في البيت ضجة غير طبيعية، ثم ردت على الهاتف امرأة، قال أختي ما الذي صار بالنقلة؟ قالت له مات صاحب البيت.

يوم استلامه، من هذه القصة معي عشرات، أين تمشي؟ ادرس خذ دكتوراه أسس معملاً، لكن لا تنسى في موت، لا تنسى في آخرة، لا تنسى في حساب، حساب عن هذا المال من أين اكتسبته؟وفيمَ أنفقته؟ عن عمرك ماذا فعلت به؟ عن شبابك فيما أفنيته؟ عن مالك كيف أنفقته؟ اسأل، الموت لا يمنع العمل، إياكم أن

تفهموا مني أني أدعوكم إلى القعود، الصحابة الكرام كانوا يقدمون أعمالاً مذهلة، لكن وفق الاستقامة، الموت يمنعك أن تعصي الله، الموت يجعل أهدافك نبيلة.

الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، ما من يوم ينشق فجره إلا و ينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد و على عملك شهيد فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

## الوقت رأسمال الإنسان لا يملك أثمن منه:

الآن هذا الوقت الذي هو أنت، هذا الوقت الذي هو رأسمالك، هذا الوقت الذي لا تملك أثمن منه، هذا الوقت الذي هو وعاء عملك كيف تنفقه؟

أَمُر بقرية أهلها جالسون على أحجار أمام البيت، يمر شخص ينظرون إليه، يأتي الثاني ينظرون إليه، ساعتين ثلاثة، والله يا أيها الأخوة عندنا خطأ في استهلاك الوقت يفوق حد الخيال، كلام:

**(( إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ))**

[ مسلم عن الْمُغِيرَة]

جلسات مديدة:

**(( مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً ))**

[ أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

اسمع ماذا يقول هؤلاء؟ كلام سخيف:

**(( إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها ودنيها ))**

[ الجامع الصغير عن سهل بن سعد ]

**﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾**

( سورة الرعد الآية: 28 ).

**(( مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ))**

[ أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

## العاقل من أنفق وقته إنفاقاً استثمارياً لا إنفاقاً استهلاكياً:

الوقت هو أنت إياك أن تنفقه إنفاقاً استهلاكياً، معنى إنفاق استهلاكي جالسين أكلنا، شربنا، نمنا، سهرنا، سررنا، ضحكنا للساعة الثانية، نمنا استيقظنا ثاني يوم، ذهبنا إلى العمل وفي العمل ربحنا وأكلنا وشربنا ونمنا، تستطيع تستيقظ كل يوم كاليوم السابق دائماً؟ مستحيل، مستحيل وألف ألف مستحيل، لذلك أيها الأخوة، مقوم الوقت أخطر مقوم هو أنت، هذا الوقت إما أن ينفق إنفاقاً استهلاكياً كما يفعل معظم الناس اليوم، أو ينفق إنفاقاً استثمارياً، الاستثماري كقوله تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3) ﴾

( سورة العصر ).

## من تدبر آيات الله تعالى و فهم سنة نبيه ربح الدنيا والآخرة:

عندك أربعة بنود إن فعلتها فلست بخاسر، ابحث عن الحقيقة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، ابحث عن سر وجودك، ابحث عن غاية وجودك، ابحث عن الحلال والحرام، افهم كلام الله، تدبر آيات الله، افهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم، اقرأ سيرته، اقرأ عن الصحابة الكرام كيف وصلوا إلى مبتغاهم بسلام.

في جانب اليوم البحث عن الحقيقة، يعني حضور درس علم يغطي هذا الجانب، حضور خطبة الجمعة تغطي هذا الجانب، قراءة كتاب إسلامي جيد رصين تغطي هذا الجانب، طلب العلم توجيه سؤال لإنسان، اسأل، ابحث، لا تكن أقل من بني البشر، لمجرد أنك تلغي طلب العلم من حياتك هبطت عن مستوى إنسانيتك، عندك حاجات سفلى طعام، شراب، زواج، وعندك حاجات عليا طلب العلم، ما لم تطلب العلم فأنت لست بالمكان الذي ينبغي، أنت لست إنساناً يحقق الهدف الذي خلق من أجله.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

( سورة العصر ).

متى آمنت؟ يقول لك: أنا مؤمن أحسن منك، متى آمنت؟ إنسان غارق في النوم، ومن نزهة إلى نزهة، ومن وليمة إلى وليمة، ومن شيء مفرح إلى شيء مفرح، فجأة صار معه دكتوراه، شيء مضحك، الدكتوراه

تحتاج إلى ابتدائي ست سنوات، إعدادي ثلاثة، وثانوي ثلاثة، وأربعة جامعي، وسنة دبلوم، ودبلوم ثانية، وثلاثة ماجستير، وأربعة دكتوراه، في دراسة ثلاثين سنة، حتى تضع دال أمام اسمك، دال فقط.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

( سورة العصر )

## أحد أركان النجاة من عذاب الله عز وجل أن تعرف الحقيقة:

لا بد أن تبحث عن الحقيقة، لا بد أن تعرف لماذا أنت في الدنيا؟ ماذا ينبغي أن تفعل؟ لا بد من أن تعرف الحرام والحلال، والخير والشر، والجمال والقبح، لا بد من أن تعرف منهج الله، يعني ما لم يكن لك برنامج، بربكم هل يوجد بالأرض طبيب من الملاعب للملاهي، فتح عيادة ما دخل مدرسة أبداً يقول: أنا طبيب، هذا مجنون أين الدكتوراه؟، أين الماجستير؟ أين الليسانس؟ أين الثانوية؟ أين الإعدادية؟

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

( سورة العصر ).

أحد أركان النجاة أن تعرف الحقيقة، أنت كائن عندك حاجة عليا، هي العقل فلابد من أن تلبى حاجة العقل العليا.

## حجمك عند الله بحجم عملك الصالح:

الآن:

﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (3) ﴾

( سورة العصر ).

في حركة، ماذا فعلت؟ أكلت وشربت ونمت، ماذا قدمت لآخرتك؟ أعنت إنساناً؟ أطعمت جائعاً؟ كسوت عارياً؟ نصحت إنساناً؟ خدمت إنساناً؟ أطعمت فقيراً؟ دخلت بمؤسسة خيرية؟ ساهمت بشيء؟ ماذا فعلت؟

يتألم الإنسان يوجد ببلاد أخرى أعمال صالحة لا تعد ولا تحصى، يوجد أشخاص عجزة، هناك من يواسيهم يبتغي بهذا وجه الله، يوجد أيتام يحتاجون إلى رعاية، عندنا ميتم، بلغني بعض الشباب يزوروا بعض الأيتام يوجهوهم، يعطوهم شيئاً، شريط، كتاب، موضوع ديني، قدم شيئاً، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح،

بصراحة يا أيها الأخوة الجلوس في الدرس شيء رائع لكن لا يكفي أبداً، يجب أن يكون لكل واحد منكم عمل كبير، عمل والطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (3) ﴾

( سورة العصر ).

## الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم:

لا يكفي:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3) ﴾

( سورة العصر ).

هذه الدعوة التي هي فرض عين على كل مسلم، نصحت، سمعت خطبة نقلت مضمونها لزوجتك، لابنك، لأخيك، لجارك، لصديقك؟

(( بلغوا عني ولو آية ))

[ أخرجه البخاري والترمذي عن ابن عمرو ].

لا بد من أن تبحث عن الحقيقة، ولا بد من أن تعمل وفقها، ولا بد من أن تدعو إليها.

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3) ﴾

( سورة العصر ).

لا بد من أن تصبر على البحث عنها، والعمل بها، والدعوة إليها، الرابعة تغطي الثلاثة:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ (3) ﴾

( سورة العصر ).

الرابعة:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3) ﴾

( سورة العصر ).

يعني صبر على طلب الحقيقة، وعلى العمل بها، وعلى الدعوة إليها.

## من استثمر وقته بعمل صالح فهو إنسان عاقل و ناجح:

هذه السورة فيها أركان النجاة وإلا الإنسان خاسر، واضحة وضوح الشمس:

﴿ وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) ﴾

( سورة العصر ).

إله يقول لك خاسر، في إنسان معه تسعين مليار دولار عمره أربعين سنة، بالآية خاسر:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3) ﴾

( سورة العصر ).

هذه استثمارات الوقت ما دام وقتك مبذول بعمل صالح ناجح، فالح، عاقل، ذكي، ما دام وقتك تنفقه في الدعوة إلى الله ناجح، فالح، عاقل، ذكي، ما دام وقتك تنفقه في طلب العلم، ناجح، فالح، عاقل، ذكي، ما دام تصبر على طلب العلم وعلى العمل به وعلى الدعوة إليه ناجح، فالح، عاقل، ذكي، أما إذا عاش كالناس تماماً أصبح إمعة قال أنا مع الناس هكذا الناس إن أحسنوا أحسنت وإذا أساؤوا أسأت، هذا الإنسان غبي غباء لا حدود له.

## العاقل من جعل الموت ماثلاً بين عينيه في كل لحظة:

أيها الأخوة، موضوع الوقت ثمين جداً، ما مضى فات والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها، الماضي مضى من الحمق البحث في الماضي بخيره وشره، والمستقبل لا تملكه، أنا قصة أرويها كثيراً لكن مناسبة الآن أرويها كنت مدرساً بمدرسة ثانوية، نشأ ساعة فراغ فجائية، وبيتي بعيد لا يحتمل أن أذهب إلى البيت لا بد من أن أمضي هذه الساعة في المدرسة، اخترت أن أمضيها عند مدير المدرسة، وهو صديقي، لما دخلت عليه شكا همومه، وأنه متضايق من هذا البلد، ويريد أن يسافر، وقد طلب إعارة للجزائر، ووافقوا له، قال لي: أذهب إلى هناك، وأرتاح قليلاً، قال لي: المعاش مضاعف، أريد أن أبقى خمس سنوات، لا أريد الرجوع في الصيف، أريد أن أمضي صيفاً في باريس، وصيفاً في إسبانية، وصيفاً في إيطالية، وصيفاً في بريطانية، قال لي: أريد أن أرى البلاد، وأرى متاحفها، وأرى ريفها، حضارتها، وبعد خمس سنوات أرجع فأقدم استقالتي وآخذ التقاعد، وعندما آتي يكون معي مبلغاً من هذا السفر، افتح محل تحف، قال لي: هذا لا علاقة له بالتموين، حديث طويل وأنا أستمع له وانتهى اللقاء وذهبت إلى عملي، انتهى اللقاء، وضيفني كأس شاي، وذهبت للبيت، والله الذي لا إله إلا هو قرأت نعيه في اليوم نفسه.

صلى الفجر بعد الظهر كان تحت التراب، صلى إماماً في الجامع ظهراً العصر كان تحت التراب، قصص لا تعد ولا تحصى، دخل إلى مكتبه يؤلف وجدوه ميتاً في الصباح.

عندنا لقاء مع أحد الأخوة الكرام هذا اللقاء كل أسبوعين، له مصيف في الزبداني وعنده ثاني يوم وليمة دعا أقرباءه كلهم، هو بصحة جيدة لا يشكو من شيء أوى إلى الفراش لم يستيقظ.

كل مخلوق يموت، و لا يبقى إلا ذو العزة و الجبروت:

**و الليل مهما طال فلا بد من طلوع من الفجر**

**والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبـر**

***

**و كل ابن أنثى و إن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول**

**فإذا حملت إلى القبور جنـازة فاعلم بأنك بعدهـا محمول**

***

## أثمن شيء تملكه هو الوقت فعليك أن تحسن إدارته:

هذا الموت ينبغي أن يكون ماثلاً بين عينيك، لا يعييك عملك بالعكس تزداد بالتفكر بالموت انضباطاً، وتزداد بالتفكر بالموت سرعة إلى الله عز وجل، مرة سألوا طالباً نال الدرجة الأولى على طلاب الثانوية في بلدنا سألوه في الصحيفة ما السر في هذا التفوق؟ اسمعوا ماذا قال: لأن لحظة الامتحان لن تغادر مخيلتي طوال العام.

وأنا أقول لكم لحظة الموت، أين أموت في بيتي؟ يجوز، بالطريق؟ يجوز، مرة نازل على المكتب وجدت ميتاً أمام قصر العدل مغطى بقماش، ذهبت إلى مكتبي التجاري حتى الساعة الرابعة عدت مكانه، القاضي الشرعي لم يأت، يا ترى في الطريق؟ في السفر؟ ليلاً؟ نهاراً؟ حولي أولادي؟ وحدي في البيت؟ أين يغسلوني بأي غرفة؟ أين أدفن؟ ماذا يفعل أولادي من بعدي؟ يختلفون؟ يتعاونون؟ يبيعون البيت ماذا يفعلون؟ فكر بالمستقبل أنت ذكي لا تفكر بالماضي، لا تفكر بالحاضر فكر بالمستقبل.

أيها الأخوة، موضوع الوقت لا أعتقد أن هناك موضوعاً أخطر منه، أنت وقت، رأسمالك الوقت، أثمن شيء تملكه هو الوقت وكل عقلك وذكائك وبطولتك أن تحسن إدارة الوقت.

**والحمد لله رب العالمين.**

# 7.3 منزلة الوقت

**بسم اللـه الرحمـن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## ما تعريف الزمن, ولم هو أخطر شيء في حياة الإنسان؟:

أيها الأخوة المؤمنون, مع الدرس الخامس والثمانين من دروس مدارج السالكين, في منازل إياك نعبد وإيّاك نستعين، والمنزلة اليوم هي منزلة الوقت، ولا أُبالغ إذا قلتُ: إنّ الوقت أخطرُ شيءٍ في حياة الإنسان, لأنّه رأسُ ماله الوحيد، ولأنّه أثمنُ ما يملك، بل إنّ الإنسان هو وقت، هو بضعةُ أيّام، كلّما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه.




مفهوم الزّمن مفهوم دقيق ومعقّد، الله سبحانه وتعالى خلق الكون، وجعلهُ متحرِّكًا، قال تعالى:

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس الآية: 40]

والزمن هو البعد الحركي الرابع للأشياء، فالنقطة إذا تحرّكت رسمت خطاً، والخطّ إذا تحرّك رسمَ سطحًا، والسّطح إذا تحرّك رسم حجمًا، والحجم إذا تحرّك شكَّل وقتًا، فكلّ شيءٍ متحرّك يتحرّك ضمن زمن.

بِمَعنى آخر: أنّ الحدث الشيء الذي يقع, لا بدّ له من مكان يحويه، فالإنسان لا يمكن أن يتصوّر حدثًا بلا مكان، يقول لك: فلان هدم بيته، أين بيته؟ فلان مرض ابنه، أين يقيم ابنه؟ فكلّ حدثٍ يحتاج إلى مكان، كما أنّ كلّ حدثٍ يحتاج إلى زمان، مكان يحويه، وزمان يضمُّه، وكلّ حدثٍ يحتاج إلى محدث، وكلّ حدَثٍ يحتاج إلى غاية، فالإنسان لا يفهمُ حدثًا بلا غاية، فالحدَث له مكان زمان ومُحْدِث وغاية, الزّمن أخطر شيءٍ في حياة الإنسان لأنّه وعاء عمله.

## العاقل يرشد استهلاك الوقت:

انظر إلى إنسانٍ يملك الملايين في أوربا وأمريكا أغنياء بأرقام فلكيّة، سبعةٌ وتسعون مليار دولار يملكها شابّ في الثانية والأربعين, هذا لو جاءتْهُ المنيّةُ فجأةً ما قيمة هذا المال؟ الوقت أهمّ من المال، والدليل:

أنّ إنسانًا أُصيب بِمَرضٍ عُضال, وهناك جهة في بعض البلاد الغنيّة, يمكن أن تُجرى له عملية في هذا البلد، لكنّ كُلفة العمليّة بِثَمن بيتِهِ, لا يتردَّد ثانيةً واحدة في بيع البيت, وإجراء العمليّة، ذلك لأنّه مركَّبٌ في أعماقه؛ أنّ الوقت أثْمن من المال, يبيعُ بيته الوحيد الذي لا يملك غيره ليُجريَ هذه العمليّة التي يتوهَّم أنَّها تُمِدُّ في أجله بضْع سنين، هكذا الإنسان.

وكلّنا نعلم أنّ الإنسان إذا أمْسكَ مئة ألف ليرة وأحرقها أمامك, تحكمُ عليه بالسَّفه والجنون والخلل العقلي قطعًا، لأنّ إتلاف المال يُعدّ سفاهةً، وقد قال الله عز وجل:

**﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾**

[سورة النساء الآية: 5]

وبما أنّ الإنسان إذا أتلف مالهُ يُعدُّ سفيهًا، فإذا أتلف وقتهُ فهو أشدّ سفاهةً, فالعاقل يرشّد استهلاك الوقت، كما قال الله عز وجل:

**﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾**

[سورة المؤمنون الآية: 1-3]

عن عملٍ لا قيمة له، عن حديث فارغٍ، عن متعةٍ رخيصةٍ، عن مناقشةٍ لا جدوى منها، عن خصومةٍ لا يعدّ المنتصر فيها منتصرًا، ولا المنهزم منهزمًا، وكم من قضيّة تافهةٍ تستهلك أوقات الناس؟.

## ما أثمن شيء في حياة المؤمن؟:

وقد مرَّ بعض الصالحين بِمَقهى, ورأى فيه أُناسًا يلعبون النَّرْد, فقال: يا سبحان الله! لو أنّ الوقت يُشترى من هؤلاء لاشتريناهُ منهم.




إنّ المؤمن الصادق الذي عرف الله عز وجل، وعرف سرّ وُجوده, وغاية وُجوده، لا يجدُ شيئًا أثمن في حياته من الوقت، ينفقهُ بِتَخطيط دقيق، وحِرْصٍ شديد، ومُتابعةٍ دائمة، لأنّ الإنسان بضعة أيّام, كلّما انقضى يوم منه انقضى بضعٌ منه.

## أين نجد معنى الوقت في القرآن الكريم؟:

ألَيْسَت هذه منزلة من منازل مدارج السالكين؟ أين نجدُ معنى الوقت في القرآن الكريم؟ في سورة العصر، يقول الله تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

[سورة العصر الآية: 1-2]




كيف يخسر؟ مُضيّ الزّمن وحدهُ يستهلكهُ، نحن جميعًا من دون استثناء ينقص عمرنا، كلّ واحدٍ منَّا له نهاية ثابتة، ونحن متحرّكون نحو نهايةٍ ثابتة، كلّ ثانية، وكلّ دقيقة تقرّبنا من هذه النهاية الثابتة، إذًا نحن في خسارة، لأنّ مُضيَّ الزّمن يستهلكنا، هذا الشيء يتّضح, فيمن يستأجر بيتًا سياحيًّا, الأيّام تمضي سريعًا، أوَّل الشّهر وآخر الشّهر, الشّهر الأوّل والثاني والثالث والرابع والخامس ثمّ تفضّل! ينتقل إلى بيت آخر، يقول لك: مَضَتْ عليّ هذه الشّهور كلمْح البصَر.

فلو أنّ إنسانًا استأجر سيّارة, يمرّ الوقت معه سريعًا، فالوقت شيءٌ دقيق جدًّا هو أنت، ورأسُ مالك، ووِعاءُ عملك، والعاقل هو الذي ينفق وقتهُ إنفاقًا مرشَّدًا, إنفاقًا استثماريًّا لا إنفاقًا استهلاكيًّا، قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر الآية: 1-3]

وقتٌ تُمضيه في معرفة الله, هو وقتٌ مستثْمَر وليس ضائعاً، وقتٌ تمضيه في معرفة منهجه, هذا وقتٌ مستثمَر ليس ضائعًا، وقتٌ تمضيه في العمل الصالح, وبِخِدمة الخلق، وفي رعاية الضعيف، وفي رعاية اليتيم، وفي عيادة المريض، وفي تعليم العلم، وفي الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتفقّد الفقراء والمساكين والبائسين، وإقامة بيوت الله تعالى، كلُّ عملٍ يفضي بك إلى الجنّة فعلهُ هو استثمارٌ للوقت، ثمّ كلُّ وقتٍ تتواصى بالحق به مع الناس هو استثمارٌ له، ومصيبة تأتيك وأنت صابرٌ عليها فتتحمّلها، فإنّ وقتَ هذا التَّحمّل مستثمر وليس ضائعًا، هذه السورة تُعَدّ أصلاً في موضوع الوقت الذي ورد ذكرهُ في القرآن الكريم.

## آية أخرى تشير إلى معنى الوقت:

هناك آيةٌ أخرى تُشير إلى معنى الوقت, قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

[سورة البقرة الآية: 148]




الإنسان مخيّر، وهو يُوَلّي وِجهته نحو الخير أو نحو الشرّ، نحو الحقّ أو الباطل، نحو المبدأ أو الشّهوة، نحو خدمة الناس أو استهلاك جُهودهم، خدمتهم أو استخدامهم، نحو إكرام الناس أو ابتزاز أموالهم، الوقت يجري، فاستبقوا الخيرات، قال تعالى:

**﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾**

[سورة البقرة الآية: 148]

أنت في فرصةٍ ذهبيّة محدودة.

تصوّر إنسانًا يؤدّي امتحانًا لمادّة أساسيّة في سنة التخرّج والأسئلة كثيرة، هل يمكن أن يعبث بأشيائه؟

مثلاً: هل رأيتم طالباً في الأرض وهو على منضدة الامتحان يعبثُ بِساعته؟ أو يعدّ ما في جيْبِهِ من مال؟ مستحيل، هو في امتحان، وكلّ دقيقة متعلّقة بِمَصيره, وكلّ دقيقة متعلّقة بعلامة من علامات النجاح.

أنا أضرب لكم أمثلة في أوقاتٍ حرجةٍ، قضيّة وقت الامتحان، ووقت أداء امتحان شفوي، هو أيضاً وقت حرج، كلمة وسارعوا، الوقت كالسّيف إن لم تقطعه قطعَكَ، فالآية الكريمة:

**﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾**

[سورة البقرة الآية: 148]

في أية مكانة أنت، أو في أيّ مكان أنت.

## بيت شعر:

قال الشاعر:

**لا تَأمَنِ المَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلاَ نَفَسٍ وَإِنْ تَمَنَّعْتَ بِالْحُجَّابِ وَالْحَـرَسِ**

**فَمَا تَزَالُ سِهَامُ الْمَوْتِ نَــافِذَةً فِي جَنْبِ مَدَّرِعٍ مِنْهَا وَ مُتَّـرِسِ**

أَرَاكَ لَسْتَ بِوَقَّافٍ وَلاَ حَـذِرٍ   كَالحَاطِبِ الخَابِطِ الأَعْوَادَ فِي الْغَلَسِ

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا   إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى اليَـبَسِ

إنسانٌ غارقٌ في عملٍ لا يُرضي الله تعالى فوافتْهُ المنيّة، هذه مصيبة، وإنسانٌ غارق في المال الحرام فوافتْهُ المنيّة، إنسانٌ غارقٌ في المباحات فوافتْهُ المنيّة، انتقل من كلّ شيء إلى لا شيء.

## ما معنى: سارعوا؟:

معنى ذلك:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: 133]




سارعوا: هنا فيها مَلْمَحٌ للوقت.

الوقت يمضي سريعًا، يوم، ثم أسبوع، ثمّ شهر، ثمّ سنة، وعَقْد، كلّ واحد منكم يسترجع بَعض ذكرياته سنة الثمانين، الآن نحن في سنة ألفين, كيف مضَت هذه السنوات العشرون؟ كلمْح البصَر.

## هكذا يمضي الوقت:

أنا كنت مدير ثانويّة في إحدى المحافظات, دعاني أحدُهم إلى وليمةٍ في هذا المكان، مضى على عملي التدريسي والإداري في هذه الثانويّة ثلاثون عاماً، أكثر الطلاّب أصبحوا بسنٍّ كبيرة، بعضهم أطبّاء، وبعضهم في سلك الجيش، وفي سلك الشّرطة, ثلاثون عامًا كيف مضَتْ؟ بينما كنتُ في هذه البلدة مديرًا

للثانويّة، وبعد زيارتي الثانية بعد ثلاثين سنة، كيف مضَت هذه الأعوام الثلاثون؟ كَلَمْح البصَر، فالوقتُ يمضي سريعاً، نحن كلّنا حاضرون، لكن ما بين غمْضة عينٍ وانتباهها, يُعلّق نعيُه على الجدران –رحمه الله تعالى– لقد كان صالحاً، لم تكن به علّة.

## من هو العاقل؟:




حدّثني أخ, فقال: أنا أُصلّي في أحد مساجد المزّة، وهناك أخٌ يصلّي معنا دائماً، لا يغيبُ ولا يوماً، لكنه ذو دعابة, وكلّ يوم له طرفة, ويُسمِعُني إيّاها في الطريق بعد انتهاء الصلاة، والبارحة خرجنا معاً من المسجد, وكان في حالة عادية جدًّا، بكامل صحّته وحيويّته ونشاطه، بكل تألّقه ومرحه، فَذَكَر بعض الطُّرَف, وذهبَ كلٌّ منَّا إلى بيته، ورأيته ظهراً في بعض مواقف السيارات بدمشق، أقْسَم لي بالله العظيم أنّه صلى عليه بعد العصر, كان معنا في المسجد فجراً، ولمحتهُ ظهراً في موقف السيارات، وصلَّيْتُ عليه صلاة الجنازة وقْت العصر، هكذا الدّنيا, الموت يأتي فجأةً والقبر صندوق العمل.

ما رأيتُ أعقلَ من إنسانٍ يعمل لهذه الساعة التي لا بدّ منها، كلُّ ما تجمّعهُ في الدّنيا تخسرهُ في ثانيةٍ واحدة إلا أن تكون تقيًّا:

**((واكربتاه يا أبتاه، قال: لا كرْب على أبيك بعد اليوم, غدًا نلقى الأحبّة؛ محمَّدًا وصحبهُ))**

## إليكم هذه الآيات التي تشير فيها إلى معنى الوقت:

إذًا: المعنى الثاني للوقت، هو قوله تعالى:

**﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾**

[سورة آل عمران الآية: 133]

الآية الثالثة, قوله تعالى:

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة الحديد الآية: 21]

الآية الرابعة، قوله تعالى:

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾

[سورة طه الآية: 40]

جئتَ في الوقت المناسب، وفي الوقت الذي أنت في أشدّ الحاجة إلى المناجاة:

﴿على قَدَرَ﴾

يعني في الوقت المناسب، لذلك قالوا:

كلّ شيءٍ له أوان، ومن تعجَّل الشيء قبل أوانه عوقِبَ بِحِرمانه، كلّ شيء لهُ أجل، قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ﴾

[سورة العنكبوت الآية: 5]

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[سورة العنكبوت الآية: 69]

## من معاني هذه الآية:




إذا هناك وقت مناسب للعطاء، اُطلُبْ, واصدُقْ, وأَخْلِصْ، وأَلِحَّ في الدعاء، لكنّ الجواب يأتي بِحِكمةِ حكيم في الوقت المناسب.

أحياناً الإنسان يضْجر من بقائه عازباً بلا زوجة، ولكنّ الله عز وجل قد هيَّأ له امرأةً صالحةً تسرُّه إن نظر إليها، وتحفظه إن غاب عنها، وتطيعهُ إن أمرها، هيّأ له هذه الفتاة في وقتٍ مناسب، فالإنسان صابر، ويرضى بقضاء الله

وقدره، فلو تعجَّل الشيء قبل أوانه عوقِبَ بِحِرمانه، قال تعالى:

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾

[سورة طه الآية: 40]

أي جئتَ في الوقت المناسب، وقد قال بعض الشعراء:

نَالَ الْخِلاَفةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

هناك معنى آخر: لمّا جاء موسى برسالة الله عز وجل, كان الناس أحْوَجَ ما يكونون إلى رسالته, وحينما جاءَتْ بعثة النبي –عليه الصلاة والسلام–, كان الناس أحوَجَ إلى بِعْثته، وكلّ شيء يأتي في الوقت المناسب بتَقدير حكيم عليم، إذْ آن أوانُه.

## من تعاريف الوقت:

بعض التعاريف للوقت، قال: ظرف الكون، أي ظرف الفعل، وِعاء العمل، العمل يحتاج إلى مظلّة من وقت، وأرضيّة من مكان، وهذا في اللّغة العربيّة يُسمَّى ظرف مكان وظرف زمان, تقول:

جلسْتُ جنْب النَّهر، فإعراب جنب: ظرف مكان، وسافرت صباحاً، إعراب صباحاً: ظرف زمان, عندنا ظرف مكان وظرف زمان، لكن إيّاك أن تقول: متى كان الله تعالى؟! لأنّ الله خالق الزمان، فلا يُقال متى كان؟ ومتى لم يكن؟ الزمان من خلْق الله عز وجل، فأن تقول: متى كان الله؟ كلامٌ لا معنى له.

أحيانًا الإنسان يتورّط في تَساؤلاتٍ غير صحيحة، يقول لك: الله، هل يعلم ما سيكون؟! الله يعلم ما سيكون يوم الخميس, هذا جعل الله قد احتواه الزمان، الزمان من خلْق الله عز وجل، لا يمكن أن يحْتويَ اللهَ شيءٌ، لا مكان ولا زمان، لذلك قالوا، –والقول منسوب إلى سيّدنا عليّ –كرَّم الله وجهه–:

علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

## أقسام الزمن:

بالمناسبة: شيءٌ بديهي أنّ الزَّمَن أقسامٌ ثلاثة: اللّحظة الراهنة –الساعة التي أنت فيها الآن– وزمنٌ مضى، وزمنٌ لم يأت، والحقيقة الخطيرة: أنّه ما مضى فات، ولا يمكن أن يُستردّ، ولا أن يستعاد.




والعقلاء دائماً لا يفكّرون في الماضي إطلاقًا، كان البيت ثمنه ستّ آلاف ليرة، والآن ثمنه ستّة ملايين, ليتني أخذتُ بيتاً في ذلك الوقت، هذا الكلام فارغ، شيءٌ كان ولن يعود، ما مضى فات.

يقول لك: أيام زمن البعثات سهل، ولو ذهبتُ لرجعْتُ بدكتوراه، وصرت في الجامعة، ما رضيتُ أنا حينها ويندم, الأغبياء دائمًا يتحسّرون، ويندمون، ويجترّون همومهم، ليس من صفة العاقل أن يبحث في ما مضى, فإنّ ما مضى فات, انتهى بِخَيره وشرّه، جملةً وتفصيلاً:

ما مضى فات، والمؤمّل غيب.

يقول لك: غدًا أبيع هذا القدر من العسل, فأشتري به قطيعًا من الغنم، أربّي هذا الغنم، ويتوالد ويكثر، وأبيعه فأُصبح غنياً، ثم أشتري بيتًا، وأخطب فتاةً جميلةً وأتزوّجها، وأُنجبُ أولادًا وسأؤدِّبهم تأديباً دقيقاً, فأمسك العصا وضرب بالقدر فسال العسل عليه، وطارَتْ كلّ أحلامه, هذا هو المستقبل:

ما مضى فات والمؤمّل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها.

فلا نملك إلا هذه الساعة.

ورد في الأثر: أنّه هلك المسوّفون.

المتخلّفون في الحياة دائماً يربط هممهُ العاليَة بِحَدَث مستقبلي لن يصل إليه، يقول لك: بعد أن أُنهي دراستي أُصلّي, علق بالجامعة اثني عشرة سنة، كلّ سنة بثلاث سنوات، ويقول لك: حتى أتزوّج أوّل الصّيف بِمَجيء رمضان:

هلك المسوّفون.

كلّ إنسان يربط توبته إلى الله بِزَمن مستقبلي, هو إنسان ضعيف الإرادة والشّخصيّة، يجبُ أن تتوب في لحظتك الراهنة، أما أن تقول غدًا، فالهمّة تبرد.

## الدنيا ساعة اجعلها طاعة:

قال لي أحدهم: خدمْتُ إنسانًا لِوَجْه الله تعالى، فجاءني مساءً, ووضَعَ لي مبلغًا ضخمًا في ظرف, وقال لزوجته: هذا لفلان نظير خدمته، قال لي: ارتعدت فرائسي، وغضبتُ، وزمْجَرْتُ، ونويتُ توبيخهُ وتعْنيفهُ، وسأُلقي هذا المبلغ في وجهه لأنّه يحتقرني، أنا خدمْتُه لوجه الله، يُعطيني هذا المبلغ نظير خدمتي له، ألا يعرف نزاهتي وإخلاصي؟ في اليوم الثاني وجد نفسه أنّه قد برد، وثالث يوم, قلت: ربّما هذه طيبة نفس، ورابع يوم قلت: دعهم لي, قال: فجاء لصّ فسرقَ كلّ ما في البيت, فعرفْتُ الذَّنْب، هلك المسوّفون، لا تسوّف، نوَيْت أن تفعل الخير افْعَلْهُ فورًا:

ما مضى فات، والمؤمّل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها.

لا نملك إلا هذه الساعة. و:

الدنيا ساعة اجعلها طاعة، والنفس طمّاعة عوّدها القناعة.

## هذا ما قاله الشافعي:

الإمام الشافعي –رضي الله عنه– يقول: صَحِبْتُ علماء القلوب، وانتفعتُ منهم بِكَلِمَتَين، سمعتهم يقولون: الوقت سيف إن قطعتهُ وإلا قطَعَك.

ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام:

**((اغتنم خمساً قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك.**

**–في أثناء الحجّ ما غبِطْتُ أناساً كما غبطْت الشباب في الحجّ، الطواف والسعي يحتاجان إلى جهد، والمتقدّم في السنّ يطوف ويسعى بشكلٍ صعب–.**

**وصحّتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك))**

## ريح الجنة في الشباب:

إنّ زوجي تزوَّجني وأنا صغيرة، ذات أهلٍ ومالٍ وجمالٍ وأولاد، فلمّا كبِرَت سنِّي، وذهب بطني, وتفرّق أهلي، وذهب مالي طلَّقني، كلّ إنسان لا بدّ أن يتغيّر، هو شابّ كله طاقة حيويّة ونشاط، تجد الشاب يصعد الدّرج وينزل في لمح البصر، أما المتقدّم في السنّ فيصعد درجة ويرتاح.

سمعتُ عن رجلٍ, كان شرسًا مع والده, يحملُ بغْلاً، ويصعد به في الدرج إلى أبيه، ويقول له: أعطني دراهمه وإلا ما أنزلتهُ لك، قال لي أحدهم: رأيتهُ في آخر حياته يرجو سائق الحافلة أن ينزلهُ قبل الموقف أمتار، لأنّه لا يستطيع المشي, فالإنسان يتغيّر:

**((اغتنم شبابك قبل هرمك))**




هناك أشخاص يأتون إلى بيوت الله، ولكن في الثمانينات، ليتهم جاؤوا وهم شباب، ما من شيءٍ يحبّه الله كشابّ مؤمن، وما من شيءٍ أكرم على الله.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ, قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

**((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَعْجَبُ مِنْ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ))**

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير, والإمام أحمد في مسنده]

شابّ في مقتبل الحياة, يغضّ بصره، ويضبط لسانه، ويصلّي أوقاته، وينفق مالهُ، ريحُ الجنّة في الشباب، أمّا الآن: فتجد الرَّجُلَ أمضى حياته في المعاصي والآثام والغفلة والتّرَف والفجور، ولمّا دنا منه الموت جاء فصلّى، لم يعد له شيءٌ، فجاء إلى المسجد، ونحن نتمنّى أن نرى الشباب في المساجد, أن نرى الواحد في مقتبل الحياة يصطلح مع الله تعالى، ويُطيع الله عز وجل:

مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

## قف عند هذا الكلام:

هناك كلام لطيف؛ وقد قيل: أنت بين خمسة أيّام: يومٌ مفقود وهو ما مضى، ويومٌ مشهود وهو ما أنت فيه، ويومٌ مورود وهو ساعة الموت، ويومٌ موعود وهو يوم القيامة، ويومٌ ممدود إما في جنّة يدوم نعيمها أو في نارٍ لا ينفذ عذابها، وأخطر هذه الأيّام الخمسة اليوم المشهود، ما أنت فيه.

## قف عند هذا البيت لأحمد شوقي:

الشاعر أحمد شوقي له بيت مشهور:

دَقَّاتُ قَلبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ: إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِ

القلب يدقّ فتوقّف، وانقطع نفسُهُ، جاء الطبيب ووضع المصباح في عينه فما تأثّر، ثمّ جاء بمرآة ووضعها على أنفه, فلا يوجد بخار ماء، أمسك بيدِه فلم يجد نبْضًا، حينها يقول: عظَّم الله أجركم, هل يوجد منّا من لا يصير إلى هذا الحال؟! القلب يضخّ في الساعة ثماني متر مكعّب من الدمّ.

إنسان عاش ستّين سنة تقريباً, يضخّ من الدمّ ما يملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم, لكن عند الموت يصير من أهل الآخرة، وانتهى الأمر.

## الوقت نسبي يطول ويقصر:

أيها الأخوة الكرام, رأى بعضهم الصدّيق –رضي الله عنه– في منامه, فقال له: أوْصني، فقال له: كُنْ ابن وقْتِك.

وقت الفجر في الصّلاة، أما في النهار فهناك عمل صالح، والليل في بيتك، كُنْ ابن وقْتِ.

بالمناسبة: هناك موضوع فرعي، الوقت نسْبي يطول ويقصُرُ، قال بعض الشّعراء الأندلسيّين:

**إِنْ يَطُلْ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكَمْ بِتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكْ**

**دَقِيقَةُ الأَلَمِ سَـاعَهْ وَسـاعَةُ اللَّذَّةِ دَقِيقَـهْ**

أكثركم يسهر مع شخصٍ يحبّه حباً جماً، يبدأ اللّقاء الساعة السابعة، وينتهي الساعة الواحدة ليلاً, كيف مضَت هذه الساعات الخمس أو الستّ؟ كلمْح البصَر، إذا كان هناك انتظار لسؤال وجواب، يمكن خمس دقائق تمرُّ كساعة, فالوقت يخِفّ على المؤمنين، ويثقل على الكافرين، قال تعالى:




﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾

[سورة غافر الآية: 46]

من ستّة آلاف سنة، كلّ سنة ثلاث وخمس وستون يوماً، وكلّ يوم مرّتين صباح مساء، كما قال تعالى:

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾

[سورة غافر الآية: 46]

فالإنسان المؤمن ينوّرُ اللّهُ عز وجل له قبرَهُ، والقبرُ إما حفرة من حفرِ النار، أو روضة من رياض الجنة، فَوَقْت العذاب يطول كثيراً، ووقت السرور يمضي سريعاً، إذا كان أحدُنا عند طبيب الأسنان ولا يتحمَّل قلبهُ البنج، وفي أثناء حفر السنّ وصل إلى العصب، فلو استمرّ الحفر دقيقة, لكان بالنسبة للمريض ساعة، دقيقة الألم ساعة، وساعة اللذّة دقيقة، فالوقت يطول ويقْصُر.

## من سير الصالحين:

كان أحد علماء دمشق الأجلاّء عنده معهد شرعي، الله عز وجل أمدَّ بعُمُرِه، وقد قال عليه الصلاة والسلام كما في حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ, أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ:

**((يَا رَسُولَ اللَّهِ, مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ))**

[أخرجه الترمذي في سننه]




كان يرى الشابَّ في الطريق فيقول له: يا بنيّ، أنت تلميذي، وكان أبوك تلميذي، وكان جدّك تلميذي, عاشَ سِتّةً وتسعين عاماً، وبدأ بالتدريس في الثامنة عشر، وتوفّي في الثامنة والتّسعين، ثمانون سنة في تدريس أجيال تلو أجيال، وكان منتصب القامة، حادّ البصر، ومرهف السّمع، لم تسقط له سنٌّ وكان حيويًّا ونشيطًا، وإذا سئِلَ: ما هذه الصحّة التي حباك الله بها؟ يقول: يا بنيّ, حفظناها في الصّغَر فحفِظَها الله علينا في الكِبَر، من عاش تقيًّا عاش قويًّا.

وكلٌّ منّا يطمح أن يجعله الله في صحّة تامّة في خريف عمره، وهذا يحتاج إلى تقوى لله عز وجل واستقامة، وإنَّ هذه الجارحة إن حفظتها حفظها الله لك, والعين إذا بكَتْ من خشْية الله, فإنّ الله عز وجل يضْمنها لك أن تبقى سليمةً إلى نهاية الحياة، وكذا السّمع والأُذن واللّسان والبصر.

## من أدعية النبي:

والدعاء الشريف: عَنِ ابْنَ عُمَرَ قَالَ:

**((قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ, حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ, وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ, وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا, وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا, وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا, وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا, وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا, وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا, وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا, وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا, وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا))**

## نهاية المطاف:

أيها الأخوة، الوقت كالسّيف إن لم تقطعهُ قطَعَك، الوقت هو أنت، كلّما انقضى يوم انقضى بضْعٌ منك، الوقت رأسُ مالك الوحيد، الوقت أثْمَنُ شيءٍ تملكهُ، الوقت وِعاءُ عملك، والمؤمن يرشّد استهلاك وقته،

ولا يستهلك وقته إلا فيما يُجْدِي، بل إنّ النبي –عليه الصلاة والسلام– بهذا العمر القصير, ثلاث وستون سنة قلبَ وجْه الأرض، ونشر الحقَّ في المشرقين والخافِقَيْن، وفي أطراف الدنيا، لذلك أقسم الله بعُمُرِهِ, فقال تعالى:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 72]

**والحمد لله رب العالمين.**

## 7.4 الوقت ملك لمن يملكه

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

### الوقت هو البعد الرابع للأشياء:




أيها الأخوة الكرام، مع موضوعٍ جديد من موضوعات: "سبل الوصول وعلامات القبول"، ولعل هذا الموضوع من أخطر الموضوعات في حياة الإنسان، إنه الوقت، لأن الإنسان وقتٌ، بضعة أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه، ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها.

**(( ما من يومٍ ينشق فجره إلا وينادي: يا بن آدم**

**أنا خلقٌ جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني لا أعود إلى يوم القيامة))**

[ ورد في الأثر ]

فأنت وقت، من أدق تعريفات الإنسان عند الإمام الجليل الحسن البصري أن: "الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه"، لو أن واحداً منا عمره عند الله ثلاثاً وسبعين سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أسابيع، وأربعة أيام، وسبع ساعات، وأربع دقائق، وثماني ثواني، كلما مضت ثانية مضى بضعٌ منه، كائن متحرك إلى هدف ثابت.

لذلك قالوا: النقطة إذا تحركت رسمت خطاً، والخط إذا تحرك رسم سطحاً، والسطح إذا تحرك شكّل حجماً، والحجم إذا تحرك صار وقتاً، فالوقت هو البعد الرابع للأشياء كيف؟

أي شيء مادي له أبعاد ثلاث، له طولٌ، وعرضٌ، وارتفاع، لكن الله سبحانه وتعالى جعل الكون متحركاً، لولا حركته لأصبح كتلةً واحدة، لأنه من خلال هذه الحركة تنشأ قوى نبذ تكافئ قوى الجذب، فهذا الكون على عظمته متحرك.

الآن الوقت هو البعد الحركي للأشياء، فالشيء إذا تحرك تبدلت خصائصه، اللون مع مضي الوقت يختلف، المتانة تختلف، المنظر يختلف، الإنسان يختلف، انظر إلى صورتك في السنوات العشر الأولى وانظر إليها في السبعينات، الفرق كبير جداً، هذا هو الوقت، الوقت هو البعد الرابع للأشياء.

## ما مضى فات والمؤمل غيب وللإنسان الساعة التي هو فيها:




أيها الأخوة، النقطة الدقيقة: أن الإنسان بين وقت مضى، ووقتٍ لم يأتِ بعدُ، وبين اللحظة الراهنة، الوقت الذي مضى لا جدوى منه، الحديث عنه مضيعةٌ للوقت، معظم الناس يتحسرون على وقتٍ مضى، يقول لك: الأرض كانت بسعر، الآن أربعمئة ضعف، وكان بإمكاني أن أشتري أرضاً، يمضي حياته في الندم.

مما أُثر عن سيدنا الصديق أنه ما ندم على شيءٍ فاته من الدنيا قط، فما مضى فات، الذكي، العاقل لا يتحدث عن الماضي أبداً، لأنه مضيعةٌ للوقت، ما مضى فات والمستقبل غيب، لا تملكه، أنت إذاً لا تملك إلا اللحظة الراهنة، ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها.

لذلك الإنسان إذا قال: سوف أفعل كذا، ورد في بعض الآثار:

**((هلك المسوفون ))**

[ورد في الأثر]




سأفعل كذا، لا تملك المستقبل، أنا لا أصدق أن واحداً وافته المنية إلا وفي تصوراته أن هناك قائمةً من الأعمال لابدّ من أن ينجزها، مات ولم ينتهِ شيء بعد، لا يوجد إنسان بالقبر إلا كان في باله خطط، ومشاريع، وطموحات، وأعمال للمستقبل.

والحديث البارحة أن الإنسان ضمن مربع، هذا المربع هو أجله، وهناك خط ينطلق من هذا المربع إلى خارج المربع، فالذي إلى خارج المربع هو أمله، والأمل في الدنيا مهلك.

النقطة الأولى: ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها.

فالبطولة الآن، غداً سأتوب، بعد انتهاء الامتحان سأتوب، بعد الزواج سأتوب، بعد أن أبلغ من الكبر سناً معيناً سأتوب.

**(( هلك المسوفون ))**

ما مضى فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها، هذه الحقيقة الأولى.

## الوقت والمال أهم شيئين في حياة الإنسان:

الحقيقة الثانية: أنه لا يتصور وقوع حدثٍ إلا له مكان، ويظله زمان، وهناك محدث، وهناك غاية، أي حدث يقع على وجه الأرض لابدّ له من مكان، ولابدّ له من زمان، ولابدّ له من محدث، ولابدّ له من غاية.

لذلك هناك شيء اسمه الوقت، وشيء اسمه المال، أهم شيئين في حياة الإنسان مركزٌ في أعماق أعماق الإنسان أن الوقت أثمن من المال، الدليل، لا سمح الله ولا قدر لو أن إنساناً أصابه مرضٌ عضال، وأن كلفة العملية الجراحية في بلاد الغرب تساوي ثمن بيته الوحيد الذي يملكه، أؤكد لكم بالمئة ألف حالة من بني البشر لا يتردد الإنسان ثانية واحدة في بيع بيته الوحيد، وإجراء العملية، متوهماً أنه سيعيش بعض السنوات فضلاً عن وضعه الراهن.




إذاً مركبٌ في أعماقنا أن الوقت أثمن من المال، وهذا شيء يفعله كل إنسان يبيع بيته لإجراء عملية جراحية تمد في حياته بضع سنوات.

دقق الآن، لو أن هناك إنساناً وقف أمامنا، وأمسك خمسمئة ألف وأحرقها، إذا شاهده ألف إنسان، كم واحد من هؤلاء الألف يحكم عليه بالجنون أو السفه؟ الجواب الألف، خمسمئة ألف تحل بها مشكلات كثيرة، تحرقها! لذلك قالوا: إتلاف المال يعد سفهاً.

## الوقت أثمن من المال والإنسان لا يتفوق إلا إذا أحسن إدارة وقته:

الآن الحقيقة الخطيرة: لأن الوقت أثمن من المال، فيعد إتلاف الوقت أشد سفاهاً من إتلاف المال، سهرة، كلام فارغ، حديث بلا طائل، طُرف سخيفة، تبادل تهم، غيبة، نميمة، مسلسل، هذا الوقت الذي هو أنت، هذا الوقت رأسمالك الوحيد، هذا الوقت الذي لا تملك أثمن منه، لابدّ من ترشيد استهلاكه، وبالتعبير المعاصر: لابدّ من إدارة الوقت، يجب أن ترسم لك برنامجاً دقيقاً بحيث لا



تضيع ساعة، هل تصدق أن واحداً من الناس جاء إلى الدنيا وغادرها وعمت رسالته الخافقين؟ إنه رسول الله، أنا لا أتصور أن هذا النبي العظيم ضيّع دقيقةً من حياته، لذلك استحق أن يقسم الله بعمره، قال تعالى:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[ سورة الحجر ]

والله أيها الأخ، لو عرفت قيمة الوقت لا تسمح لنفسك أن تضيع ساعة بلا طائل، كلام فارغ، لقاء تافه، عمل سخيف، حديث فارغ، تراشق تهم، غيبة، نميمة، الوقت ثمينٌ جداً لأنك وقت، لأن رأسمالك هو الوقت، لأن أثمن شيء تملكه هو الوقت، والله يا أخوان ملايين مملينة يستهلكون أوقاتهم استهلاكاً رخيصاً، لذلك الآن هناك شيء اسمه إدارة الوقت، والإنسان لا يتفوق إلا إذا أحسن إدارة وقته.

## على الإنسان الابتعاد عن اللغو الذي لا جدوى منه:

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[ سورة المؤمنون ]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾

وأفلح وردت في القرآن في بضع آياتٍ لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾

[ سورة الأعلى ]

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

[ سورة المؤمنون ]

قال بعضهم: الخشوع في الصلاة ليس من فضائلها بل من فرائضها:

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾

[ سورة المؤمنون ]

اللغو كلام فارغ، لقاء سخيف، حديث بلا طائل، كلام معاد، كلام مكرر.

## المؤمن الصادق يعرف قيمة الوقت فيرشد استهلاكه:




أيها الأخوة، المؤمن الصادق عرف قيمة الوقت، فرشد استهلاكه، وصرفه في عملٍ ينفعه بعد الموت، أي شيءٍ تفعله للدنيا مضيعةٌ للوقت، لأن الدنيا تتركها وتذهب، هناك مقياس واحد، أي عمل تفعله يدخل معك إلى القبر هذا هو المجدي، أعمال لا أقول هي حرام، لكن الشيطان . كما كنت أقول . يوسوس للإنسان بالكفر، فإن رآه على إيمانٍ وسوس له بالشرك، فإن رآه على توحيد وسوس له بالكبائر، فإن رآه على طاعة وسوس له بالصغائر.




فإن رآه على ورع بقي مع الشيطان ورقتان رابحتان، وسوس له بالتحريش بين المؤمنين، هذه الخصومات بين الجماعات الإسلامية من فعل الشيطان، هذه الخصومات التي تعود لأسبابٍ تاريخية، والدماء سالت من أجلها من فعل الشيطان، وسوس له بالتحريش بين المؤمنين، فإن لم يفلح بقي معه ورقةٌ رابحة كبيرة، ورقة المباحات، استهلك وقته في تحسين دنياه، ويأتي الموت فينهي كل شيء، تصور إنساناً من لا شيء صار شيئاً، حسّن، رتّب، ارتقى بيته، ارتقت مركبته، ارتقت مكانته، وهو صاعد يقف القلب، بثانيةٍ واحدة يخسر كل شيء، لو أن كل نشاطه في الدنيا فهو أكبر مقامر، وأكبر مغامر، لأن البيض وضعه في سلةٍ واحدة، أما إنسان له عمل للآخرة، له عمل صالح، له إنفاق مال، له دعوة إلى الله، له نشر علم، له إطعام المساكين، له منشآت أسسها في سبيل الله، هذا إنسان عرف قيمة الوقت.

صدقوا أيها الأخوة أن المؤمن أشد الناس طموحاً، فلذلك المؤمن الصادق إذا عرف سرّ وجوده، وغاية وجوده، لا يجد شيئاً أثمن من الوقت، يستهلكه بحذرٍ شديد، وبترشيدٍ بالغ، وليس عنده وقتٌ للكلام الفارغ، ولا للمشاحنات، حتى الجدال، المؤمن يدع الجدال.

## الإنسان مخير و هو في قبضة الله عز وجل:

الآن:




﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

[ سورة البقرة الآية: 148 ]

الإنسان مخير:

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾

[ سورة البقرة الآية: 148 ]

نحن في قبضة الله،

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا ﴾

أي في أية مكانةٍ كنتم، وفي أي مكانٍ كنتم.

**لا تأمن الموت في طرف ولا نفس وإن تمنعت بالـحجاب والحرس**

**فما تزال سهام الـموت نافذة فـي جنب مدّرع منها و مترس**

**أراك لـست بوقاف ولا حذر كالحاطب الخابط الأعواد في الغلس**

**ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس**

* * *

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

الآن الوقت،

﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾

سبحان من قهر عباده بالموت.

﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾

[ سورة الغاشية ]

## معاني الوقت في القرآن الكريم:

أيها الأخوة، من معاني الوقت في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا ﴾

[ سورة آل عمران الآية: 133 ]

أي سابقوا:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[ سورة آل عمران ]




لو أن شريطاً متحركاً يمشي، والناس على هذا الشريط، هذا مضي الوقت، لو أنت خرجت عن الشريط ووقفت، أنت واقف لكن الآخرين سبقوك، أنت واقف وقوفك تراجع، لأن الحركة ماشية، كل إنسان له عمل صالح، يعبد الله، يفعل الخيرات، يصوم، يدعو إلى الله، ينفق ماله في سبيل الله، يطعم الجائع، يكسو العاري، يرعى يتيماً، العمل الصالح حركة، والذي ليس له عمل واقف، فهو في مؤخرة الركب، بالنهاية حجمك عند الله بحجم عملك الصالح.

لذلك كلمة:

﴿ وَسَارِعُوا ﴾

فيها ملمح للوقت، بالنهاية هناك عاقل، وهناك ذكي، وما كل ذكي بعاقل، قد تحمل أعلى شهادة في العالم، قد تحمل دكتوراه من أكبر دولة متطورة بالفيزياء النووية، ما دمت ما عرفت سرّ وجودك، ولا غاية وجودك، ولا عرفت أنك مخلوقٌ للجنة، وأن هذه الدنيا دار عمل، فأنت ذكيٌ ولست عاقلاً، ما كل ذكي بعاقل،

الأذكياء كثر، إن الله يعطي الصحة، والذكاء، والمال، والجمال، للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين.

## آيات متعلقة بالوقت:

آيةٌ أخرى متعلقة بالوقت:

**﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾**

[ سورة الحديد ]

آيةٌ أخرى متعلقة بالوقت:

**﴿ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾**

[ سورة طه ]

جئت في الوقت المناسب، لذلك قالوا: لكل شيءٍ أوان، فمن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، أي هناك وقت تتزوج فيه، وهناك وقت تعمل به، لكن ما دام الإنسان مهملاً، أعماله لا يهتم بها، لا يوجد تخطيط، وأنا أقول دائماً: إما أن تخطط، وإما أن يُخطط لك، إما أن تكون رقماً صعباً تخطط، أو أن تكون رقماً تافهاً في خطة عدوك، فالأمر ليس بالسهولة بمكان، الأمر يحتاج إلى وقفة، إلى تأمل، إلى بحث فيما مضى، في المستقبل، في سرّ الوجود، في غاية الوجود، قال تعالى:

**﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ ﴾**

[ سورة العنكبوت الآية: 5 ]

والآية متعلقة بالوقت:

**﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآَتٍ ﴾**

[ سورة العنكبوت الآية: 5 ]

فهناك مراحل، وهناك وقت مناسب، وهناك نضج، الإنسان عليه أن يبدأ.

## نية المؤمن خيرٌ من عمله:

لكن من عظمة هذا الدين أنك إذا سرت في طريق الإيمان في أي وقت، لو جاءت المنية لكتب الله لك أجر النهاية، في الدنيا لا بدّ من إنجاز، لكن في الآخرة يكتب لك نيتك، لذلك نية المؤمن خيرٌ من عمله، أنت مشيت في طريق الإيمان، ما نهاية الطريق؟ لك أجر نهايته:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[ سورة العنكبوت ]

## تعاريف الوقت:

أيها الأخوة، من تعاريف الوقت: الوقت ظرف الكون، هناك كون، وهناك وقت يحتويه، الوقت وعاء العمل، لذلك لا يوجد عمل بلا وقت، الإنسان الذي فرط في حياته الدنيا:

﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

[ سورة الفجر ]




فالوقت ظرف العمل، الوقت وعاء الكون. أيها الأخوة، عندنا باللغة ما يسمى ظرف مكان، وظرف زمان، تقول: جلست جانب النهر، جانب إعرابه مفعول فيه ظرف مكان، سافرت عصراً، العصر ظرف زمان، فلابد لكل حدثٍ من ظرف مكانٍ، ومن ظرف زمان.

لذلك الله عز وجل لا يقال: متى كان الله؟ لأنه خالق الزمان، سيدنا علي يقول: "علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون" فالزمان من خلق الله، الله عز وجل محيطٌ بكل شيء، أما نحن محاطون بالزمن، أنت تقول: أنا غداً سأسافر، أنت ضمن الزمان.

## اللحظة التي يعيشها الإنسان هي أخطر شيء في حياته:

أيها الأخوة، الشيء الخطير هي اللحظة التي تعيشها، لذلك قالوا: هناك يومٌ مفقود هو الماضي، ويومٌ مشهود، ويوم موعود، ويومٌ مورود، ويومٌ ممدود، فالوقت المفقود هو الماضي، ولا جدوى في الماضي إطلاقاً، والوقت المشهود هو الوقت الحاضر، هو أثمن وقت تملكه، الآن: نويت أن أتوب الآن، نويت أن أعطي هذه الصدقة الآن، الوقت الموعود الموت، الوقت المورود يوم القيامة، والوقت الممدود الأبد، إما في جنةٍ يدوم نعيمها، أو في نارٍ لا ينفذ عذابها، لذلك من أدق أدق الأحاديث الشريفة المتعلقة بالوقت:




**(( اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك ))**

[ أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عباس ]

مرة قال لي إنسان: أنا . سبحان الله . قبل خمسين سنة كنت أنشط من الآن، طبعاً، الشباب غير الشيخوخة، والله كنت في الحج عندما أجد الشاب يسعى بنشاط أغبطه، لا تحج من فوق الخامسة والستين، حج وأنت شاب:

**(( اغتنم خمساً قبل خمس؛ شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك ))**

[ أخرجه الحاكم، عن عبد الله بن عباس ]

أنت لم تتزوج بعد، عندك وقت فراغ كبير، اطلب العلم، غداً يوجد زوجة، و أولاد، وحمل، و ولادة، وتأمين حاجات الأولاد، لذلك الزواج مشغلة، ومجبنة أحياناً، الشباب قبل الهرم، الصحة قبل المرض، الفراغ قبل الشغل، الحياة قبل الموت.

## الوقت من أخطر القضايا في حياة الإنسان:

أيها الأخوة الكرام، قضية الوقت من أخطر القضايا التي ينبغي أن تعالج، يقول النبي الكريم:

**(( إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة ))**

[ أخرجه أبو يعلى والطبراني والإمام أحمد عن عقبة بن عامر ]

هذا الشاب الذي عرف قيمة الوقت، ما ضيّع وقته أبداً في القيل والقال، إن الله كره لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكره لكم كل شيءٍ يضيع الوقت.

أيها الأخوة الكرام، لا شك أن هذا الدرس متعلق بالوقت، وأن الوقت هو أثمن شيءٍ يملكه الإنسان.

**والحمد لله رب العالمين.**

# الفصل الثامن: الوقت من مقومات التكليف

## 8.1 الإيمان يترجم إلى عمل صالح

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثاني والثلاثين من دروس العقيدة والإعجاز.

### كل إنسان مكلف أن يعبد ربه عز وجل:

كنا في الدرس الماضي في موضوع الوقت كأحد مقومات التكليف، وقد كلف الإنسان أن يعبد ربه، و العبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية. وحينما كلف الله الإنسان أن يعبده أعطاه مقومات التكليف، أعطاه كوناً ينطق بوجوده ووحدانيته وكماله، أعطاه عقلاً يتعرف به إلى الله عز وجل، أعطاه فطرة يكشف خطأه، أعطاه شهوة تحركه، أعطاه اختياراً يقيّم عمله، ثم أعطاه وقتاً هو وعاء عمله.

### العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان:




أيها الأخوة الكرام، الإيمان له ثمرة، آمنت بالله وبرسله وكتبه واليوم الآخر، آمنت بالله خالقاً ومربياً ومسيراً، آمنت بالله موجوداً وواحداً وكاملاً، آمنت بأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، ماذا بعد الإيمان؟ إذا اكتفيت بالإيمان هذا الإيمان لا يقدم ولا يؤخر، ولا يرفعك عند الله درجة لأن إبليس اللعين آمن:

﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾

( سورة ص الآية: 82 )

وقال:

﴿ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

( سورة الأعراف )

وقال:

﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾

( سورة الأعراف الآية: 12 )

﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾

( سورة الأعراف الآية: 12 )

الإيمان له ثمرة، إن لم تكن ليس هناك إيمان، الإيمان يترجم إلى عمل صالح، العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، أو ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن حتى تعبر عن ذاتها بحركة، المؤمن متحرك، يقف موقفاً، يعطي لله، يمنع لله، يصل لله، يقطع لله، يرضى لله، يغضب لله، يوجد حركة، إيمان سكوني سلبي إعجاب، تعظيم، لا يقدم ولا يؤخر، ولا يتحرك، ولا ينصر، ولا يأخذ موقفاً، ولا يعارض، ولا يسالم، سلبي، وهذا شأن المسلمين موقف سلبي، إما أن ترى مؤمناً متقوقعاً لا يشارك بشيء، أو أن ترى مؤمناً سلبياً لا يفعل شيئاً.

## من أراد لقاء الله عز وجل فليعمل عملاً صالحاً يُدخله الجنة:

لذلك ما إن تستقر حقيقة الإيمان في قلب المؤمن حتى تعبر عن ذاتها بحركة، يعني عاد مريضاً، نصح أخاً، أطعم جائعاً، حضر درس علم، نصح شارداً، وفق بين اثنين، رعى يتيماً في حركة، من دون حركة لا يوجد شيء، لو صحّ إيمانك.

لو أن إنساناً معه مرض جلدي، شفاؤه الوحيد التعرض لأشعة الشمس، قابع في غرفة قميئة ومظلمة ورطبة قوله: يا لها من شمع ساطعة، يا لها من شمس شافية، كل هذا الكلام لا يقدم ولا يؤخر، لو تحدثت عن الشمس إلى يوم القيامة لا يمكن أن تشفى إلا إذا تحركت، من هنا قال الله عز وجل:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ (6) ﴾

( سورة فصلت )

الآن سيأتي تلخيص القرآن الكريم كله:

﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا (110)



( سورة الكهف)

تريد لقاء الله عز وجل اعمل عملاً صالحاً، والإنسان على شفير القبر على أي شيء يندم؟

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾

( سورة المؤمنون الآية: 100 )

أنت كائن متحرك، والحركة يعني عمل صالح، والوقت غلاف هذه الحركة، وعاء عملك وقت.

## العمل الصالح ينبعث عن دوافع ويتجه إلى أهداف ويتعاون عليه المؤمنون:

أيها الأخوة الكرام، العمل الصالح ليس فلتة عارضة، ولا نزوة طارئة، ولا حادثة منقطعة، إنما ينبعث عن دوافع ويتجه إلى أهداف ويتعاون عليه المؤمنون، العمل الصالح أعظم ما في الحياة، أنت خلقت في الدنيا من أجل أن تعمل عملاً صالحاً يكون سبباً لدخول الجنة، بعد الإيمان بالله لا شيء يعلو على العمل الصالح، يعني الإيمان كما ترون أحياناً ليس انكماشاً ما له علاقة بشيء، لا يعمل شيئاً، لا يقدم شيئاً، لا يتدخل إطلاقاً، لك أخت على خلاف مع زوجها لا علاقة لي، لك مكانة عند زوجها ولك مكانة عندها، ادخل بينهما، وإن كان مثل بعيد عن موضوعنا التدخل من دولة خليجية لحلّ مشكلة لبنان أليس جميع الناس مرتاحون لهذا؟ لو أننا اتفقنا من زمن طويل لكان موقف العالم منا موقفاً آخر.

العمل ليس انكماشاً، الإيمان ليس انكماشاً ولا سلبية ولا انزواءً ولا تقوقعاً، الإيمان حركة خيرة نظيفة، عمل إيجابي هادف، عمارة للأرض متوازنة، بناء شامخ كالجبال يتجه إلى الله ويليق بمنهج الله، ورحم الله سيدنا عمر بن عبد العزيز حينما قال: " الليل والنهار يعملان فيك ".

بصراحة مؤمن بلا عمل لا وزن له عند الله إطلاقاً، أكلنا وشربنا وسهرنا وتابعنا مسلسلات وضحكنا وصار في سرور بهذه الجلسة وعملنا سيران، إلى أن يشعر الإنسان بشيء في جسمه غير طبيعي يقول لك وغزة ألم في اليد اليسرى، إلى المستشفى عناية مشددة، الآن يقول:

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾

( سورة المؤمنون الآية: 100 )

## العمل الصالح يرقى بالإنسان يوم القيامة:




أيها الأخوة الكرام، إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما عملاً صالحاً، أريد أن أكون صريحاً مع نفسي ومعكم، آلاف الأعمال يفعلها معظم الناس تصب في النهاية في مصالحك، اشتريت ثياباً، اشتريت طعاماً، سكنت في بيت، رتبت البيت، تزوجت فرضاً، أنجبت أولاداً، هذه كلها أشياء مألوفة، أي عمل فعلته من أجل الله؟ ابتغاء مرضاة الله، تبتغي به وجه الله، تدخره عند الله، هذا العمل الصالح هو الذي يرقى بك يوم القيامة، والوقت الذي نحن بصدده كإحدى مقومات التكليف هو وعاء عملك، اسأل نفسك أنا ماذا فعلت؟ استطعت أن تأخذ بيد إنسان إلى الله؟ لك صديقك هل اهتممت فيه؟ زرته، أقنعته يحضر درس علم؟ قدمت له شريطاً يسمعه؟ حللت له مشكلة؟ لك حركة بإقناع الناس بالتوبة؟ لك أب وأم كنت باراً بهما؟ لك أخوة أصغر منك رعيت هؤلاء الأخوة؟ ما عملك؟

والله أيها الأخوة الكرام، أحياناً الإنسان يبحث عن عمل صالح يجد نفسه فقيراً، كل حركته لمصلحته أما شيء لله لا يوجد.

## من تقييمات العمل الصالح اتساع رقعته و امتداد أمده:

أيها الأخوة الكرام، الآن عملك يا ترى إطعام؟ يا ترى دعوة؟ يا ترى تأليف كتب؟ يا ترى إصلاح بين الناس؟ ما نوع عملك؟ هذا العمل سنقيّمه، أول تقييم كلما اتسعت رقعة العمل، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إنسان واحد جاء إلى الدنيا وغادرها ومكث يدعو قومه سنوات معدودة وانتقل إلى الرفيق الأعلى، تذهب للصين ترى خمسين مليون مسلم، تذهب إلى إفريقيا إلى أي دولة في إفريقيا في دول بالمئة تسعين، ثمانين، بجنوب إفريقيا، بأي مكان في العالم يوجد مسلمون والإسلام ينمو، فهذا العمل الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم رقعته واسعة جداً تقريباً تغطي ربع مساحة الأرض، المسلمون يحتلون نسبة ربع سكان العالم في ستة آلاف مليون، المسلمون مليار وخمسمئة مليون، إنسان واحد جاء بهذا الدين فاتسعت رقعة هذا

الدين من المغرب إلى الأطلسي إلى الصين، إذاً أحد تقييمات العمل الصالح اتساع رقعته، أحد تقييمات العمل الصالح امتداد أمده، في عمل ينتهي بعد ساعة أطعمت إنساناً وجبة طعام أكلها وشكرك وانتهى، العشاء جوعان انتهت وجبته، إنسان علّم إنساناً شيئاً كلما فعل شيئاً يدعو لك.

مرة أحد أخوانا الكرام توفي رحمه الله عنده معمل حلويات دخل إلى دكانه رجل من أقصى البلاد وغير مسلم، قال له تعلمني صناعة الكاتو؟ قال له تكرم، أدخله ورحّب به وصنع أمامه طبخة كاملة، ما اكتفى، طبعاً كتب، قال له افعل طبخة ثانية أمامي، يقسم بالله لثلاثين عاماً يأتيه من طرف سوريا الشمالي الشرقي من الحسكة إلى الشام ليشكره، عمل عملاً دلّ شخص على حرفة عاش منها وما سأله أنت من أين، عبد لله عز وجل:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (8) ﴾

( سورة المائدة )

حدثني طبيب أسنان جاءته مريضة تحتاج إلى تقويم لأسنانها، وهي معلمة، ودخْلها محدود جداً، كلما ابتسمت تبسم من أمامها، في تشوه، والمبلغ فوق طاقتها، فبعد أن اعتذرت عن متابعة المعالجة للرقم الكبير ناداها، قال: هل تقبلين هذا التقويم هدية مني؟ قالت له الله يجزيك الخير، يقسم لي بالله العظيم أنه أمضى ستة أشهر وكأنه في الجنة لأني قدمت عملاً بلا أجر لوجه الله عز وجل.

## من خدم الآخرين ادخر هذا العمل عند الله ليوم القيامة:




لك عمل من دون مقابل لا شكر ولا حمد ولا أبيض ولا أسود ولا أصفر ولا أخضر لوجه الله، هل خدمت إنساناً لوجه الله؟ هذا العمل تدخره عند الله. أعظم عمل ما كان متسع الرقعة وما كان طويل الأمد، زارنا إنسان من الصين فالمرافق له كان أحد إخواني وجد الوضع غير طبيعي قال له، كأن في عطلة عندكم، قال نعم، قال ما المناسبة؟ قال له في لنا نبي كريم هذا اليوم عيد مولده، قال له منذ

كم سنة؟ قال منذ ألف وخمسمئة سنة، صعق منذ ألف وخمسمئة سنة ومازلتم تذكرونه؟ طبعاً، العمل الصالح امتداده مديد.

الآن اتساع الرقعة، الامتداد، التغلغل بأعماق النفس، تجد إنساناً يحضر درس علم لكن ليس ملتزماً، سمع مئة مرة أن لعب النرد حرام يقول لك: الآن ضاق خلقنا حتى الساعة الثانية ليلاً يلعب طاولة وهذه حرام ما سأل، الأثر ما كان عميقاً، أحياناً تنصح إنساناً يصل تأثيرك إلى أقصى أعماق نفسه، أبداً ورع، نريد عملاً صالحاً يمتد أمده، وتتسع رقعته، ويتعمق تأثيره، إذا عندك مثل هذا العمل هنيئاً لك، أمده طويل رقعته واسعة تأثيره عميق.

## في آخر الزمان يزداد الأجر حينما تفسد المجتمعات:

الآن صفات العصر، ما علاقة هذا العصر بالأعمال الصالحة؟ في صوارف وفي عقبات، نحن بالخمسينات لا يوجد شيء، لا يوجد إلا مدرسة وبيت، والطريق محشوم، الآن هناك مدرسة، و هناك بيت، و هناك طريق ممتلئ بالكاسيات العاريات، و هناك انترنت، و هناك مواقع إباحية، و هناك فضائيات، و هناك مجلات ساقطة، كل شيء يوجد، هذه كلها صوارف، ويوجد عقبات، أحياناً العقبة الأهل، أحياناً العقبة العمل، هناك عقبات تحول بينك وبين طاعة الله، وهناك صوارف تصرفك عن طاعة الله، لذلك الأجر الآن كبير جداً.

اشتقت لأحبابي، قالوا: لسنا أحبابك؟ قال: لا، أنتم أصحابي، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر، أجرهم كأجر سبعين، قالوا: منا أم منهم؟ قال: بل منكم، لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون.

## العمل الصالح أعظم شيء بعد الإيمان بالله:

والآن بصراحة أيها الأخوة:

﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ (16) ﴾

(سورة الكهف)

الكهف بيتك، والكهف جامعك، فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ، ادخل إلى بيتك، بيتك متحكم فيه، ليس فيه منظر قبيح، ليس فيه استثارة للشهوة، وادخل إلى جامعك.

أيها الأخوة، العوائق كثيرة والصوارف كثيرة، الأجر كبير جداً العوائق كثيرة والصوارف كثيرة، الآن يزداد الأجر حينما تفسد المجتمعات، وتضطرب الأحوال، ويجور الأمراء، ويتجبر الأقوياء، ويترف الأغنياء، ويداهن العلماء، وتشيع الفاحشة، ويظهر المنكر، ويختفي المعروف.

**(( عبادة في الهرج كهجرة إلي ))**

[ مسلم عن معقل بن يسار ]

في زمن الفتنة، أيها الأخوة أنا أريد أن أبقي إن أمكنني الأمر أن أبقي أثراً كبيراً للعمل الصالح، أنت بعد أن آمنت بالله لا يوجد شيء أعظم في حياتك من عمل صالح تلقى الله به وعمل صالح أن يكون بعيداً عن مصالحك، قال تعالى:

**﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾**

( سورة النمل الآية: 19 ).

ما العمل الصالح الذي يرضاه؟ قال إذا كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله وصواباً ما وافق السنة، دائماً اسأل نفسك مساء كل يوم ماذا فعلت اليوم؟ هل أطعمت جائعاً؟ هل كسوت عارياً؟ هل عدت مريضاً؟ هل زرت صديقاً لله؟ هل أنفقت مالاً؟ هل عملت عملاً صالحاً؟ هل وصلت رحماً؟ هل كتبت مقالة تنشرها تدعو إلى معرفة الله؟ هذا عمل.

## بطولة الإنسان أن يكون له عمل صالح يستمر بعد موته:




أيها الأخوة، يجب أن أنتقل إلى حقيقة خطيرة، أعظم الأعمال الصالحة هي التي تبقى بعد موتك، في علماء كثر توفاهم الله عز وجل محاضراتهم تذاع كل يوم وكأنهم أحياء، وأنا أعتقد أنهم قد فنيت أجسامهم ومحاضراتهم تبث كل يوم في معظم وسائل الإعلام، وبالمقابل هناك مغنون ماتوا وأصبحوا تحت أطباق الثرى وأغانيهم تذاع كل يوم، الأولون دروسهم التي تبث صدقة جارية

والآخرون أغانيهم التي تبث معصية جارية مستمرة، فالبطولة أن يكون لك عمل صالح يستمر بعد موتك من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

**(( إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ))**

[ مسلم عن أبي هريرة ]

معظم الناس ينجبون الأولاد، يا ترى خطر في بالك يا ترى هذا الطفل اجعله عالماً؟ داعية؟ تعتني به كثيراً؟ تعتني بعقيدته؟ بإيمانه؟ بخلقه؟ بدينه؟ بدراسته؟ هل تبذل جهداً كبيراً من أجله؟ شعور الأب أن له ولد صالح يدعو الناس إلى الله من بعده هذا شعور لا يوازن.

**(( إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ))**

[ مسلم عن أبي هريرة ]

## أشقى الأشقياء من انقطع عمله بعد موته:

إذا إنسان له عمل العمل انقطع عند الموت، من هو أشقى الأشقياء؟ الذي له عمل ينقطع عند الموت يتألم، والبطولة أن يكون لك عمل مستمر بعد الموت، مرة ألقيت خطبة كانت ناجحة جداً أخذتها من تفسير القرطبي، هذا التفسير مؤلف قبل ألف عام، بعد أن انتهت الخطبة أخوة أثنوا عليها ثناءً كبيراً وتأثروا بها، قلت سبحان الله في صحيفة القرطبي، الذي ألف تفسيراً وأنا اعتمدت على هذا التفسير في هذه الخطبة. معنى تركت مؤلفاً، تركت دعوة، تركت مؤسسة، تركت معهد شرعي، تركت ميتماً، تركت مستوصفاً، تركت عملاً صالحاً؟ أيها الأخوة العمل الصالح هو سر وجودك في الأرض، في حديث آخر يفصل:

**(( إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً كراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته.))**

[صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة ]

## على كل إنسان أن يفكر بعمل صالح يستمر بعد موته:

أي عمل صالح يستمر بعد موتك هذا من أعظم الأعمال الصالحة، وأنا أتمنى بشكل جاد كل أخ كريم يفكر بعمل صالح يستمر، يستمر من بعد الموت، طبعاً هذه الأعمال المستمرة في الأعمّ الأغلب أعمالاً دعوية، يعني ساهمت بهداية أشخاص أعمالهم الصالحة في صحيفتك، وأعمال ذريتك في صحيفتك، وأعمال من تبعهم في صحيفتك، لذلك أيها الأخوة:

**(( مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة حَسَنَة فله أجرُها وأجرُ من عمل بها من بعده، من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئة كان عليه وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عمل بها من بعده، من غير أن ينقُصَ من أوزارهم شيء ))**

[أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي]

فكر إذا استيقظت:

**(( مَنْ كانَتِ الآخرةُ هَمَّهُ، جعل الله غِناه في قلبه، وجمع عليه شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدنيا وهي راغِمَة، وَمَنْ كانت الدنيا هَمَّه، جعل الله فَقْرَه بين عينيه، وفَرَّق عليه شَمْلَهُ، ولم يأتهِ من الدنيا إلا ما قُدِّر له ))**

( أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك ].

حينما تستيقظ أول خاطر ماذا سنأكل صباحاً؟ مثلاً، يا ترى أذن الفجر عندك هاجس، سيدنا عمر حينما طعن وكان على وشك الموت سأل سؤالاً هل صلى المسلمون الفجر وهو في الأفق الأعلى، في إنسان أفقه عالي، همه طاعة الله عز وجل، همه نشر الحق، همه تأكيد القيم الإسلامية.

## العبرة ليست بالوقت العبرة بالعمل الصالح:

أيها الأخوة، ويلٌ ثُمَّ ويلٌ ثُمَّ ويلٌ لمن انقضت آجالهم وضلالاتهم وآثامهم باقية من بعدهم، أنت تؤلف كتاباً كله ضلالات ويموت الإنسان كل واحد قرأه وتأثر بأفكاره الضالة وانحرف في صحيفة المؤلف، لذلك أن تكون أو أن تملك دار نشر وأن تنشر أي كتاب لو ارتكبت الكبائر بإمكانك أن تتوب منها، لكن إذا نشرت كتباً ضالة مضلة هذه الكتب توزعت ما في حل.

قال هنيئاً لمن كان تحت الثرى والناس مهتدون بهديه، سعداء بأعماله، ابن عطاء الله السكندري له قول رائع قال: رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده، ومن بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من المنن ما لا يدخل تحت دائرة العبارة ولا تلحقه ومضة الإشارة.

بصراحة سنعد العمر الزمني فقط ستين سنة، سبعين، ثمانين، أربعين، سنشبه العمر الزمني بفتح محل تجاري يوم بكامله، إذا شخص فتح اثني عشر ساعة والغلة خمسمئة ليرة، وشخص فتح ساعة الغلة خمسة آلاف، أيهما أربح؟ الوقت ماله قيمة، العبرة الغلة كم بعت؟ أحياناً صفقة تتم بربع ساعة ربحها ثمان ملايين، وأحياناً دوام كامل عشر ساعات صياح ما في خمسمئة ليرة في اليوم، عشر ساعات صياح، العبرة ليس بالوقت العبرة بالعمل، لذلك كل الكلمات أمدّ الله بعمرك، العمر لا يزيد لكن قد يمتلئ بالعمل الصالح وقد لا يمتلئ، يعني أحد علماء الجزائر ابن باديس عاش أقل من خمسين سنة، والشافعي عاش أقل من خمسين سنة، وكان معتدلاً في الطعام إلى درجة غير معقولة، ينام ساعتين كل يوم استطاع أن يوقظ الجزائر كلها، وأن تقاوم الاستعمار بمنطوق ديني، بقيم دينية وأن تنتصر، أينما ذهبت في الجزائر كلمة ابن باديس على كل لسان، بثّ فيها الإيمان، كان قدوة واجه أوربا، عالم، فالإنسان أحياناً له بداية لكن ليس له نهاية. رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده.

يقول لك عاش ثمانية وتسعين سنة ما فعل شيئاً، النووي عاش أقل من خمسين سنة ترك كتباً لا يعلمها إلا الله، رياض الصالحين، شرح صحيح مسلم، كتاب فقه كبير جداً بغية المحتاج.

## أعلى الأعمال الصالحة أن يهدي الله على يديك إنساناً:

أيها الأخوة، العمل الصالح هو سر وجودنا وغاية وجودنا، أعلى الأعمال الصالحة أن يهدي الله على يديك إنساناً.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: يا علي:

**(( فَوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ))**

[ متفق عليه عن سهل بن سعد].

**(( خير له مما طلعت عليه الشمس ))**

[ أخرجه الطبراني عن أبي رافع ].

**(( خير لك من الدنيا وما فيها ))**

[ تخريج أحاديث الإحياء للعراقي ].

لكن الهداية تحتاج إلى جهد، إلى إحسان، ينبغي أن تفتح قلب من تدعوه إلى الله بإحسانك حتى يفتح لك عقله لبيانك، افتح قلبه بإحسانك يفتح عقله لبيانك، الإحسان قبل البيان، القدوة قبل الدعوة، أكبر قوة تأثير تملكها أن تكون أنت قدوة، القدوة قبل الدعوة، اسلك السلوك الكامل ترى أن الناس يتأثرون بك ولو لم تنطق بكلمة، أبداً عندي شواهد كثيرة لو لم تنطق بكلمة أمانتك قدوة، صدقك قدوة، إتقان عملك قدوة، عفتك قدوة، ورعك قدوة، إذاً القدوة قبل الدعوة، والإحسان قبل البيان، والأصول قبل الفروع، والمبادئ لا الأشخاص والمضامين لا العناوين، والتربية لا التعرية، هذه كلها قواعد، أنت حينما ترى إنساناً مشى في الحق بسببك، تحس بسعادة لا توصف، وهذه الأعمال الصالحة الدعوية هي التي تبقى بعد الموت، طبعاً ما معنى قول الله عز وجل:

**﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً (120) ﴾**

( سورة النحل )

كان أمة بأعماله الصالحة، يعني ينبغي أن يكون لك أثر في كل النفوس.

## الدنيا دار تكليف و الآخرة دار تشريف:

أيها الأخوة، الحياة دار عمل وليست دار أمل، الحياة دار تكليف، الحياة دار تكليف وليست دار تشريف، الحياة دار بذل جهد:

**﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾**

( سورة الانشقاق )

الحياة بذل جهد، فلذلك يجب أن نستنتج من هذا اللقاء أن لا شيء يعلو بعد الإيمان بالله على عمل صالح يمتد أمده وتتسع رقعته ويتعمق أثره، وأن هذا العمل الصالح كلما كان أقرب إلى الدعوة إلى الله كان أقرب إلى أن يستمر بعد الموت، وأنه هنيئاً لمن كانوا تحت أطباق الثرى والناس يهتدون بدعوتهم، ويتأثرون بأعمالهم السابقة، وهذا من نعمة الله الكبرى.

أيها الأخوة، في درس قادم إن شاء الله نتابع موضوع العمل الصالح ونتصل بموضوعات تزيده وضوحاً وترسيخاً إن شاء الله.

## 8.2 التواصي بالحق

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الثالث والثلاثين من دروس العقيدة والإعجاز.

### كل إنسان خاسر إلا إذا أنفق وقته إنفاقاً استثمارياً:




لازلنا في موضوع الوقت.

وفي درس سابق بينت لكم أن الوقت إما أن ينفق استهلاكاً وإما أن ينفق استثماراً، ينفق استهلاكاً كما يفعل معظم الناس اليوم، يأكلون ويشربون ويتمتعون ثم يداهمهم الموت ولم يعدوا لهذه الساعة عدتها مثل هؤلاء الناس ينفقون وقتهم إنفاقاً استهلاكياً، لكن المؤمنين ينفقون وقتهم إنفاقاً استثمارياً بمعنى أنهم يفعلون في الوقت الذي سينقضي عملاً ينفعهم بعد انقضاء الوقت، والأصل في هذا المعنى قوله تعالى:

**﴿ وَالْعَصْرِ (1) ﴾**

( سورة العصر )

يقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول رتبة الذي هو في الحقيقة زمن، بأنه خاسر، لأن مضي الزمن يستهلكه، إلا إذا أنفق وقته إنفاقاً استثمارياً بمعنى آمن وعمل صالحاً ودعا إلى الله وصبر على البحث عن الحقيقة والعمل بها والدعوة إليها.

## أعظم عمل على الإطلاق العمل الصالح:




الآن ننتقل إلى معنى قوله تعالى:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾

( سورة العصر ).

لا يغيب عن أذهانكم أيها الأخوة أن التواصي بالحق ربع النجاة، أو أحد أركان النجاة، لا تنجو إلا إذا بحثت عن الحقيقة، وعملت بها، ودعوت إليها، وصبرت على البحث عنها، والعمل بها، والدعوة إليها، وهذه السورة أيها الأخوة على قصرها تكفي الإنسان، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفرقون إلا على هذه السورة، اليوم وتواصوا بالحق، الدرس الماضي كان الحديث عن العمل الصالح، تعريف العمل الصالح، اتساع رقعته، امتداد أثره، عمق تأثيره، نوعيته، وكيف أن هناك عمل يستمر بعد الموت، وهذا أعظم عمل على الإطلاق.

## التواصي بالحق أحد أركان النجاة وفرض عين على كل مسلم:

الآن ننتقل إلى التواصي بالحق، أولاً من المسلمات أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم، ومن لم يجاهد أو يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلمة من النفاق.




إذا شخص من الأخوة الكرام وأنا واحد منهم، ما فكر أبداً أن يدعو إلى الله فهذا نوع من النفاق، من لم يجاهد أو يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلمة من النفاق.

فالتواصي بالحق أحد أركان النجاة وفرض عين على كل مسلم، لكن الدعوة إلى الله فرض عين وفرض كفاية، فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل، لا بد من عالم متفرغ، متبحر،

متعمق، قادر على ردِّ كل الشبهات والإجابة عن كل الأسئلة، هذا فرض كفاية، لكن كل مسلم على الإطلاق الدعوة إلى الله بالنسبة إليه فرض عين لكن حتى نرحم لكن في حدود ما نعلم ومع من نعرف، في حدود ما نعلم، سمعت درساً، سمعت شريطاً، أنصت إلى خطبة، تأثرت تأثراً بالغاً انقل ما سمعته إلى من حولك.

**(( بلغوا عني ولو آية ))**

[ أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمرو ].

## أي إنسان لا يدعو إلى الله فهو لا يحب الله و رسوله:

سورة العصر دليل كبير على أن الدعوة إلى الله فرض عين، وهناك آية ثانية:

**﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾**

( سورة يوسف الآية: 108 ).




يعني بالدليل والتعليم، فأي إنسان لا يدعو إلى الله قطعاً بنص هذه الآية لا يتبع رسول الله، وبالتالي لا يحب الله، والدليل:

**﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾**

( سورة آل عمران الآية: 31 ).

أحد الأخوة الحاضرين لا يفكر أبداً أن ينقل درساً، يعطي شريطاً، ينقل تفسير آية، تفسير حديث، يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر، يحاول هداية إنسان ما يفكر أبداً يموت على ثلمة من النفاق والدليل هذه الآية:

**﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾**

( سورة العصر ).

## النهوض بالحق يحتاج إلى جهد لأن العوائق كثيرة:




أيها الأخوة الكرام، النهوض بالحق عسير يحتاج إلى جهد، والعوائق كثيرة جداً والصوارف عديدة، هناك عوائق أي عقبات، وهناك أشياء مغرية تصرفك عن طلب الحق، هناك هوى النفوس، هناك المصالح، هناك ظروف البيئة، هناك ضغوط العمل، التقاليد، العادات، الحرص، الطمع، يأتي التواصي بالحق ليكون مذكراً، مشجعاً، محصناً للمؤمن، يوصيه، يشجعه، يقف معه، يحرص على سلامته، وسعادته.

## التواصي بالحق أحد أركان النجاة:

التواصي بالحق أحد أركان النجاة، لذلك:

**﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (110) ﴾**

( سورة آل عمران )

ما علة خيريتها؟




**﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾**

[ سورة آل عمران: 110]

ومتى تهلك أمة رسول الله؟

**(( كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟))**

[ ابن أبي الدنيا وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي أمامة بسند فيه ضعف ]

**﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ (79) ﴾**

( سورة المائدة )

**(( كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟ قالوا: أوَ كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه؟ قال كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: وأشد منه سيكون ))**

[ ابن أبي الدنيا وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي أمامة بسند فيه ضعف ]

قال:

**(( كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟ ))**

## الإنسان بالإيمان والعمل الصلح يكمل نفسه وبالتواصي بالحق يكمل غيره:

أيها الأخوة الكرام، هناك نقطة دقيقة جداً التواصي بالحق ينقي ويصفي الاتجاهات الفردية، الإنسان يتخيل شيئاً وحده، يتوهم شيئاً، يتعلق بشيء، يأتي التواصي بالحق ينقي الاتجاه الفردي من الشوائب، فالحق لا يستقر ولا يستمر إلا في مجتمع مؤمن متواص بالحق متعاون متكافل متضامن، نقطة دقيقة جداً أنت بالإيمان والعمل الصالح تكمل نفسك، بارك الله بك، وأنت بالتواصي بالحق تكمل غيرك.

المؤمن غيري، المؤمن ينتمي للمجموع أنت بالإيمان والعمل الصلح تكمل نفسك، وبالتواصي بالحق تكمل غيرك:

**(( بلغوا عني ولو آية ))**

[ أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمرو ].

التواصي بالحق قضية مصيرية كيف؟ الحق له دوائر هذا الجامع دائرة، هذه الدائرة إن لم تتنامَ، أنت أخ كريم لك أخان في البيت اقنع واحداً يأتي معك إلى الدرس، هذه الدوائر إن لم تتنامَ دوائر الباطل تتنامى ثم تضيق على هذه الدوائر، التواصي بالحق بادئ ذي بدء من أجل بقاء الحق، الحق لا يبقى إلا بالتواصي، اقنع أخوك، أيها الأب أقنع ابنك، أيها الابن أقنع والدك، أيتها المرأة أقنعي زوجك:

**(( بلغوا عني ولو آية ))**

[ أخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمرو ].

## التواصي بالحق ضروري من أجل أن نغلب عناد الباطل:

دوائر الحق إن لم تتنامَ ما الذي يحدث؟ تتنامى دوائر الباطل، الباطل يتنامى بسرعة السبب؟ متعلق بالشهوات، والشهوات محببة، أما الحق يتنامى بجهد كبير، الحق لا يوجد شيء جاهز كل وعود الله بعد الموت، في الدنيا ممكن أن يعطيك الله لكن الجزاء في الآخرة.







فأنت تحتاج إلى جهد كبير لتقنع الناس بغض البصر، بضبط اللسان، بتحرير الدخل، لكن العطاء بالآخرة كبير جداً، هناك شهوة أمامك محسوسة، مركبة فارهة، امرأة جميلة، قصر منيف، دخل كبير، تجارة رابحة، مركز كبير إداري، سلطة، هذه أشياء محسوسة، تراها على شبكية العين أما بالآخرة مكتوب بالقرآن:

**﴿ وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) ﴾**

( سورة الضحى )

تفتح القرآن تجد خمس كلمات الآخرة إيمان بالغيب أما الدنيا محسوسة، لذلك التواصي بالحق ضروري جداً حتى يبقى الحق، الله عز وجل شاءت حكمته أن تكون الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء، ومنزل عمل لا منزل أمل، ودار تكليف لا دار تشريف، أما الآخرة دار تشريف، لا بد من التواصي بالحق من أجل أن نغلب الهوى، من أجل أن نغلب عناد الباطل، أن نتحمل الأذى، أن نتكبد المشقة.

## الوقت في عالم المسلمين وعاء العبادة و في الثقافة الغربية المال و الفائدة:

أيها الأخوة الكرام:

**﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ (104) ﴾**

( سورة النساء )




ألا نستحي من الله؟ يألمون أكثر مما نألم على باطلهم، ونحن نضن أن نحمل هم الأمة ونحن على حق:

﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا(104) ﴾

( سورة النساء )

أيها الأخوة، الثقافة الغربية الوقت يعني المال، كان في بائع عصير قريب من الجامع الأموي عليه إقبال عجيب، يقدم عصيراً بأعلى مستوى ويسعر معتدل جداً، بأيام الصيف، سوق الحميدية مزدحم بالناس أمامه أربعين خمسين شخصاً ينتظرون، يؤذن الظهر يغلق المحل ويذهب إلى الجامع، خلال نصف ساعة ممكن يبيع خمسمئة زبون، معنى هذا أن الوقت يقابله المال أليس كذلك؟ أحياناً يكون في مواسم كبيرة جداً وفي صلاة جمعة إغلاق المحل من أجل صلاة الجمعة يعني خسارة مبالغ طائلة، الثقافة الغربية الوقت يعني المال، أما في الثقافة الإسلامية الوقت يعني العبادة، الوقت وعاء عبادتك، وعاء عملك، وعاء عقلك، العلم يطلب بغلاف من الوقت، تاركين بيوتكم جميعاً، كل واحد له بيت، المتزوج له زوجة، عنده أولاد، في البيت في مقعد مريح، في ضيافة، تطلب قهوة، شاي، تحدث ابنك، تستمتع، البيت مريح أكثر من الجامع، تارك البيت وجئت إلى الجامع، هذا جهد، الوقت في الثقافة الغربية يعني المال، لذلك أي تأخير دفع يقابله فائدة، أما الوقت في عالم المسلمين يعني العبادة، الوقت وعاء عبادتك، بل وعاء عملك الصالح.

## العاقل من أنفق وقته إنفاقاً استثمارياً وليس استهلاكياً لأن الوقت يحدد مصير الإنسان:

لذلك الشيء الدقيق في هذا اللقاء الطيب كيف تنفق وقتك؟ كيف يكون إنفاق وقتك إنفاقاً استثمارياً وليس إنفاقاً استهلاكياً؟ تصور طالباً بالشهادة الثانوية وعلاماته في هذه الشهادة تحدد مصيره في الحياة، والده فقير، لا يوجد أمامه إلا أن يدخل الجامعة بمجموع معين كلية الطب في دمشق، في بيته مع

أهله مع أقاربه، ليس هناك أجرة بيت ولا نفقات سفر، لو أخذ أقل بعلامة صار كلية الطب في حلب مضطر إلى سفر، إلى أجرة بيت.




فالشهادة الثانوية بأنظمة بعض البلاد ونحن منهم علاماتك بالشهادة الثانوية تحدد مصيرك، طبيب، طبيب أسنان، صيدلي، كلية علوم، وهكذا كلية معلوماتية، اقتصاد، آخر شيء حقوق، علاماتك تحدد مصيرك، فأنت في العام الدراسي الذي يسبق الامتحان (امتحان الشهادة الثانوية) هذا الوقت طريقة استهلاكك للوقت يحدد مصيرك، طريقة استهلاك الوقت لطالب بالشهادة الثانوية يحدد مصيره، هناك طالب ينال الدرجة الأولى على كل أبناء البلد الطيب، لذلك سئُل طالب نال الدرجة الأولى في الامتحان: " لمَ نلت هذا التفوق؟ قال: لأن لحظة الامتحان لن تغادر مخيلتي طوال العام ". الوقت وعاء عملك، المثل كبره، بعد الموت إحدى حالتين، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

يحدد مصيرك بعد الموت بالجنة أو النار طريقة استهلاك وقتك، طلبت العلم؟ عرفت الحق والباطل؟ عرفت الخير والشر؟ عرفت الحلال والحرام؟ عرفت ما ينبغي وما لا ينبغي؟ ما يجوز وما لا يجوز؟ ما يحبه الله وما يبغضه؟ الوقت يعني مصيرك، هذا الوقت كيف تنفقه؟

## قيمة الإنسان بطريقة استهلاك الوقت:

أيها الأخوة، يقول بعض العلماء وهو الحسن البصري الذي عرّف الإنسان تعريفاً رائعاً قال: هو بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، قال أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على دراهمه ودنانيره.




أقول لكم بصدق قيمتك بطريقة إدارة الوقت، قيمتك بطريقة استهلاك الوقت، ادرس، تعلم، تفوق، تبحر، اقرأ القرآن الكريم، افهم السنة النبوية، تكلم، ادعُ إلى الله، زاحم بركبتيك مجالس العلم، ماذا تفعل؟ بصراحة لكن أتمنى أن تكونوا معي بدقة بالغة لا سمح الله ولا قدر ولا قدر ولا قدر إنسان أصيب بمرض عضال، أحياناً تشمع كبد، العملية الآن تكلف عشر ملايين، وعنده بيت ثمنه عشر ملايين، اشتراه بعد جهد جهيد بعد خمس وخمسين سنة من العمل الدؤوب اشترى هذا البيت، ورتبه، وكساه، وجهزه وإذا يفاجأ بتشمع كبد هذا مرض مميت، بلغه أن في عملية في فرنسا لزرع الكبد وناجحة كلفتها عشر ملايين ماذا يعمل؟ والله لا يتردد ثانية واحدة في بيع بيته وإجراء العملية، لماذا فعل هذا؟ سؤال لأنه مودع بأعماق أعماقه بأن الوقت أثمن من المال، أي إذا أجرى عملية كلفتها ثمن بيته وعاش بضع سنوات أخرى يرى نفسه ناجحاً.

## الوقت أثمن من المال و من أتلف وقته خسر كل شيء:

أنت مركب في أعماقك أن الوقت أثمن من المال، تمام، هيئ نفسك بهذه المفارقة، إنسانًا أمسك بخمسمئة ألف أمامكم، وأشعلها، وأحرقها حتى أصبحت رماداً، أحرق نصف مليون ليرة وأنت لا تستطيع أن تكلمه ولا كلمة معه مسدس مثلاً، بما تحكم عليه؟




لو رأى هذا المنظر مليون إنسان بما يحكم على هذا الإنسان الذي أحرق نصف مليون ليرة؟ بالسفه والجنون إذا كان إتلاف المال يعد سفهاً، ولأن الوقت أثمن من المال فالذي يضيع وقته يعد

أشد سفهاً، سهرة ما فيها شيء كلام فارغ، غيبة، ونميمة، وحديث عن الطعام، والشراب، والنساء، ولاعبي الكرة، والممثلين والممثلات الأحياء منهم والأموات، وآخرها، لا يوجد شيء، إضاعة الوقت أخطر شيء يفعله الإنسان، كلام فارغ، حديث بلا طائل، مزاح رخيص، غيبة، نميمة، حديث عن حطام الدنيا، أنواع السيارات، الشباب والله لو أتقن دروسه كما يتقن أنواع السيارات وميزة كل سيارة وخصائصها وهذه توربو، وهذه فول أبشن، وهذه دفع رباعي، ترى الشباب عندهم إدراك لمزايا السيارات شيء مذهل، حديث عن السيارات، وإذا حديث مستوى أدنى عن النساء وعن الأفلام وغيبة ونميمة، وقيل وقال وإضاعة المال، هذا الذي يتلف وقته أشد سفهاً من الذي يحرق أموالاً، أنت الوقت، الوقت أنت، أنت بضعة أيام، الوقت من ذهب بل هو أغلى من الذهب.

## إدارة الوقت مظهر حضاري فعلى كل إنسان أن ينظم وقته:

أيها الأخوة الكرام، أذكر الأخوة الكرام الذين درسوا اقتصاداً ما هي الموارد الاقتصادية الأولى في العالم؟ أربع موارد، عندنا بترول، عندنا خامات الفوسفات، عندنا خامات اليورانيوم، عندنا ذهب، ألماس، الاقتصاد أساسه مواد في ثروات طبيعية، في فحم، والمعلومات، فلان معه دكتوراه بإدارة الأعمال، فلان يحمل اختصاص بالنبات، فلان اختصاص بالتكييف، اختصاص بإدارة الأعمال، المواد والمعلومات والأفراد، هل تستطيع أن تؤسس شركة وأرباحها طائلة بلا أشخاص؟ لا تقدر، تحتاج موظفين، مدير تنفيذي، معاون مدير، مدير محاسبة، مدير مبيعات، مدير استيراد، مدير دعاية، تحتاج إلى أشخاص، تحتاج إلى مواد، تحتاج إلى مكان، بناء، بضاعة، مواد، تحتاج إلى معلومات شخص معه اختصاص محاسبة، شخص معه اختصاص إعلام، شخص معه اختصاص بيئة مثلاً، وتحتاج إلى أفراد أشخاص، وتحتاج إلى وقت.




أهم هذه العناصر الوقت وأهون عنصر بحياة الأمم النامية هو الوقت، الوقت ليس له قيمة أبداً، مثلاً في بعض البلاد بناء فيه مكاتب تجارية كل

ما يحتاجه التاجر في هذا البناء، يحتاج إلى دفع ضريبة مالية، تخليص بضاعة من الجمارك، كل الدوائر التي يحتاجها التاجر في بناء واحد، هناك بنوك، و هناك اتصالات، وهناك مطاعم، وهناك مسجد في بلد إسلامي، أحياناً بلد آخر التحليل في حلب وتصديق الشهادة بمكان آخر، وامتحان البذور بدوما، تجد الإنسان ضائع وقته، أهون شيء على البلاد النامية الوقت، في اتجاه جديد رائع جداً النافذة الواحدة، جمع المصالح كلها في مكان واحد، كيف الإنسان يدخل إلى سوق حديث كل شيء في هذا السوق، أما بالنظام القديم البضاعة الأولى من حي وهذه من حي، الوقت مهم جداً، أي إدارة الوقت الآن مظهر حضاري، نظم وقتك، نظم نومك، نظم علاقتك بأهلك، نظم وقت مطالعتك، نظم وقتاً تجلس مع أهلك، اكتب برامج، اعمل مذكرة، اعمل أجندة الآن، اعمل برنامج عمل، لا بد من إدارة الوقت إذا كنت مؤمناً، أنت وقت، أنت بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منك.

## تعريفات إدارة الوقت:

أيها الأخوة، من تعريفات إدارة الوقت، قال: فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي.




هناك شيء آخر قال بعضهم الذي يحسن إدارة وقته هو في الحقيقة يحسن إدارة نفسه، وإن لم يكن بالإمكان استثمار كل الوقت فلعل الأقل أن نستثمر أكبر قدر من الوقت، أنا معك مستحيل أن تستثمر كل دقيقة في حياتك، هناك هدر لكن استثمر معظم الوقت، اقرأ كتاباً، ذاهب إلى حلب بمركبة عامة خذ معك كتاباً صغيراً، تصفحه، حاول أن تملأ وقتك بأي عمل، والله كنت بفرنسا ركبت قطاراً قطع من شمال فرنسا إلى جنوبها بسرعة ثلاثمئة وخمسين كيلو متراً بالساعة، قريب من طائرة من دون صوت على الكهرباء، لفت نظري لا يوجد راكب إلا معه كتاب أو كومبيوتر وعملوا مأخذ كهربائياً لكومبيوتر، معك كومبيوتر صغير تضعه على المأخذ الكهربائي وتعمل، طبعاً القطار مستقر استقراراً تاماً

وصوت لا يوجد ومكيف وفيه مطعم، أنا تأثرت هؤلاء الدول ولا راكب ينظر من النافذة، اصعد إلى مركبة عامة جالس ينظر، خمس ساعات لحلب ينظر، الوقت ثمين جداً، صدقوني لا أبالغ اشتهيت أن أرى راكباً واحداً ما معه كتب، إما كتاب، أو كومبيوتر، ساعتان.

## إدارة الوقت حضارة وإيمان:

أيها الأخوة، إدارة الوقت حضارة، إدارة الوقت إيمان، إدارة الوقت فلاح، إدارة الوقت نجاح، اقرأ كل يوم، اجلس مع أهلك لوقت، قَسّم وقتك، نظم وقتك، اعمل برامج، عدلها، طورها باستمرار.




قال أكثر العناصر هدراً في الدول النامية الوقت، مثلاً بالقطار ينطلق القطار ثمانية وأربع وعشرين دقيقة، يصل الثانية عشرة وتسع وخمسين، والله شيء لا يصدق، الحساب بالدقيقة، أحياناً في بلد آخر ثلاث ساعات تأخير الطائرة، عادي، أحياناً ست ساعات عادي، بالدقيقة الوقت أنت، أنت وقت، قال أكثر العناصر هدراً وأقلها استثماراً هو الوقت، لأنه لا يوجد إدراك كافٍ للخسارة الكبيرة التي تكون من هدر الوقت.

بالريف أحياناً جالس أمام البيت، يمر شخص ينظر به هكذا، يأتي الثاني ينظر، ماذا تعمل؟ والله مرّ احد العلماء بمقهى (عالم كبير الشيخ بدر الدين الحسني) وجد أناساً يلعبون النرد قال: يا سبحان الله لو أن الوقت يشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم.

## الوقت أكبر مورد اقتصادي و رأس المال الحقيقي للإنسان فرداً ومجتمعاً:

أيها الأخوة، الوقت أكبر مورد اقتصادي لكن في خصائص دقيقة لا يمكن تجميعه، نحن نجمع مياه الأمطار بسد، الوقت لا يجمع وهو سريع الانقضاء، ما مضى منه لا يرجع ولا يعوض، والوقت أثمن وأنفس ما يملكه الإنسان، وعاء لكل علم، ولكل عمل، ولكل عبادة.




هو رأس المال الحقيقي للإنسان فرداً ومجتمعاً، كلام دقيق بدراسات دقيقة جداً، بعض البلاد النامية يعمل الفرد في اليوم سبع وعشرين دقيقة، يقسمون الدخل القومي على عدد السكان على ساعات العمل، وفي بلد آخر يعمل الفرد فيه سبع عشرة دقيقة، والبلاد القوية يعمل فيها الفرد ثمان ساعات بالتمام والكمال، لا تتصور أمة يعمل أفرادها سبع عشرة دقيقة ينتصرون على أمة يعمل أفرادها ثمان ساعات.

والله في معلومات يتقطع لها القلب ؛ شركة واحدة فيها أربعون ألف عامل أرباحها السنوية تعادل الدخل القومي لدولة عربية كبيرة جداً أفرادها سبعون مليون، أمة سبعون مليون كل دخلها القومي أقل من شركة فيها أربعين ألف عامل، الوقت ثمين جداً، الوقت أيها الأخوة، لا يمكن شراؤه هو أساس الحياة وعليه تقوم الحضارة، لا يمكن شراؤه ولا بيعه ولا تأجيره ولا استعارته ولا مضاعفته ولا توفيره ولا تصنيعه، لكن يمكن استثماره وتوظيفه، أولئك الذين لديهم وقت لإنجاز أعمالهم لديهم أيضاً وقت لمعرفة ربهم وعبادته والتقرب إليه، عرفوا قيمته وهم يستثمرون كل دقيقة من وقتهم.

## إدارة الوقت لا تنطلق إلى تغييره أو تعديله بل تنطلق إلى استثماره بشكل فعّال:

إدارة الوقت لا تنطلق إلى تغييره ولا إلى تعديله ولا إلى تطويره بل تنطلق إلى طريقة استثماره بشكل فعّال، محاولة التقليل من الوقت الضائع هدراً من دون فائدة.

الوقت يمر دققوا مع أنه عند الأدباء دقيقة الألم ساعة وساعة اللذة دقيقة.

**إن يطل ليلك بعدي فكم بت أشكو قصر الليل معك**

***




هذا الإنسان إذا كان بألم شديد الوقت يطول عليه، إذا كان بفرح الوقت يمر سريعاً، أما الساعات هي هي، ساعات الألم تساوي ساعات الفرح تماماً، لذلك دقق في هذه العبارات، الوقت يمر بسرعة محددة وثابتة فكل دقيقة أو ثانية وكل ساعة تشبه الأخرى، وأن الوقت يسير إلى الأمام بشكل متتابع، يتحرك وفق نظام معين محكم، لا يمكن إيقافه أو تغييره أو زيادته أو إعادة تنظيمه، وبهذا يمضي الوقت بانتظام نحو الأمام من دون تأخير أو تقديم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إيقافه أو تراكمه أو إلغاؤه أو تبديله أو إحلاله لأنه مورد محدد يملكه الجميع بالتساوي.

## مشكلة الإنسان ليست في مقدار الوقت بل في كيفية إدارة هذا الوقت واستخدامه:

على الرغم من أن الناس لم يولدوا بقدرات أو فرص متساوية فإنهم جميعاً يملكون الأربع والعشرين نفسها كل يوم، الأذكياء والأغبياء، المتألقون والخاملون، يملكون معاً كل يوم أربع وعشرين ساعة والاثنين والخمسين أسبوعاً كل عام، الذي أخذ الأولى على القطر عنده كان مئتي أسبوع والذي ما نجح عنده عشرة أسابيع؟




الطالب الناجح والراسب عنده اثنين وخمسين أسبوعاً كل عام، فإن جميع الناس متساوون بالمدة الزمنية، سواء أكانوا من كبار الموظفين أم من صغارهم من أغنياء القوم أو من فقرائهم، فالمشكلة ليست في مقدار الوقت المتوفر لكل من هؤلاء ولكن المشكلة في كيفية إدارة هذا الوقت واستخدامه.

لعلي بهذا الدرس أقنعت بعضكم أو جلكم أن يخطط، أن يدير وقته، أن يبرمج أعماله، أن يوزع ساعات عمله، أن يتحرك وفق خطة.

لذلك إدارة الوقت تعني قوله تعالى:

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

( سورة الملك )

لهذا البحث تتمة إن شاء الله في لقاء آخر.

والحمد لله رب العالمين

# الفصل التاسع: الخاتمة

9.1 لكل وقت عمل

9.2 مواقف الناس من الوقت

# 9.1 لكل وقت عمل

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

## لكلّ وقت عمله ولكلّ عمل وقته:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في موضوع الوقت، وهو موضوع من أخطر الموضوعات، لأن الإنسان كما أقول لكم دائماً بضعة أيام، كلما انقضى منه يوم انقضى بضع منه.




يا أيها الأخوة الأكارم ؛ في خطب الوقت السابقة تحدثنا عن عناية الإسلام قرآنِه وسنتِهِ بالوقت، وأن شعائر الإسلام تؤكد قيمة الوقت، وتحدثنا عن سرعة انقضاء الوقت، وتحدثنا عن أن الوقت إذا مضى لا يعود، ولا يعوض، وتحدثنا عن أن الوقت أثمن ما يملكه الإنسان على الإطلاق، وتحدثنا عن أن المؤمن يغتنم الوقت، ويبادر فيه إلى العمل الصالح، وتحدثنا عن تنظيم الوقت، هذه الموضوعات كلها مرت في الخطب السابقة، واليوم الحديث عن أن لكل وقت عمله، ولكل عمل وقته.

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ينبغي للمؤمن أن يعرف ما يتطلبه الوقت، من عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح، هذا الوقت الذي أنا فيه، ما ينبغي لي أن أفعله من عمل اللسان، من عمل القلب، من عمل الجوارح، المؤمن يتحرى أن يتكلم، وأن يعمل، وأن يشعر في الوقت المناسب الشعور المناسب، والنطق المناسب، والعمل المناسب.

لذلك يبحث في سنة النبي عليه الصلاة والسلام، يبحث ماذا كان يفعل؟ في هذا الموقف ماذا كان يقول؟ في هذه المشكلة ماذا كان ينطق؟ في هذا الوضع بماذا كان يشعر؟ في هذه المناسبة ماذا كان يعمل؟ لكل وقت عمله، ولكل عمل وقته، هذا الموضوع دقيق يجب أن يعيه المسلم وعياً تاماً.

سيدنا الصديق حبيب النبي عليه الصلاة والسلام، كما قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام:

**((لو وُزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر لرَجَح إيمان أبي بكر))**

[ شعب الإيمان للبيهقي]

هذا الصحابي الجليل حينما أوصى لسيدنا عمر بالخلافة أوصاه بالوصية التالية قال له: يا عمر اعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وأن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار.

لكل وقت عمله، ولكل عمل وقته، القصة التي تعرفونها جميعاً كيف أن رسول عامله على أذربيجان، وأذربيجان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت تابعة لخلافته في المدينة المنورة. رسول عامله على أذربيجان وصل المدينة في منتصف الليل فكره أن يطرق باب أمير المؤمنين في هذا الوقت المتأخر، توجه إلى المسجد، وفيه سمع صوتًا يناجي ربه، يقول: يا رب هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي أما رددتها فأعاتبها أو فأعزيها؟ فقال هذا الرسول: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عمر، خشي أن يطرق بابه ليلاً فإذا هو بالمسجد يصلي قيام الليل، قال: يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل؟ قال: إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي. إن لله عملاً بالليل لا يقبل بالنهار، وإن لله عملاً بالنهار لا يقبل بالليل، لكل وقت عمله، لكل عمل وقته، أصحاب النبي عليهم رضوان الله كانوا فرسانًا في النهار، رهبانًا في الليل.

سيدنا عمر رضي الله عنه رأى رجلاً لا يعمل، ولكنه يقرأ القرآن قال: إنما أنزل هذا القرآن لتعمل به، اقرأه بالليل، واعمل به بالنهار، أفاتخذت قراءته عملاً؟ يبدو أنه اقتدى بالنبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى رجلاً في النهار يصلي في غير الصلوات المكتوبة، ولا يعمل، فأراد النبي أن يعلمنا درس بليغاً، قال: من يطعمك أيها الشاب؟ فقال: أخي، قال: أخوك أعبد منك، أخوك الذي يعمل أعبد منك، إن لله عملاً بالليل لا يقبل بالنهار، وإن لله عملاً بالنهار لا يقبل بالليل.

## الوقت شيء مهم جداً في حياة الإنسان:




يا أيها الأخوة المؤمنون؛ ليس المهم أن يعمل الإنسان كل شيء في أي وقت، هذا الإنسان الضائع، هذا الإنسان الجاهل، هذا الإنسان غير المنضبط، يعمل على سجيته، يعمل ما تمليه عليه مصلحته، ما يمليه عليه الهوى، هذا الوقت وقت عبادة، هذا الوقت وقت صلاة الجمعة، لا وقت النزهة، هذا الوقت وقت الصلاة المكتوبة، هذا الوقت وقت أن تجلس مع الأهل، هذا الذي يفعل ما يشاء في أي وقت شاء، هذا إنسان متفلت من منهج الله عز وجل، غير منضبط، أنت عبد لله، وقد جاءك من الله خطاب، هذا الخطاب أمرك بأشياء، ونهاك عن أشياء، إنها منهج يجب أن تستقيم عليه.

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ألا ترون معي أن الصلاة لها علاقة بالوقت؟

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾

[ سورة النساء: 103]

ألا ترون معي أن الصيام له علاقة بالوقت؟

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

[ سورة البقرة: 185 ]

ألا ترون معي أن الحج متعلق بالوقت؟

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾

[ سورة البقرة: 197 ]

ألا ترون معي أن الزكاة متعلقة بالوقت؟

﴿وَآَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾

[ سورة الأنعام: 141 ]

الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة كلها مرتبطة بالوقت، إذاً الوقت شيء مهم جداً في حياة الإنسان.

## أوقات العبد أربعة:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ قال أحد العارفين: أوقات العبد أربعة، معنى أوقات هنا في قول أحد العارفين أي أحواله، أي جاءته مصيبة في هذا الوقت، فهذا وقت مصيبة، جاءته نعمة في هذا الوقت، فهذا وقت نعمة، زلة قدمه في هذا الوقت، فهذا وقت معصية، فعل الطاعات في هذا الوقت، هذا وقت طاعة. قال أحد العارفين: أوقات العبد أربعة، لا خامس لها، النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية، فمن كان في وقت الطاعة فعليه أن يشهد فضل الله عليه إذا أعانه عليها.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

[ سورة الفاتحة: 5 ]




إذا كنت في طاعة إياك أن تزكي، إياك أن تقول: أنا لي إرادة قوية، الله سبحانه وتعالى تفضل عليك، وأعانك على نفسك، ولو شاء لضعف مقاومتك فانهارت قواك، وزلت قدمك، ووقعت في المعصية، إذا كنت في طاعة، وإذا كنت في مسجد، وإذا كنت في صلاة، وإذا صمت رمضان، وإذا حججت البيت، وإذا أديت زكاة مالك، وإذا غضضت بصرك، وإذا تحريت الحلال، وإذا أنفقت المال في وجوهه، اسجد لله سجود الشكر على أن وفقك لطاعته. والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تؤكد هذا المعنى، وإذا كنت في نعمة، جاءك خبر سار، جاءتك نتيجة تحليل ابنك الطبي سارةً اسجد سجود الشكر، إذا كنت في طاعة فاشهد لله المنة والفضل، وإذا كنت في نعمة فاسجد لله سجود الشكر، هو الذي حفظك، هو الذي حفظ أهلك، هو الذي حفظ أولادك.

أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه؟ قال: يا رب لم أنفق منه شيئاً على أحد مخافة الفقر على أولادي من بعدي، فقال الله له: ألم تعلم بأني أنا الرزاق ذو القوة المتين، إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم. والعبد الآخر قال: يا عبدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه؟قال يا ربي أنفقته على كل محتاج مسكين، لثقتي بأنك خيرٌ حافظاً، وأنت أرحم الراحمين. قال: يا عبدي أنا الحافظ لأولادك من بعدك، إذا كنت في

طاعة فاشهد لله المنة والفضل، وإذا كنت في نعمة فتذكر المنعم، من هو الكافر؟ الكافر يتمتع بالنعمة كما يتمتع بها المؤمن، ولكن البون شاسع، الكافر يتمتع بالنعمة، ولا يرى المنعم، لكن المؤمن يتمتع بالنعمة ويرى من خلالها المنعم، الكافر مع النعمة والمؤمن مع المنعم، وبون شاسع بينهما هذه الحالة الثانية.

إذا كنت في طاعة اشهد لله المنة والفضل، وإذا كنت في نعمة فاسلك سبيل الشكر، وإذا كنت في معصية فلا تقنط من رحمة الله، اتلُ قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾

[ سورة الزمر: 53 ]




لو جئتني بملء الأرض خطايا غفرتها لك ولا أبالي، تذكر قول بعضهم: الصلحة بلمحة، تذكر أن العبد العاصي إذا رجع إلى الله عز وجل ناد مناد في السموات والأرض أن هنؤوا فلانًا فقد اصطلح مع الله عز وجل، تذكر هذا كله.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ والحالة الرابعة: وإذا كنت في بلية لا سمح الله ولا قدر جاءك خبر لا ترضى عنه، جاءك خبر سيئ، اعتلت صحة الإنسان، فقد جزءًا من ماله، أصاب أهله بعض مكروه، إذا كنت في بلية فتذكر أنها بلية من الابتلاء، أنت في امتحان، فإذا قلت: الحمد لله رب العالمين فقد نجحت، والله سبحانه وتعالى بيده كل شيء، يبدل ويغير، ينسيك هذه البلية لمجرد أن تحمد الله عليها.

لسيدنا عمر هذه الكلمة التي لا أشبع من تردادها، كان إذا أصابته مصبية قال كرم الله وجهه: " الحمد لله ثلاثاً، الحمد لله إذ لم تكن في ديني ".

إذا لم تخرق قواعد الشرع، أنت في خير، لم تقع في معصية أنت في خير، لم تأكل مالاً حراماً أنت في خير، لم تطلق بصرك في الحرام أنت في خير، لم تفعل كبيرة أنت في خير، أنت في خير ما دمت مستقيماً، ولو ألمت بك الملامات، " الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد

لله إذ ألهمت الصبر عليها"، هذا شأن المؤمن أيها الأخوة، أتريدون على هذه النقاط دليلاً من كتاب الله؟ هذا قول أحد العارفين، وكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه، إلا صاحب هذه القبة الخضراء قول أحد العارفين دليل من كتاب الله في موضوع الطاعة قال تعالى:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[ سورة يونس: 58 ]

إذا كنت في طاعة فافرح، لأنه كفاك نصراً على عدوك أنه في معصية الله.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[ سورة يونس: 58 ]

وفي آية أخرى:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[ سورة الزخرف: 32 ]

## المسافة الشاسعة بين طاعة الله و بين معصيته:

ثمة شيء أحبّ أن أضعه بين أيديكم، أن تقول شيئاً، وأن تعيشه مسافة شاسعة بينهما، أن تقول: ألف مليون، هذه كلمة يقولها أي فقير، وأن تملك هذا المبلغ مسافة كبيرةٌ جداً جداً بين أن تلفظ هذه الكلمة، وبين أن تملكها، بين أن تقول: رضيت بالله رباً، وبين أن ترضى به فعلاً، بين أن تقول كما يقول عامة المسلمين: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنت تغلي من شدة الندم، وأنت تغلي من شدة الألم، وبين أن تقولها وأنت في مستواها، لذلك من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل منه فقد حقر ما عظم الله عز وجل، لذلك قال الله عز وجل:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[ سورة الأحزاب: 71]

فإذا كنت في طاعة الله وترى أنك محروم، إنك لا تعرف الله عز وجل.

إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق وحبيب الحق، سيد ولد آدم، كان إذا أراد أن يصلي صلاة الليل رفعت السيدة عائشة رجليها، لأن غرفته لا تتسع لصلاته ونومها.

من أنت ومن أنا إذا كان هذا مقام النبي؟ الدنيا جيفة طلابها كلابها، الدنيا دار من لا دار له، ولها يسعى من لا عقل له، يكفي أنها فانية، يكفي أنها زائلة، لو أنك ملكت كل شيء، لا بد من أن تفقد كل شيء في ثانية واحدة، يكفي أن يستريح هذا القلب عن النبض، فإذا الأشياء كلها ليست لك، وإذا أنت تحت أطباق الثرى، هكذا الحياة، فلذلك التعلق بالدنيا نوع من الغباء، تعلق برحمة الله، اغتنم هذا الوقت للعمل الصالح، هذا في الطاعة، أما في النعمة:

**﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾**

[ سورة سبأ: 15 ]




فكانت تعظم عند النبي عليه الصلاة والسلام النعمة مهما دقت، إذا شربت كأس ماء، وهذا الطريق سالك، شربته وأخرجته فأنت في نعمة كبرى، الكليتان تعملان بانتظام، إذا أكلت الطعام الذي خلقه الله لك فأنت في نعمة كبرى، هناك من يضع السيروم في وريده، إذا كنت تمشي على قدميك فهذه نعمة لا تقدر بثمن، إذا كان عقلك في رأسك، هذه نعمة لا تقدر بثمن، إذا متعك الله بسمعك وبصرك، متعك الله بلسان طليق، متعك الله بنظافة أخلاقية، أنت في نعم لا تعد ولا تحصى، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

**((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي ))**

[الترمذي والحاكم عن ابن عباس ]

وأما في المعصية فتذكر قول الله عز وجل:

**﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾**

[ سورة الزمر: 53 ]

إن أرجى آية في كتاب الله هذه الآية، ليس الخطاب لهؤلاء العصاة، لا، الخطاب لمن أسرفوا في المعصية، لمن فعلوا كل معصية:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[ سورة الزمر: 53 ]

مالك بن دينار، كان من قطاع الطريق، جاءته طفلة صغيرة جميلة، توفيت في أجمل أوقات حياتها، رأى في المنام تنيناً يتبعه، وقد امتلأ قلبه فزعاً، هو يركض والتنين يتبعه، إلى أن رأى ابنته المتوفاة على رابية، فعملت هكذا فوقف التنين، قال: من أنت؟ قالت: أنا عملك الصالح يا أبي، قال: وما هذا التنين؟ قالت: هذا عملك السيئ، فتاب من توه، وصار من كبار العارفين. الباب مفتوح، ما دام القلب ينبض فالباب مفتوح على مصراعيه لا لأن تنجو، لا لأن تكون مؤمناً، لأن تكون عارفاً بالله، لأن تكون من كبار المؤمنين، وأما في البلية فتذكر قوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[ سورة البقرة: 155 . 157 ]

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ورد في صحيح مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول – هذا حديث دقيق جداً تعرفونه أيضاً –:

(( عجبا لأمر المؤمن ! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمِنْ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ))

[ مسلم عن صهيب بن سنان رضي الله عنه]

في كلا الحالين لأن اليد واحدة، ربما كان المنع عطاءً، وربما كان العطاء منعاً، ربما منعك فأعطاك، وربما أعطاك فمنعك، والله هذه الآية وحدها، والله الذي لا إله إلا هو لو أن هذه الآية وعيناها وعقلناها لذابت مشكلتنا ذوباً.

﴿أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[ سورة البقرة: 216 ]

هو الخبير، هو الرحيم، هو الحكيم، العادل، هو الرب.

## تحري الأوقات التي ميزها الله عز وجل بخصائص روحيّة:

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ المؤمن عليه أن يتحرى الأوقات الفاضلة، هناك أوقات فضلها الله على أوقات، هكذا، هو رب العالمين، فعلى المسلم أن يتحرى الأوقات التي ميزها الله عز وجل بخصائص روحية خاصة، فضلها على غيرها، والدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الطبراني قال:

**((إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا له))**

[الطبراني عن محمد بن مسلمة ]

هناك نفحات، هذا التخصيص من شأن الإله وحده، هو خصص بعض الأوقات ببعض الميزات، فأنت كمسلم وكمؤمن عليك أن تهتم بهذه الأوقات التي ميزها الله على سواها.




مثلاً في الساعات لماذا فضل الله عز وجل ساعة على ساعة، الله سبحانه وتعالى فيما رواه النبي عنه في الحديث القدسي، فضل ساعات السحر في آخر الليل، هذه الساعات فضلها الله عز وجل، قال: " إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم – نزولاً يليق بجلاله، هذا تفسير نزل – نزل ربكم إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟" عجباً لهذا المؤمن إذا كان الله عز وجل في حديث رواه النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه، الله سبحانه وتعالى يعرض عليكم هذا العرض، إذا كنت في مشكلة، في ضائقة، تخاف من عدو شرس، إذا كنت في وهم خطير، إذا كان لك شبح مشكلة، هذا قيام الليل في ثلث الليل الأخير، هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟ إذاً وقت السحر هذا وقت ميزه الله بالتجليات، قال عليه الصلاة والسلام:

**((ولو يعلم الناس ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا))**

[ الطبراني والحاكم عن ابن عمر ]

ابن آدم لا تعجز عن ركعتين قبل الشمس أكفك النهار كله، أي إذا كنت قد صليت الفجر في وقته، وفي جماعة، وذكرت الله عز وجل فأنت في هذا النهار في حفظ الله عز وجل، في رعايته، في توفيقه، الله يدافع عنك في هذا اليوم.

شيء آخر: أشار الله عز وجل في القرآن إلى هذه الساعات قال:

**﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**

[ سورة الذاريات: 15 ـ 18 ]

هذا دليل من كتاب الله، على فضل هذا الوقت، والنبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام الترمذي يقول:

**(( أقرب ما يكون الربُّ عز وجل من العبد جَوفُ الليل الآخر فإن استَطعْتَ أن تكونَ ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكُنْ ))**

[ النسائي عن عمرو بن عبسة]

هذا عن الساعات، أما عن الأيام، وفضل الله من أيام الأسبوع يوم الجمعة، وفي هذا اليوم صلاة الجمعة، وهذا يوم عيد المسلمين، فيه لقاء الجمعة، وفيه صلاة الجمعة، وفيه خطبة الجمعة، وفيه عطلة الجمعة لذلك:

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾**

[ سورة الجمعة: 9 ]

هؤلاء الذين يضعون في هذا اليوم كل المشكلات الصعبة، كل القضايا المزعجة، هؤلاء لا يعرفون قيمة هذا اليوم، لماذا؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

**((إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً – ساعة إجابة– لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ))**

[ أحمد عن أبي هريرة]

ساعة في هذا اليوم إذا صادفتها تدعو الله عز وجل استجاب لك، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

**((مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتْ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ))**

[ موطأ مالك عن أبي هريرة]

قيمة هذه الصلاة في خطبتها، فإذا أدركت صلاتها فقط، ماذا فعلت؟ تصلي في البيت إذا شئت، لكن أهم شيء في الجمعة خطبتها، لأنها مناسبة أسبوعية للتعلم.

شيء آخر: على مستوى العام، فضل الله سبحانه وتعالى من أيام العام أيام العشر من ذي الحجة، وأفضلها على الإطلاق يوم عرفة، بل إن يوم عرفة من أفضل أيام العام كله على الإطلاق. جاء في الصحيح عن ابن عباس:

**((ما من أيام أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام – أي العشرة من ذي الحجة – قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا أن يخرج الرجل بنفسه وماله فلا يرجع من ذلك بشيء))**

[البخاري عن ابن عباس]




أي أفضل أيام العام عشرة ذي الحجة، وأفضل يوم على الإطلاق في كل العام يوم عرفة، هذا للحاج ولغير الحاج.

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ وأما في الشهور فقد فضل الله شهر رمضان، ونحن على أبواب رمضان، الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان.

لأنه شهر المؤمنين، وعند السيوطي في الجامع الكبير:

**((أتاكم رمضان، شهر البركة والغفران، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً))**

[السيوطي في الجامع الكبير]

صعد النبي المنبر فقال: آمين، استغرب أصحابه، أول درجة قال: آمين، الثانية قال: آمين، الثالثة قال: آمين، فلما نزل قالوا: يا رسول الله علام أمنت؟ قال: جاءني جبريل فقال لي: تعس عبد أدرك أبويه فلم يدخلاه الجنة، قلت: أمين، قال: وتعس عبد ذكرت عنده فلم يصلِّ عليك، فقلت: أمين، وقال: تعس عبد أدرك رمضان فلم يغفر له، إن لم يغفر له فمتى؟ هذا موسم المؤمنين، هذا من حيث الشهور، لكن رمضان – وسوف يأتي معنا هذا بالتفصيل – أفضل ما فيه العشر الأخير، لأنه ختام الشهر، والأمور بخواتيمها، وفيه ليلة القدر، وليلة القدر لا كيوم عرفة خير أيام العام بل خير من ألف شهر، أي ليلة القدر خير من ثمانين عامًا، أي إذا حصلت هذه الليلة، إذا عرفت الله فيها، معرفة تليق بجلاله فأفضل من حياتك كلها، هذا الذي عناه علماء التفسير.

أيها الأخوة الأكارم ؛ وبعد رمضان تأتي الأشهر الحرم، رجب، وذي القعدة، وذي الحجة، ومحرم، لقول الله عز وجل:

**﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾**

[ سورة التوبة: 36 ]

أي عمل فيه عدوان في هذه الأشهر العقاب يضاعف، لأن هذه الأشهر جعلها الله أشهر أمان وسلم بين الناس.

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

# 9.2 مواقف الناس من الوقت

**بسم اللـه الرحمن الرحيم**

## مواقف الناس المتباينة من الماضي والحاضر والمستقبل:

أيها الأخوة المؤمنون ؛ قبل أسبوعين بدأنا في موضوع الوقت، لا زال في هذا الموضوع بقيَّة، فالزمن كما تعلمون أيها الأخوة زمنٌ ماض، وزمن حاضر، و زمن مستقبل، و الناس عادة يقفون مواقف متباينة من هذه الأزمان الثلاثة، بعض هذه المواقف فيه تطرُّف، و بعض هذه المواقف فيه اعتدال فالمواقف المتطرفة من الزمن هي على النحو التالي، هناك أناس أيها الأخوة لا يعنون إلا بالماضي، و لا يشيدون إلا به، و لا يعتقدون إلا به، هؤلاء نسوا حاضرهم، و نسوا مستقبلهم، هؤلاء الأشخاص أيها الأخوة يفخرون بماضيهم، و يتغنَّون به، و يعتزُّون به، و يشيدون به، من دون أن يكون حاضرُهم متَّصلاً بماضيهم، من دون أن يعملوا أن يكون واقعُهم كسالفهم، من دون أن يتَّصل الماضي عندهم بالحاضر، هؤلاء الذين يعتقدون بالماضي، ويشيدون به، ويعتزُّون به، و يفتخرون به، وهم كسالى لا يفعلون شيئاً، لا يصنعون بطولة، لا يتطلّعون إلى مثُل عليا، لا يريدون أن يكونوا خلفاء لأسلاف عظماء، هؤلاء الذين يتعلقون بالماضي من دون أن يكون حاضرهم متَّصلاً بطريقة أو بأخرى بماضيهم، هؤلاء نظروا إلى الماضي نظرة متطرّفة على حساب حاضرهم، و قد ذكرت لكم أيها الأخوة ؛ في خطبة سابقة أنه هناك فرق كبير بين التفوُّق و بين التطرُّف، فالتطرف أن ينمو جزءٌ من الدين نموًّا عشوائياً على حساب أجزائه الأخرى، أما النظرة المتوازنة والنمو المتوازن في كل أجزاء الدين فهذا هو التفوُّق، و ذكرت لكم وقتها أن من الدين جانباً فكرياً، و أن من الدين جانباً سلوكياً، وأن من الدين جانباً انفعالياً، فمن نمَّى فكره



الديني من أن يكون عملُه متطابقاً مع معتقده فقد تطرَّف، و من نمَّى جانبه السلوكي من دون أن يُعنى بعقيدته فقد تطرَّف، ومن نمَّى انفعالاته الدينية من دون أن يعمل، ومن دون أن يطلب العلم فقد تطرف، أما من عمل على تنمية هذه الجوانب كلًّا جنباً إلى جنب بشكل متوازٍ فهذا قد تفوَّق، لأن النبي عليه الصلاة و السلام كان المثلَ الأعلى، فبقدر ما كان أصحابُه الكرام ينطوون على فكر دقيق و عقيدة راسخة بقدر ما كانت أعمالهم منضبطةً ومحسِنة بقدر ما كانت أحوالُهم راقية.

أيها الأخوة الكرام ؛ الاعتزاز بالماضي، والافتخار به، والقعودُ عن صنع بطولة في الحاضر هذه نظرة خاطئة إلى الماضي، نظرة ليست متوازية.

**لئن فخرتَ بآباء ذوي حســـــب لقد صدقتَ و لكن بئس ما ولدوا**

***

**كن ابنَ من شئت و اكتسب أدبا يغنيك محموده عن النســـــــب**

***

## الوجه الإيجابي للاعتزاز بالماضي:

أيها الأخوة ؛ الاعتزاز بالماضي له وجهٌ إيجابي، الاعتزاز بالماضي مفيد بشرط أن يحفزنا إلى بطولة مستقبلية، الافتخار بالماضي مفيد بشرط أن يكون حاضرُنا متَّصلاً بماضينا، الإشادة بالآباء مفيد بشرط أن يكون الأبناءُ على منهج الآباء.

يا أيها الأخوة الكرام ؛ قال الشاعر:

**ألهى بني تغلبٍ عن كلِّ مكرمة قصيدة قالها عمرُو بنُ كلثوم**

***

هذا الشاعر أشاد بقبيلته، هذه القبيلة تغنَّت بهذه القصيدة حتى نسيت أن تصنع مجداً لأبنائها أو لحاضرها.




أيها الأخوة الكرام، هناك من يُعنى – كما قلت قبل قليل – بالتراث من دون أن يضعه في الغربالِ، من دون أن يزنه بموازين الشرع، من دون أن يقيِّمه تقييماً في ضوءِ الكتاب والسنة، كلُّ شيء قديم صحيح و حقٌّ و لا شكَّ فيه، و كلُّ شيء جديد مرفوض، هذه نظرة مرضية ليست صحيحة.

أيها الأخوة الكرام ؛ كلُّ شيء يوزَن بميزان الشرع، الحسنُ ما حسَّنه الشرع و القبيح ما قبَّحه الشرع، لو درجنا على عادات و تقاليد، لو فعل آباؤنا أشياء يجب أن نقيسها بالشرع، يجب أن نقيسها بالكتاب و السنة، فهذا الشرع هو الميزان الدقيق الذي هو من عند خالق الكون، من عند الصانع، وهو بشكل أو بآخر تعليمات للصانع.

## الاتباع على بصيرة:

أيها الأخوة ؛ قال تعالى:

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾**

[سورة البقرة: 170]

أليست هذه الآية تكفينا؟ قال تعالى:

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾**

[سورة البقرة: 170]




لا يُقبل من الإنسان أن يقلِّد تقليداً، لا ينبغي إلا أن يتفهَّم، إلا أن يتبصَّر، إلا أن يطلب الدليل، إلا أن يطلب التعليل، لا ينبغي أن يتَّبع على عمى، قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة يوسف: 108]

فالاتباع على بصيرة، وليس الاتباع من دون تبصّر. قالوا لسيدنا هود:

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة الأعراف: 70]

وقالوا لسيدنا صالح:

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾

[سورة هود: 62]

وقالوا لسيدنا إبراهيم:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾

[سورة الأنبياء: 52-53]

وقالوا لسيدنا شعيب:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾

[سورة الأنبياء: 52-53]

إذًا لا بدَّ من التبصر، لا بدَّ من التأمُّل، لا بدَّ من طلب الدليل، لا تعتقد شيئاً قبل أن تستوثق من دليله، لأن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم:

**((ابن عمر دينك دينك، إنه لحمك و دمك، خذ عن الذين استقاموا و لا تأخذ عن الذي مالوا))**

[كنز العمال عن ابن عمر]

لقد لخَّص الله سبحانه و تعالى أقوال هؤلاء لأنبيائهم فقال:

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾

[سورة الزخرف: 23]

ومن أدقِّ الآيات الكريمة التي تشير إلى هذه المعاني إشارة لطيفة، هي قوله تعالى حينما قال الشيطان:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾

[سورة الأعراف: 16-17]

أي أزيّن لهم ما كان عليه آباؤهم، أو أزيّن لهم ما ينبغي أن يفعلوه في المستقبل:

﴿ثُمَّ لَآَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

[سورة الأعراف: 17]

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك أناس آخرون يعيشون الماضي وحده متحسِّرين على ما مضى منه من فرص، متحسّرين على ما فاتهم، هؤلاء تغلب عليهم السوداوية، هؤلاء يغلب عليهم التشاؤم، النبي عليه الصلاة و السلام حسم هذا الأمر بحديث صحيح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وفي حديث حسن يقول عليه الصلاة و السلام:

((الإيمان بالقدر يذهب الهم و الحزن))

[السيوطي عن أبي هريرة]

هذه لو يجب أن تُشطب من قاموس المؤمن، إلا أن العلماء كما قلت لكم من قبل استثنوا لو الإيجابية، وقد استُنبط هذا من قوله تعالى:

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

[ سورة الجن: 16-17 ]

## الاستفادة من تجارب الماضي واستخلاص العبر والدروس منها:

أيها الأخوة الكرام ؛ هؤلاء عبَّاد الماضي، الذين تركوا العمل في حاضرهم فكان ماضيهم منقطعاً عن حاضرهم، هؤلاء ما فعلوا شيئاً، و أما الذين يتعبَّدون المستقبل، يهتمّون به، يلغون كلَّ التراث، يلغون كل ماضيهم، يلغون كل أمجادهم، يحتقرون سلفهم، هؤلاء أيضاً تطرَّفوا، هؤلاء أيضاً نظروا نظرة ليست صحيحة، هؤلاء أيضاً نظروا نظرة مرضية للمستقبل، إعراضهم عن الماضي إعراضاً كلّياً، ما فيه من بطولات، ما فيه من حقائق، ما فيه من دروس و عبر، ما فيه من أشياء صنعها الآباء لتكون المثل الأعلى للأبناء، هؤلاء أعرضوا عنها إعراضا كلِّيًّا، لكن الله سبحانه و تعالى يقول:




**﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾**

[ سورة الجن: 16-17 ]

معنى ذلك أن الإنسان يكن أن يستفيد من تجارب الماضيين، يمكن أن يستخلص الدروس والعبر، يمكن أن يأخذ الحقائق، يمكن أن يتعلَّم ما شاء له التعلم من دروس الآباء و الأجداد، لذلك قيل: " السعيد من يتَّعظ بغيره، و الشقي لا يتَّعظ إلا بنفسه " هؤلاء الذين نظروا إلى المستقبل أيضاً بعضهم تشاءم، و بعضهم ظن أن المستقبل لا يلد إلا السوء، وأننا من سيِّئ إلى أسوأ، و من أسوأ إلى الأسوأ، و هكذا ما من يوم إلا و الذي بعده أشرُّ حتى تقوم الساعة، فهموا هذا الحديث فهماً على غير ما أراد النبي عليه الصلاة و السلام.

الحياة أيها الأخوة من دون أمل، الحياة من دون تفاؤل، هذه ليست حياة، إنها نوع من الموت.

## الحياة من دون أمل و تفاؤل نوع من الموت:

أيها الأخوة ؛ ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل، الحياة من دون أمل أضيق من خاتم، أضيق من سمِّ خياط، لا معنى للحياة مع اليأس، و لا معنى لليأس مع الحياة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

[ سورة الشرح: 6]

ومن أدق ما في هذه الآية أن المعنى هو كما يلي: إن بعد العسر يسراً و لكن الله سبحانه و تعالى استعار كلمة مع لبعد ليطمئن المؤمن أن هذا العسر الذي يواجهه قد خُلق اليسرُ معه خلقاً، قال تعالى:

﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾

[ سورة الشرح: 6]

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾

[ سورة الشرح:1-6]

أيها الأخوة الكرام ؛ قال تعالى:

﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

[سورة يوسف: 87]

وقال تعالى:

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

[سورة الحجر: 56]

وقال أحدهم:

**ولرُبَّ نازلة يضيق بها الفتــى ذرعا و عند الله منها المخرج**

**كملت فلما استحكمت حلقاتُها فُرجت و كنا نظنُّها لا تُفــرج**

* * *

و ذكرت لكم في الخطبة السابقة قول الشاعر:

**كن عن همومك معرضاً   وكِلِ الأمور إلى القضا**

**و أبشر بخير عاجــل   تنسى به ما قد مضـــى**

**فلرُبَّ أمر مسخـــــــط   لك في عواقبه رضــــا**

**و لربما ضاق المضيق   و لربما اتَّسع الفضـــا**

**الله يفعل ما يشـــــاء   فلا تكن معتـرضــــــا**

**الله عوّدك الجميـــــل   فقِس على ما قد مضى**

***

## النظرة المثالية للمستقبل:

أيها الأخوة الكرام، يقول عليه الصلاة و السلام عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ))**

[أحمد عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ]




هل بعد الحديث من حديث؟ هل بعد هذا الحديث من حُجَّة للكسول؟ إذا قامت الساعة وانتهت الدنيا و انتهى كلُّ شيء، و قدِم الناسُ على ربهم، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها، ترك العمل نوعٌ من الحمق، يجب أن تعمل لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

**﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**

[سورة النحل: 32]

أيها الأخوة الكرام ؛ الإمام ابن سيرين سُئل مرة من قِبل رجل، قال: يا إمام رأيت في منامي أني أسبح في غير ماء، و أني أطير بغير جناح فما تفسير هذه الرؤيا؟ قال: أنت رجل كثير الأماني، ما الفرق بين الأمنية و الرجاء؟ الأمنية أن تتمنى خيراً كثيراً دون أن تعمل له إطلاقاً، فأنت من أهل الأماني، أما إذا كنت من أهل الرجاء فقد قال تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

[سورة الكهف: 110]

وقال تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾

[سورة الأنعام: 158]

فمواجهة المستقبل بالأماني نوعٌ من الضياع، أما أن تعِد للمستقبل العمل الصالح، والتوبة النصوح، وإنفاق المال، وضبط الجوارح، وضبط الدخل، والاستقامة على أمر الله، إذا أعددت للمستقبل هذه الأعمال فأنت من الرابحين الناجحين.

أيها الأخوة الكرام، الإمام عليٌّ كرم الله وجهه يقول: " إياك والاتكال على المُنى فإنها بضائع الحمقى"، الاتكال على المنى، و قد ذكر الله سبحانه و تعالى مقولة اليهود فقال:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾

[سورة البقرة: 111]

قال تعالى:

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[سورة البقرة: 111]

قال تعالى:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾

[سورة النساء: 123]

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾

[سورة النساء: 124]

إذًا النظرتان المرضيتان للمستقبل أن تنظر إليه بتشاؤم شديد، و يأس قاطع، أو تنظر إليه بأحلام، وآمال لا تقدِّم ولا تؤخِّر، كلتا النظرتين خاطئة لأنها انحرفت عن الصراط المستقيم، أما أن تعدَّ للمستقبل التوبة والاستقامة والعمل الصالح فهذه النظرة المثالية للمستقبل، عندئذ تقول كما قال الله عزوجل:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة التوبة: 51]

## الفرق بين الرجاء والأماني:

أيها الأخوة الكرام ؛ فرَّق العلماء تفريقاً دقيقاً بين الرجاء الذي يقارنه العمل و بين الأماني التي تفتقر إلى العمل، أثنى على الراجين ووبَّخ المتمنِّين، وبَّخهم فقال:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

[سورة النساء: 123]

إنما هؤلاء الذين يرجون الله عز وجل، وأكَّدوا رجاءهم بالعمل قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾

[سورة الإسراء: 19]

وقال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

[سورة الكهف: 110]

ثم يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة الأعراف:56]

أي أن رحمة الله شيء ثمين جدًّا، لكن كل مؤمن بإمكانه أن يصل إليها باستقامته وإخلاصه وعمله الصالح، إنها مبذولة، وليست ممنوعة، قال تعالى:

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة الأعراف:56]

وقال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة القصص:14]

وقال تعالى:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة الأعراف:156]

أيها الأخوة الكرام، الحديث النبوي الذي تعرفونه جميعاً، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ))

[رواه الترمذي عن شداد بن أوس]




المتمنِّي الذي لا يعمل، وأما الراجي فهو الذي يعمل، واللهُ أثنى على الراجين، و قال بعض الصالحين: " طلب الجنة بلا عمل ذنبٌ من الذنوب، و ارتجاء الشفاعة بلا اتِّباع للسنة نوع من الغرور، و ارتجاء رحمة الله مع المعاصي حمقٌ و جهل "، وقال الإمام الحسن: " إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا و لا حسنة لهم "، ما أكثر هؤلاء، كلما قلت له: لِم تفعل كذا؟ يقول: الله يغفر لنا، يدعو الله بالمغفرة من دون أن يتوب، من دون أن ينوي التوبة، كلما وجه بمخالفة يقول: اللهم اغفر لنا و ارحمنا، لذلك: " إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا و لا حسنة لهم "، إذا قال أحدُهم: إنني أحسن الظنَّ بربِّي نقول له: كذبت، لو أحسنت الظن بربك لأحسنت العمل له، قال تعالى:

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[سورة فصلت:11]

أن تظن به أن يغفر لك من دون أن تقدِّم ثمن المغفرة، لذلك قال عليه الصلاة و السلام:

**(( مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ فَلْيُحْسِنْ الْوُضُوءَ ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لِيُثْنِ عَلَى اللَّهِ وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لِيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَا تَدَعْ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))**

[رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى]

قال تعالى:

**﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾**

[سورة الكهف: 110]

وقال تعالى:

**﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**

[سورة النحل: 119]

كل الآيات التي تبشّر بمغفرة الله عز وجل يأتي بعدها آيات التوبة و الإنابة و الإخلاص و الإصلاح و ما شاكل ذلك.

## كيفية النظر إلى الماضي والمستقبل:

أيها الأخوة الكرام ؛ إذا نظرنا إلى الماضي مفتخرين و قعدنا عن العمل فقد أخطأنا، و إذا نظرنا إلى الماضي مقدَّسين و ألغينا الحاضر كله فقد أخطأنا، و إذا نظرنا إلى المستقبل على حساب إلغاء الماضي، ألغينا الماضي بكل ما فيه من بطولات، وتاريخ، وتراث، وحقائق فقد أخطأنا، وإذا نظرنا إلى المستقبل بسذاجة بالأماني، وبالأحلام فقد أخطأنا، فلا بد أن ننظر إلى الماضي، وأن نأخذ منه ما يحفزنا للبطولة، وأن نغربله بالكتاب والسنة، فما كان وفق الكتاب والسنة على العين والرأس، وما كان خلاف الكتاب والسنة ننبذه، ولا نلوي على شيء، أما المستقبل فننظر إليه متفائلين، لكن بعد أن نعدَّ العدَّة له من توبة، و استقامة، وعمل صالح.

## نظرةُ بعض الناس إلى الحاضر:

أيها الأخوة الكرام ؛ بقيت نظرةُ بعض الناس إلى الحاضر، هناك أشخاص لا يلتفتون إلى ماضيهم، ولا إلى مستقبلهم، وإنهم يعيشون لحظتهم الحاضرة، هؤلاء ضيِّقو الأفق، هؤلاء يأتيهم الهلاكُ بغتة دون أن يشعروا، هؤلاء ينطلقون من قول الشاعر:

**ما مضى فات و المؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها**

***

أصل هذا البيت:

**إنما هذه الحياة متـــــــــاعٌ و السفيه الغوي من يصطفيها**

**ما مضى فات والمؤمل غيب و لك الساعة التي أنت فيــها**

***

في الحقيقة هذه مقولة سيقولها المؤمن، ويقصد بها معنى، ويقولها غيرُ المؤمن و يقصد بها معنى آخر، إذا قالها المؤمن، قال لك:

**ما مضى فات و المؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها**

***

يقصد أن الماضي لا يعود، فالحديث عنه تضييع وقت، و المستقبل لا تملكه، هو غيب، ربما لا نصل إليه، ماذا تملك أيها المؤمن؟ هذه الساعة التي أنت فيها، إذًا تُب من فورك إلى الله، اصطلح معه، شمِّر و انطلق إليه، فِرَّ إليه، هذا المعنى الذي يفهمه المؤمن من هذا القول، أما أهل الدنيا:

**فإن كنت لا تستطيع دفعَ منيتي فدَعني أبادرها بما ملكتْ يدي**

***




ينكبُّ على شهواته وسقطاته وإرواء غرائزه انكباب الأعمى، و ينسى ماضيه، و ينسى مستقبله، و يعيش لحظته و كأنه يعطِّل فكرَه.

أيها الأخوة الكرام ؛ لا بد من أن تُصحَّح النظرات، لا بد من أن تستقيم هذه النظرات إلى الماضي، والحاضر، والمستقبل، لا بد من أن نأخذ من الماضي ما يحفزنا للبطولة، لا بد من أن نستخلص الدروس والعبر، لأن السعيد من اتَّعظ بغيره، والشقيُّ لا يتَّعظ إلا بنفسه، ولا بد من أن ننظر للحاضر على أنه فرصة وحيدة لا تُعوَّض، فرصة لنجاتنا و لسعادتنا، و لا بد من أن ننظر للمستقبل نظرة متفائلة على أساس التوبة، والاستقامة، والعمل الصالح.

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطِّانا إلى غيرنا، وسيتخطَّى غيرنا إلينا، فلنتَّخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.